انشطار الذهن

بيتر ماكلير

تعريب
د. حلمي نجم



دار الرشيد للنشر

منشـــورات وزارة الثقافـة والاعـلام ـ الجمهوريـة العراقيـة

سلسلة الكتب المترجمة

(١١٨)

١٩٨٢

بيتر ماكلير

انشطار الذهن

تعريب
الدكتور حلمي نجم

« كما يتكون الجسم من اعضاء مختلفة ، يتكون كذلك عالمنا الداخلي ليس بسيطا ومتماثلا كما قد تتصور ولكنه مركب من مختلف العواطف ـ الشهوات والوجدان ممتزجه مع المنطق • »

ـ جوزيف بوتلـر ـ

- Joseph Butler -

اشعر في احيان كثيرة انني مؤلف من عدة اشخاص • وان الشخص الذي يمتلك السلطة العليا في لحظة من اللحظات لابد له ان يعطي القيادة لشخص اخـر •

سومرست موم

- Somrset Maughom -

المقدمة

تدور فكرة هذا الكتاب الرئيسية حول الانشطار Dissociation حيث تفسره الشخصية الانسانية على ضوء اجهزتها الثانوية (Subsystems) وسوف نتناول شرح حالات ازدواج الشخصية وتعدد الشخصية (حيث تمثل حالات الانشطار المتطرفة) وتأتي اشهرها على الاطلاق من الادب • وتدعونا للتفكير دائما بشخصية جيكل ومستر هايد كحقيقة اضافة الى كونها شخصية ادبية • كما سنتناول بعض الحالات الواقعية المثالية لهذه الحالات وهي الانسة بيجـــامب (Miss Benuchamp) وايــف وايــت Eve White وبورن المبجــل (Ansel Borne) وسيبيل دورسيت (Sybil Dorsett) ويؤكد بعض الباحثين الكبار في هذا المجال مثل مورتن برنس (Morton Prince) حدوث الانشطار في الشخصيات الطبيعية ايضا وهناك دلائل كثيرة تشير الى رجوع ظاهرة الانشطار الى بحث علم النفس بعد ان نبذها سابقا وبالخصوص ماقام به العالم النفسي الامريكي المتميز ارنست هلگارد (Ernest Hilgardy) من تجارب متحدية تؤيد اعادة النظر في هذا الموضوع كما زودنا بطرق حديثه لدراسة الانشطار في الحياة الطبيعية • كما اننا سوف نهتم بظاهرة الامتلاك الروحــي (Possession) وبعض الظواهر الاخرى التي اختبرت الخرافــة

والتعليلات الخارقة كطريقة لتفسيرها • حيث تؤثر معتقدات الشخص المصاب ومعتقدات الاشخاص الذين يحاولون دراسته ومعتقدات المجتمع الذي يعيشون فيه تأثيرا بالغا في تفسير هذه الظواهر ويفضل البعض وانا منهم استخدام النظرة العلمية الطبيعية في تفسير هذه الظواهر ولهذا تبقى لغتنا عند تعاملنا معها هي الانشطار Dissociation تعدد الشخصية (Multiple Personality) الشعور المصاحب (Co-consciousness) والتصويرات الذهنية (Mentul Imagery)

بينما يطلق اخرون على ظواهر مشابهة مصطلحات مخالفة مثل امتلاك الروح الشيطاني (Demonic Possession) وسيطرةالارواح (Spirit Control) غشوة الوسيط الروحي (Mediumistic trances) والاستبصار (Clairvoyance) وقد علق المؤمنون بالتقمص (Reincarnationist)

ايضا على هذه الظواهر وقاموا بتفسير بعضها مثل تفسير الظواهر الخارجة عن الجسم (out of the body Experinces) الاحلام البيضاء (Lucid dreams) وقد تبينت في هذا الكتاب النظرة العلمية ، ولهذا ارى من المهم ان لا نعتبر الرأي الخرافي هو مجرد حادثة من حوادث تاريخ اوربا في القرن الثالث عشر بل على العكس نرى مرادفات الامتلاك الروحي في افريقيا واسيا وامريكا الجنوبية وحتى في اوربا وامريكا الشمالية لا زالت منتعشة لحد الان • لقد حاول الكثيرون رسم وتسمية اجهزة الشخصية الثانوية (Personality subsystems)

في الشخصية الطبيعية • واولهم افلاطون (Plato) حين نظر الى الشخصية على أنها كرجل (في المنطق) وكأسد (في الشجاعة والمعنوية) وكحيوان خرافي متعدد الرؤوس (الشهوات والعواطف) • كما شبهها بأحدى مقولاته المشهورة بسائق العربة الذي يحاول ان يقود حصانين• الاول روحي ونبيل والثاني بدائي وخسيس • كما سوف اتناول مفهوم مطران

انكلترا جوزيف بوتلر (Joseph Butler) للشخصية عندما شبهها بالمدرسة التي يديرها المدير (الضمير (Conscience)) يعاونـه معاونان همـا الحِلْم (Prudence) والايثـار (Altruism) وتحوى العديد من الاطفال (العواطف، والحوافز والرغبات) الذين يحتاجون الى الرعاية كما شبه فرويد الانا المنطقية (Rational ego) بالفارس الذي يحاول السيطرة على حصان قوي وتعتبر الانـا ego والهو Id والانا الاعلى Super ego التي ابتدعها فرويد احسن التحليلات الحديثة نسبيا التي عرفت لحد الان للشخصية واجهزتهـا الثانوية (Personality subsystems) وجنوحها عندما تظهر الى حيز الوجود بأفعالها الذاتية غير الخاضعة لسيطرة الشخصية الرئيسية والتي تؤدي الـى اضطرابنا ٠

كما ان بعض الاحلام المألوفة في حياتنا اليومية والتي تبدو غريبة في اشكالها ومضامينها وتختلف كثيرا عن افكارنا وحياتنا الاعتيادية ٠ قد تتوافق في اصول نشوئها مع بعض الصور اللاارادية التي نراها في حالات نعاسنا والتي تمثل استطالة لحياتنا الحلمية ان هذه الحوادث المألوفة (بعض الاحلام والصور النعاسية) ما هي الا الاجزاء الثانوية للشخصية والتي سوف اتناولها بالتفصيل كما يبدو من الصعب علي ان اصف حالات الانشطار البسيطة باكثر من الكلمات التي يختارها الاشخاص لوصف تصويراتهم الذهنية اليقظة والنعاسية وفي حالة النـوم ٠

وفي الخلاصة يبدو من المفيد ان تتناول الشخصية الانسانية (السوية والمرضية) من جانب اجهزتها الثانوية ووظائف هذه الاجهزة اللا اراديـة ٠ وتحتاج فكرة الانشطار او كما يعبر عنها البنبركر نموذج تعدد النفسـيات

الفصل الاول

الشخصية المنشطرة

Dissociated Personality

«قد تنفصل مجموعة افكار مع العواطف التي ترافقها عن الشخصية الرئيسية وتستمر في كينونة منفصلة »

(كارل مييننجر)

١

تحت اشعة الشمس الجزائرية ، جلس شاب فرنسي في مقهى في مدينــة وهران يقرأ جريدة ، فانتبه فجأة الى خبر فحواه :

فقدان مفاجيء لشاب فرنسي يعمل كاتبا عمره تسع وعشرون سنة ، وقد ذكرت الجريدة اسم هذا الشاب ، فقرأه الشاب بارتباك وهو يقول « انا الرجل المقصــود » .

لقد ذكر الباحث بيير جانيه هذه الحالة في سلسلة محاضراته التي القاها في كلية الطب بجامعة هارفرد . حيث استطاع جزء في شخصية هذا الشـــاب السيطرة على الشخص وتبنى خواصا مختلفة عن شخصيته الرئيسية . وقد كان جانيه (١٨٥٩ ــ ١٩٤٧) من اهم رواد دراسة حالات ازدواج الشخصية. كما ان ولعه لم يكن بدراسة ما يسمى بالحالات الذهانية المعروفة بذهـــان الفصام (Schizophrema) والتي تسمى احيانا بانشطار الذهن ، بل في حالات التنويم المغناطيسي وفي عصاب الهستريا ، وفقدان الذاكرة وما يرافقها .. حيث شرح في محاضراته تجربة الشاب الغريبة في حالة الهيام Fugue .. وقد اثبت بالاستشهاد بنماذج اخرى في مرضاه بأن حالة الهيام هذه ليست حالة نادرة . وما يهم علماء النفس المحدثين في الحالة التي اطلق عليها جانيــه « الهيــام Fugue » هو اضطراب الذاكرة الذي يميزها . فقد وصف أيان

هنتر في بحثه (الذاكرة) الهيام كحالة في حالات احلام اليقظة Fantasy فحين يبنى الفرد حياته على احلام اليقظة يتكون لديه قوانين واحكام جديدة . كما يتوهم الفرد بمكانة في الواقع فيندفع بخطوة حسب احكامه الجديدة . مما يحدث تغييرا في الشخصية يرافقه فقدان ذاكرة Amnesia (حالة نسيان لكل خبراته السابقة) في محاولة للخلاص من اشكالات واحباطات حياته السابقة . وهذا ما اسميته عدم التواصل الزمني في الذهن Time discontinuties وقد تستمر فترة الذاكرة دقائق ، او ساعات ، أياما او اشهر .

في بداية هذا القرن ، كان الطبيب النفساني الانكليزي برنارد هارت يعالج مريضا يعاني من حالات للهيام . وتتخلل حياة هذا المريض فترات من فقدان الذاكرة . وقد استطاع هارت استعادة ذاكرة المريض لهذه الفترات بالتنويم المغناطيسي . وفي احدى جلسات التنويم المغناطيسي هذه ، حدث شيء غريب فالمريض الذي كان لحد تلك اللحظة لطيفا ومكبوتا ، انفجر فجأة بغضب عارم ، وقال انه التقى دكتور هارت مرة واحدة في حياته ، وقهقهة بضحكة مغرورة عندما أخبر انه التقى دكتور هارت اكثر من عشرين مرة . وانكر كل احاديثه السابقة ، واكد انه يعاني من حالة صداع خفيف وبعد دقائق عاد الى تصرفاته وشخصيته المعهودة . وتعرف هذه الحالة في الطب النفسي (جون سمت وخمس الزجل) حيث اوضح هارت لمريضه انه يتمثل في الحياة في احيان كثيرة باربعة اخماس ويتمثل في احيان اخرى قليلة في خمس واحد فقط .

واخذت تتكرر شخصية الخمس هذه كثيرا بعد هذه الحادثة . ووصفها هارت بأنها « شاكّة واعتدائية » وتحمل عداء شديدا ومعلنا لدكتور هارت ، وتعاني شخصية الخمس من فقدات ذاكرة مطلق لشخصية جون سمث . وكانت جاهلة تماما بما دار في الجلسات السابقة . وغاضبة وشاكّة عندما

تسرد تلك الموضوعات . وقد افترض هارت وجود شخصية الخمس كحالة رفض متبلورة للعلاج . وتمثل حالات الهيام مع ما تمتاز به من التواصل الزمني الذهني حالة من حالات الانشطار .حيث تمثل حالة لازدواج الشخصية، كما في مريض هارت ، حيث تمثل حالة متقدمة من حالات تحكم جزء من اجزاء الشخصية بها . كما يتحكم بالشخصية في حالات تعدد الشخصية اكثر من جزئين . وتمثل حالة سبيل (شيربر Schreiber ١٩٧٥) أحسن مثال على هذه الحالة ، تلك المرأة التي تحوي على ما لا يقل عن ست عشرة شخصية فعالة ، كما سنذكرها لاحقا .

وسوف لن اتطرق في هذا المجال عند البحث في النماذج النادرة من الشخصية الانسانية الى حالات الازدواج المرافقة لذهان الفصام Schizophrenia حتى لو افترضنا جدلا وجود علاقة بينهما اذ تمثل حالات ذهان الفصام حالات مختلفة تماما . اذ يميز تصنيف الطب النفساني حالات ازدواج الشخصية وحالات تعدد الشخصية عن داء الفصام في ان الاولى تنضوي تحت عصاب الهستريا والتنويم المغناطيسي وحالات اخرى تمثل ظواهر مشتركة او على مفترق طريق علم النفس وعلم السلالات . حيث نجد من يزعم بامتلاك الارواح الشريرة والبريئة لهذه الشخصيات . ولهذا سوف لن نقتصر على بحث الحالات المرضية فقط .

وانما على الظواهر الغامضة والخارقة كما سوف نبحث الحالات الحقيقية مع الاشارة الى بعض النماذج الادبية الخيالية والتي لها صلة مباشرة بالموضوع، كقصة روبرت لويس ستيفنسون الشهيرة « دكتور جيكل ومستر هايد » والتي سوف تتطرق اليها بالتفصيل في الفصل القادم . وبعض القصص الاخرى التي تحظى باهتمام خاص في حقل علم النفس .

لقد اهمل انشطار الشخصية في السنوات الاخيرة دونما سبب مقنع .

فلا نرى باحثا يتطرق اليه الا اولئك الذين يبحثون عن تعليل علمي وواقعي لحالات الامتلاك الروحي او التقمص وبعض الظواهر الخارقة الاخرى وكان احد البحوث القليلة التي تطرقت لهذه الظواهر هو بحث راوكليف **Rawcliffe** الموسوم « الخداع الحسي والاوهام الغامضة والخارقة سنة ١٩٥٩م » • حيث لم تقتصر هذه الدراسة على فهم الامتلاك الروحي فقط بل تعدته الى الاستبصار Clairvoyance العرافه الباورية Crystal-Gazing الكتابة اللا ارادية automatic writing والارواح الشريرة Poltergists والتجارب التي تحدث في غرفة استحضار الارواح ، وقد وجد معظم العلماء في فكرة انشطار الشخصية كأداة مفيدة في هذا المجال من البحث • ومن الممكن تمييز تيارين رئيسين مؤثرين في حقل دراسة انشطار الشخصية ، سوف ندعوهما في بحثنا هذا ، مدرسة بيير جانيه ومدرسة مورتن برنسي (١٨٥٤ — ١٩٢٠) •

وقد اعجب جانيه بالجانب المرضى ، فكانت معظم الحالات المرضية التي درسها هي عصاب الهستريا واعراضها • على عكس مورتن برنس (والاخرين كبرنارد هارت) الذين استخدموا فكرة الانشطار بصورة عامة في حياة الانسان النفسية المرضية والسوية • وسوف يقتصر بحثنا على المدرسة الاخيرة لاعتقادنا بأن دراستنا لفترات فقدان الذاكرة وحالات عدم التوصل الزمني في الذهن وحالات سير النائم Somnambulism وحالات الهيام وحالات تعدد الشخصية دراسة مفصلة سوف يعمق فهمنا للشخصية الانسانية ككل •

ثلاثة جوانب مختارة (رغم وجود جوانب اخرى من الحياة اليومية الطبيعية قد تساعدنا كجسر للعبور الى الحالات النادرة والمثيرة من تعدد الشخصية وفهمها فهما جيدا • هي :

الادوار : Roles

ان كلمة دور مستعارة من المسرح . ففي الحياة اليومية (كما يذكرنا شكسبير) يلعب الانسان ادوا متعددة . فيكون في اليوم الواحد سائق سيارة وراجلا . بائعا وشاريا . عاملا ورب عمل . صديقا وعدوا .

وهنالك فرص كثيرة للنزاع بين الادوار وتناقضها . ويمكن ان تنشأ اعقد المشاكل من تبادل ابسط الادوار التي تتطلبها حياتنا اليومية .

ـ اجهزة الشخصية الثانوية : Personality subsystems

يعتقد الكثيرون ان كل شخص يحمل في داخله شخصيات متعددة ، ويعتقد بعض الاطباء النفسيين مثل اريك برين Eric Brene ان كل شخص في داخله ثلاثة اشخاص شخصية بالغة وشخصية اب ، وشخصية طفل . ويقولُ الشاعر والت وايتمان Walt Whitman : اني احمل عدة شخصيات احداها **شخصيةطفلعدائي للمجتمعوللانسانالمتحضر قد يظهر عندما اعاقر الخمرةـتلك** المادة الكيمياوية التي يقال ان الضمير الانساني قابل للذوبان فيها ـ كما اختار برنارد هارت الكتابه « عن المجالات المحددة بالمنطق في الشخصية » حيث رأى ان كل مجال من هذه المجالات معزول عن باقي الشخصية بعازل شفاف .

ـ التصويرات الذهنية : Mental Imagery

يقول فرويد في الاحلام « انها شيء غريب ينبع من عالم آخر » ويقول العالم النفسي ى ، ر هلكرد E.R. Hilgard (في الحلم ، يكون جزء منا مشاهدا والجزء الاخر ممثلا) ويزودنا الحلم بنوع من انواع التصويرات العقلية للصورة الانسانية . وقد نلاحظ ظهورا مفاجئا لتصويرات ذهنية في حالة يقظتنا ، تدهشنا ونحس انها غريبة عن شخصيتنا .. وقد يلاحظ بعض الاشخاص بين حالات النوم واليقظة نوعا ثالثا من التخيل . تكون فيه الصور حيوية مشابهه لصور الاحلام كصور عارضة سينمائية خاصة بالشخص ـ وتدعى هذه التصويرات بالتصويرات النعاسية التي لا تحدث كحالة ارادية

وانما تحدث كشيء غريب ولا ارادي • وتبدو الحالات التي سوف اتناولها في الواقع وفي الادب مبعثرة ومرتبكة للوهلة الاولى • وربما من الصعب الايغال في حياتها النفسية كبعض حالات تعدد الشخصية التي سوف اتناولها • ولهذا يبدو لي ان تناول تجارب تغيير الادوار المألوفة لدينا من خلال حياتنا اليومية• وكذلك من خلال التغييرات التي نلاحظها عند معاقرة الخمرة او اية مادة اخرى نحس بعدها ان مستر هايد القابع في دواخلنا قد اخذ زمام الشخصية ، وكذلك الدهشة التي تصيبنا نتيجة احلامنا وتخيلاتنا •

كل هذه الملاحظات ، ربما تسبر اغوار الفجوة التي تخلفها حالة الارتباك التي تبدو للوهلة الاولى • وسوف اقتصر عند تناولي لاية حالة على الاخيلة (الهلاوس) والظواهر المرضية التي في تلك الحالة وانما اتناول معظم الظواهر النفسية التي تحدث في الحياة اليومية مع شرح واف للظواهر الاخرى التي تغري الكثيرين للايمان بها كظواهر خارقة وغامضة اكثر من ايمانهم بها كظواهر بشرية وواقعية •

تحضى تغيرات الحالة النفسية الانسانية باهتمام علماء النفس البالغ فرغم اعتبار فن التنويم المغناطيسي ضربا من ضروب السحر لقرون عديدة •• اكد هلكرد في عام ١٩٧٣ م في بحثه الموسوم « عودة الى الانشطار Dissociation Revisited » على ان التنويم المغناطيسي يقدم ظواهر واعدة يمكن ان تخدم الباحث في دراسة الانشطار • فمنذ ظهور كتاب اتون مسمير Anton Mesmer الموسوم بـ « اكتشاف التنويم المغناطيسي في الحيوانات » في Discovery of Animal Magnetism في عام ١٧٧٩م وبعد ان غيرت تسميته الى النوام Hypnosis الغيت كل التفسيرات الخرافية لهذه الظاهرة كما شغلت هذه الحالة النفسية المتغيرة اذهان معظم الباحثين في حقل علم النفس • وكان في مقدمة هؤلاء ، رواد حقل علم النفس التجريبي الحديث

مثل وليم جيمس William James عام (١٨٤٢ ـ ١٩١١ م) ووليم ماكدوكيل William McDougall عام (١٨٧١ ـ ١٩٣٨) ، وكذلك اهتمام بعض الادباء مثل تشارلز ديكنز Clarles Dickens وادغار الن بو Edgar Allan Poe كما استقطبت علماء النفس التجريبين الواقعيي التفكير مثل كلارك هول Clark Hull في الثلاثينات ومارتن اورن Martin Orne وزينوفون باربر Xenophon Barber في السنوات الاخيرة .. وقد اقتنع معظم علماء النفس Hligard .. وعالم النفس المعاصر هلكارد بوجود رابطة قوية بين التنويم المغناطيسي وظاهرة الانشطار .

وكانت مستشفى سالبيرتير Salpetrier في باريس اهم وأول مركز لهذه الابحاث تحت اشراف شاركو Charcot (١٨٢٥ ـ ١٨٩٣ م) طبيب الامراض العصبية .. وقد تتلمذ على يد شاركو العديد من الطلبة المتميزين ، ما يهمنا في هذا المجال اثنان هما سيجموند فرويد Sigmund Freud وبيير جانيه Pierre Janet لانهما اسسا مدرستين مختلفتين تحملان أفكارا ومباديء متناقضة اذ لم يولع فرويد ومدرسة التحليل النفسي بظاهرة الانشطار ، بعكس جانيه الذي اصبح باحثا متحمسا في مواضيع الهيام ، الذهن اللا ارادي ، التنويم المغناطيسي وفقدان الذاكرة . لقد تعجب شاركو من مرضى حالات الهيام وكيف يستطيعون التنقل بحرية في جولاتهم هذه دون ان تعترضهم الشرطة وتوقفهم عند حدهم ، كما اضاف جانيه ، كيف يستطيعون اقتناء بطاقات السفر . وتناول وجبات الطعام والنوم في الفنادق . والتكلم الى عدد كبير من الناس .. دون ان يكتشفهم الاخرون كمرضى نفسيين (جانيه ١٩٠٧ ص ٦٠) .

وكان مريض جانيه الفرنسي كمثال على هذه الحالـة ، يتصرف بهدوء مرضيا الاخرين بشخصيته الجديدة فحالة الهيام هذه طيران على مستويين : طيران شخصية الى اخرى والتجوال بعيدا عن البيت والمدينة لايام واسابيع .. ولا يبدو " سلوك في هذه الحالة الجديدة طبيعيا فقط وانما غير عائق بالمرة .

وتبدو هذه المظاهر بصورة اوضح في حالة اخرى معروفة رواها وليم جيمس في كتابه « اصول على النفس » Principles of Psychology عام ١٨٩٠ م حدثت في امريكا . كان انسل بورون المبجل Reverend Ansel Bourne نجارا ، لكنه تحول فجأة بعد الثلاثين الى واعظ بروتستانتي ، واشتهر كثيرا بصفته الجديدة . وفي السابع عشر من كانون الثاني في عام ١٨٨٧م دخل بنكا في مدينة بروفد انس وسحب مبلغ ٥٥١ دولارا ولم يعد الى البيت . فاخبرت زوجته الشرطة بفقدانه . وبعد مضي شهرين اي في الرابع عشر من شهر اذار شوهد في شقة في مدينة نورستان في مقاطعة بنسلفانيا .. حين سأل جيرانـه متهيجا « اين انا » وكانت هذه الشقة فوق بائع للحلويات يعرف لدى جيرانه بأسم أ ، ج بروان . استأجر الشقة قبل ستة اسابيع . وقد عمل مستر براون خلال تلك الفترة بهدوء دونما اي شيء غير طبيعي ، ولكنه في تلك الساعة فقط اعلن انه انسل بورن المبجل وانه لا يعرف شيئا عن البيع والشراء .. كما ان اخر شيء يتذكره (والذي يبدوا البارحة) انه كان يسحب نقوده من البنك في بروفدنس . ولم يصدق مضي شهرين على تلك الحادثة ، واصبح في تلك الفترة أ ، ج . براون هادئا ومنظما ، اعاد ترتيب بضائع المحل واشـتـرى ما كان ينقصه ، وكان يحضر طعامه بنفسه في خلفية المحل وكان مواضبا على الذهاب الى الكنيسة .. وقد جاء بعض اقاربه في مدينة بروفدنس الى نورسـتـن لحل القضايا المتعلقة والعودة بأنسل بورن المبجل .. وعندما عاد الى مدينة بروفدنس نسى كل شيء تماما عن شخصية مستر براون .

وقد اجرى وليم جيمس عام ١٨٩٠ م بحثا عن التنويم المغناطيسي وقرر هو وزملاؤه تنويم بورن المبجل وعندما خضع بوروِن المبجل للتنويم المغناطيسي ظهرت شخصية مستر بروان ثانية ، مع نسيان كامل لشخصية بورن المبجل ، وعندما قوبل بالسيدة بورن تعامل معها كأنسانة غريبة لا يعرفها وعندما سئل عن بورن المبجل ، اجاب بأنه سمع عنه لكنه لم يقابله مطلقا وقد تمخض البحث عن تنائج مماثلة من فقدان الذاكرة بالنسبة لشخصية مستر براون عندما سئل بورن المبجل عنها . ولهذا لا يمكن ان تتصرف اي من هاتين الشخصيتين تبعا للمحيط او مجارية العالم الخارجي .

يمكننا ان نضع حالة بورن المبجـل بين حالات الهيام وحالات تعـدد الشخصية . وقد تعتبر هذه الشخصية في ظروف خاصة (تعتمد على الاراء الدينية والنفسية السائدة) كشـخصية من الشخصيات الخارقة والمعجزة . ونرى الكثير من حالات انشطار الاولى في الادب القصصي والخرافي .

لقد ظهرت نظره العلوم الطبيعية الى هذه الظواهر مع المريضـة ماري رينولـد Mary Reynolds التـي قدمهـا البروفسور ادريس ايلكوت Andres Ellecott عام ١٨١٧ احد اقاربها مع شرح تفصيلي لحالتها . ولدت ماري في انجلترا وترعرعت في فيلادلفيا ، وكانت ابنه معمد فلادلفيا ، ولهذا ترعرعت في بيئة دينية .. وقد اضافت ماري لنفسها طقوسا عباديـة وتأملات خاصة بها . وكانت طبيعية حتى الثامنة عشرة من عمرها حين اصيبت بحالات الصرع التي ابقتها صماء ومكفوفة البصر خمسة اسابيع ، اعقب هذه الحالة تطور اعقد واكثر درامية . حيث نامت نوما عميقا استغرق عشريـن ساعة ، استيقظت بعده لا تعرف شيئا عمـا يحيط بها . وقـد اعجب وليـم ماكدوكيل بهذه الحالة بعد مئة سنة حيث قال في كتابه « الملخص لعلم النفس المرضى » فيما يخص حالة ماري : « رغم معرفتنا القليلة لحالتها الا انها تشبه

بالتحديد عملية ولادة طفل » (ولا تخلو هذه العبارة من مبالغة ، حيث كانت ماري تستطيع نطق بعض الكلمات) • وقد استطاعت ماري في « حالتها الثانية هذه » ان تتعلم بسرعة واستعادت قابليتها على القراءة والكتابة والحساب • وكانت ماري في حالتها الثانية هذه « مرحة • مبتهجة للطبيعة لكنها ناسية تماما للحالة اولى وبعد خمسة اسابيع ، نامت نوما عميقا استمر عشرين ساعة استيقظت بعدها وهي في « الحالة الاولى » وهكذا اخذت هاتان الشخصيتان تتبادلان الادوار ، مع نسيان مطلق لكل منهما ، ما عدا حالات قليلة تحمل فيها « الحالة الثانية » صورا ضبابية اشبه ما تكون بالحلم عن حالتها الاولى • ومر الزمن ليثبت الحالة الثانية واخيرا اصبحت هي الرئيسة حتى موت ماري عام ١٨٥٤ م • بعدها كتب جانيه عن حالة « التجوال الليلي المتغلب Somnambulism dominating وقد كانت معظم حالات ازدواج الشخصية وتعدد الشخصية ذات نتائج مشابهة • ويظهر جزءا الشخصية مختلفي العمر ايضا ، حيث اخذ العلماء يلاحظون بعد هذه الحالة تكرار نماذج الشخصيات المزدوجة وحالة تعدد الشخصيات • فقام تايلور ومارتن باحصاء البحوث التي تتناول هذه الموضوعات في عام ١٩٤٤ م ، ورغم انهما كانا شاكين في واقعية هذه الحالات ، الا ان دراستها اقنعتهما بواقعية هذه الظواهر • وعرفا هذه الظواهر على انها « شخصيتان او اكثر تكون كل منهما بالغة وكاملة ، كأن تكون منسقة نسبيا ، غنية ، موحدة ولها حياتها المستقرة » واشهر ثلاث شخصيات في هذا المجال هي كرستين بيجامب Christine Beauchamp (درست من قبل مورتن برنس) ، وايف وشخصيتاها Sybil Dorsett الاخريان وايت ، وبلاك (درست من قبل ثايبجين وكلكلي) والشخصية الاخيرة هي سيبل دورسيت Sybil Dorsette وشخصياتها الست عشرة ، والتي تمثل حلقة الوصل بين فرويد وحركة التحليل النفسي والانشطاريين وعلى

رأسهم جانيه ، وليم جيمس ، مورتن برنس وليم ماكدوكيل وبرنارد هارت •
والتي كانت حالة نادرة وممتعة في حالات الشخصية التي عولجت من قبل
محلل نفساني • وسوف اتناول فحص ظاهرة الانشطار فحصا مفصلا في جميع
جوانبها واضعا في ذهني الحالات المذكورة سابقا ، مستخدما الاسلوب العلمي،
متناولا الوصف والتصنيف اولا وسأبذل جهدي في تعليل وشرح هذه الظواهر
•• وسوف استخدم تصنيفا مفصلا من تصميمي شارحا اربع حالات من حالات
العقل اللا ارادي ، والتي اخذتها كمصادر من الممكن ان تمثل حالة عامة تصلح
كقاعدة • وسوف استفيد عند حديثي عن الحالة العامة من بحوث جانيه
المبكرة لاعتقادي بأهميتها رغم اختلافها عن التيار الشائع اليوم • حيث لم
يتطرق جانيه الى سير النائم فقط بل ميز حالة خاصة هي سير النائم الليلي
nocturnal somnambulism في حالة اشمل واعم هي حالة سير النائم
Somnambulism • وتحدث حالات السير اللا ارادي في اليقظة ولهذا
يجب تمييزها عن حالات الهيام وحالات تعدد الشخصية • وكمثال على هذه
الحالة ، ما قاله لي احد الزملاء في احدى ملاحظاته • فبينما كان يكلم امرأة
في الاربعين من عمرها في غرفة اصبحت قلقة وغاضبة فجأة ، وانخفض رأسها
قليلا وبعد لحظات من الصمت اخذت تتكلم بصوت مشابهه لصوت طفل •
وبدأت تتحدث في هذا الصوت عن حوادث كان فيها عمرها اثنتي عشرة سنة •
، حيث توفى والدها في تلك الفترة ولم يخبرها اهلها لكنها استطاعت ان تعرف
الخبر فركضت الى شاطىء البحر واخذت تتوسل بوالدها بصوت الطفلة ان
لا يموت • واستمر الحديث خمس عشرة دقيقة اغمى على المرأة في نهايته •
فوضعت على السرير ونامت ما يقارب الساعة استيقظت بعدها في حالة نسيان
تام للحالة التي مرت بها وحوادث طفولتها ، وكانت مندهشة ، وسألت عما
كانت تفعله في السرير وماذا حدث لها في تلك الفترة الماضية • ويمكن اعتبار
هذه الحالات القصيرة كحالات سير النائم اذا ما قورنت بالفترات الاطول من

الهيام وحالات تعدد الشخصية وقد استطعت ان اميز أربعة انواع من الحركات اللاارادية مستخدما بحوث جانيه الرائدة في هذا المجال هي :ـ

العمل اللا ارادي الاول :

وهو مألوف في حياتنا اليومية ويشتمل الاعمال التي تعود عليها الشخص واصبحت كالعادة من كثرة التكرار كالضرب على الالة الكاتبة (الطابعة) وسياقة السيارة واللعب على آلة البيان • حيث يتمكن السائق المتدرب جيدا السياقة والتفكير بموضوع آخر ويتمكن كاتب الطابعة المتدرب جيدا على آلته والاصغاء الى متحدث • وتأتي اجوبة الاسئلة الحسابية في ذهننا لا ارادياً في جدول الضرب الذي حفظناه جيدا ، كما يمكننا توقيع أسمائنا دون التفكير بالعملية وبدون هذا العمل اللاارادي الاول تتحول الحياة الاعتيادية الى حياة صعبة جدا •

العمل اللاارادي الثاني :

وهو ما اطلقعليه جانيه « سير النائم الاحادي الفكرة Monoideic Somnambulism الذي قد يحدث لوحده عندما ينفس المريض عن حالة عاطفية شديدة سابقة في وقت قصير ضمن حالة نفسية متغيرة كما حدث لاحدى مريضات جانيه عندما كانت تعاني في فترات متقطعة من سير النائم تسرد فيها حادثة موت والدتها بفزع حيث كانت تشرف على تمريضها باخلاص • كما يمكن احداث حالات سير النائم بالتنويم المغناطيسي كما في حالة الايحاء في فترة ما بعد التنويم المغناطيسي في ابسط حالاتها • فمثلا يقال للمريض وهو منوم • عندما التقط منديلي تذهب الى الباب وتدير القفل وعندما يستيقظ المريض سوف ينسى الايحاء • لكنه (رغم عدم علمه بالتعليمات التي تلقاها) سوف يقوم بالعمل المطلوب عندما يتلقى الاشارة • واحسن مثال معروف لهذه الحالة

هو سير النائم الليلي (بلغ معدله في الاطفال في دراسة امريكية ٥٪) • وقد يكون سير النائم الليلي متطورا بشكل كبير قد يتحدث فيه المريض او يمشي او ينفس عن تجارب قديمة • وينحصر العمل اللاارادي في هذه الحالة بين النوعين الثاني والثالث •

العمل اللاارادي الثالث :

وقد اطلق عليه جانيه (سير النائم المتعدد الافكار) Polyideic Somnambulism وهو ما يدعى بحالة الهيام Fugue ويمتاز بأنه اكثر تعقيدا من النوعين السابقين ، كما يمتاز بتعدد الافكار • ويتمثل هذا النوع في كل من الشاب الفرنسي وبورن المبسل • ويمتاز بأنه اقل اهتماما لجلب اهتمام الاخرين لسلوكه في النوع الثاني ، فهو يتقن دوره الجديد بشكل يتجنب فيه فضول الاخرين • ويكون المريض فاقدا للذاكرة عن حالته الاولى كما في النوع الثاني •

العمل اللاارادي الرابع :

وهو اعقد الاعمال اللاارادية ، ويشمل الحالات النادرة من ازدواج وتعدد الشخصية • وقد اشار نيما Nemiah ١٩٧٥ م الى مئتي حالة منها في البحوث العالمية المختلفة • واشهرها هي التي قدمها مورتن برنس (كريستين بيجامب) ، والاوجه الثلاثة لايف وهي ايف وايت ، وايف بلاك وايف جين • وقد قدم جانيه قبلهما حالة فيلدا اكس Felida X حيث كانت في شخصيتها رقم ١ محافظة ، كئيبة ، خجولا كما كانت تعاني من عدة اعراض جسمية • اما في شخصيتها رقم ـ ٢ ـ فكانت تبدو بصحة جيدة نشطة ، مشرقة وشبقة • ويؤدي وجود هاتين الشخصيتين في بنية جسمية واحدة الى نتائج شريرة • فقد زارت فيلدا في احدى المرات طبيبها الخاص مستشيرة اياه عن بعض الحالات المرضية التي اعترتها وكانت في شخصيتها رقم ١ ـ • وعندما اصبحت في

الشخصية رقم ـ ٢ ـ ابتسست معتذرة له عن الازعاج لقد كانت الشخصية رقم ـ ١ ـ عالمة بأن الطبيب قد شخص حالتها وكان حائرا في كيفية ايصال تشخيصه الى الشخصية رقم ـ ١ ـ التي كانت ناسية الحوادث المهمة التي احدثت هذه الحالة المرضية • حيث كانت فيلدا حاملا •

ونرى هذا الاختلاف الواضح في معظم حالات تعدد الشخصية ، بين شخصية خجولة وكئيبة وبين اخرى على النقيض مرحة ، نشطة وشبقة وغالبا ما يكون الاصدقاء غير ملائمين لهذا المزاج المتقلب من الشخصيتين مما يؤدي الى حدوث بعض الخلافات الاجتماعية والشخصية الحادة • فنلاحظ في حالة ايف ، الانسة ايف بلاك (تحتفظ دائما باسمها العذرى) مما يؤدي الى غضب زوجها ورفضه المطلق لهذا السلوك • كما نلاحظ مقت وبغض ايف بلاك لابن ايف وايت • وقد لاحظت شخصيا الكثير من هذه المشاكل ، فقبل بضع سنين تعرفت على واحدة من توأم متطابق • والمزعج في هذا المثال ان احدى هاتين التوأمين ماتت بحادث سيارة مما عرض الاخرى لمضايقات واشكالات معارف اختها المتوفاة حيث يشتبه الناس بهاتين الاختين • وهنالك امثلة كثيرة على هذه الاشتباهات في العلاقات الاجتماعية واهمها هي سيبل دورست وشخصياتها الست عشرة •

ان هذه الانواع الاربعة ما هي الا خطوط عريضة من الممكن ان تستنبط منها تصنيفات ادق • ففي الحد الفاصل بين النوع الاول والثاني يمكننا مشاهدة ظواهر ممتعة كالكتابة اللاارادية والعرافة البلورية والتخيلات الشخصية • والانواع المختلفة من احلام اليقظة واحلام النعاس وما يسمى باحلام التجلي فبينما يمثل الحالات في احد قطبيها حالة سوية تمثل في قطبها الثاني حلقة الوصل بين الانشطار والعمل اللاارادي الثاني والثالث والرابع • وغالبا ما نلاحظ ارهاصات التخيل العقلي ولحظات الالهام في حياة الكتاب

والرسامين والفنانين بصورة علامة • وسوف نبحث علاقة النماذج الادبية والفنية ودقائقها وعلاقتها بالانشطار في فصول لاحقة • وما يهمنا هنا هو الخوض في غمار بعض النماذج الاخرى • وتقول كاتبة الاطفال ايند بلايتون Enid Blyton : ان تخيلها الذاتي كان المعين الذي لا ينضب لمعظم كتاباتها • وهو ما تسميه (ما دون الوعي under mind) وقد اخبرتني بسلسلة من رسائلها الفاتنة عبر سنين طويلة كيف الف ما دون وعيها مع كامرة السينما الخاصة به كل قصصها •• وقد اشار كاتب سيرتها (ستوني Stoney عام ١٩٧٤ م) الى كيفية استطاعة تحيلها الذاتي في السنين اللاحقة الطفو في بحيرة وعيها ليمنعها من مواصلة حياتها العقلية الطبيعية •

ويبدو ان الاحلام والكوابيس قد اثرت بصورة جذرية على افلام وقصص الرعب ، فنجد هوراس ولبول Hurace Walpole يحلم بيد عملاق ضخم في درع تتسلق عمودا في قفص ضخم في قلعة قديمة جدا فيستيقظ صباحا ليكتب (قلعة اوترانتو The castle of otranto) وسنرى في الفصل القادم كيف كان اصل دكتور جيكل ومستر هايد كابوسا مشابها استطاع ستيفنسون ان يوظفه في كتابة قصة •

وقد استخدم كل من جارلس لامب Clarlis lamb وتوماس دي كوينزي Thomas De Quincey التصويرات النعاسية كمادة لكتاباتهما الادبية • ولعل من الممتع في مجال التخيلات النعاسية ما وصفته اميلي برونتي Emily Bronté في مرتفعات وذرينج • عندما حكى الراوية تجربته المثيرة عندما قرأ كلمة كاترين قبل النوم •• وعندما خلد الى النوم رأى ضوءا ساطعا في الحروف البيضاء بدت في الظلام حيوية كألوان الطيف وانتصبت في الهواء لتكون اسم كاترين • وقد تحدثت اخت اميلي (شارلوت برونتي) في الفصل

الثـامن والثلاثين من قصتهـا (فيلليتـي Villette) عن السيدة سـنا وكيف اخذت التجوال في المدينة بعد ان اعطيت دواءا لمعالجة المها • وقد بدت المدينة متألقة بشكل غريب ضوء ساطع •• منظر غريب ومثير •• انه اغرب من الاحلام » وقد اعترفت شارلوت بأنها لم تعرف او تتناول الافيـون لكـن صديقتها السيدة كاسكيل (التي تعرف الافيون جيدا) كتبت تقول ان هذه التجربة كالتي رأيتها تماما (هايتر Hayter ١٩٦٨) ان ما فعلته شارلوت برونتي هو الاستفادة من تخيلاتها النعاسية •• واستطيع ان اجزم انها فعلت الشيء نفسه هنا •

ويمتد استخدام المواد الكيمياوية لزيادة الاخيله (الهلاوس) الى عصور ساحقة ويمتلك تأريخا حافلا وملونا • وتنحصر ابحاثي الخاصة في هذا المجال بالعقاقير التي تحدث الاخيله (الهلاوس) Hallucinogens وخاصـة المسكالين Mescaline • وقد لاحظ معظم الباحثين تشابه هذه التصويرات مع التصويرات النعاسية • وقد لاحظت التشابه بين التصويرات التي تحدثها معظم العقاقير مثل المسكالين والبسلوسيبين Psilocybin وال ل•س•د L. S. D. وان الحالات التي تحدثها هذه العقاقير من تغيير في التفكـير وانشطار ذات فائدة قصوى في البحث العلمي • ومن الممكن ملاحظة خمس ظواهر عند استخدام هذه الادوية عد تفيدنا في تقويمنا للظواهر الانشطارية هي :

ظواهرها الخاصة ، تصنيفها وطبيعة عملها :

التخيلات (التصويرات) البصرية الذاتية : (Autonomous visual Imagery)

وتبدو هذه الصور آتية من اجزاء الشخصية لكنها غريبة عن الشخص •

عدم التواصل الزمني الذهني :

وتشبه الى حد كبير الاعمال اللاارادية من النوع الثاني والثالث والرابع وقد يتعرض الشخص الى فقدان لكثير من الحوادث السابقة ، مما يكون له نتائج خطيرة . فمثلا يظهر اشخاص في اجزاء مختلفة من الغرفة فجأة ولا يظهر انهم يتحركون باستمرار فيها .

تغيير هيئة الشخص في ذهنه : Body - Image changes

وهي من الظواهر الشائعة . فلدى كل شخص منا تصور عن جسمه كجسم في المحيط ، وعلاقة أعضائه ببعضها . وقد يتغير هذا التصور . فيحس الشخص انه انكمش ليصبح كنملة او انه نما ليصبح عملاقا كتجربة اليس عندما اكلت الفطر في الجزيرة السحرية . ويكون لكل جزء من الشخصية تصور خاص عن طبيعة جسمه في حالات تعدد الاشخاص كما في حالة سيبل دورسيت.

العواطف المنشطرة : Dissociated emotions

لا توجد علاقة بين الكآبة والنشوة وبعض العواطف الاخرى التي تحدث في هذه الحالات بالحوافز الحسية والهلاوس (الاخيلة) . لكن الفرد يحاول تبريرها على انها نتيجة للحوافز الحسية والهلاوس التي تحدث في الوقت نفسه.

الهلاوس (الاخيلة) : Hallucinations

ويؤدي تناول هذه العقاقير الى حدوث الهلاوس البصرية اكثر من الهلاوس السمعية . فتبدو حياة الشخص العقلية معروضة في العالم الخارجي وتتجسد في الخارج بدلا من نشوئها داخل الفرد . عندما حاولنا انا وهنرى تون Henry Tonn في عام ١٩٦٧ م تقويم تجاربنا النعاسية ، ناقشنا امكانية اعتبار ظاهرة الانشطار كقاعدة تبنى عليها نظرية نفسية فكتبنا « هل يمكننا اعتبار ظاهرة الانشطار الكل او العدم ؟ وهل ان الانشطار كظاهرة لا

تحوى درجات ؟ لان شخصية الانسان تعمل في معظم الاحيان ككل منظم • وتكون أجزاؤها متوافقة ، ولكن هنالك استثناءات لهذه الظاهرة •

تأسف برنارد هارت كثيرا في رسالته الى المجمع النفسي البريطاني في عام ١٩٣٩ م عن التجاهل والاهمال المطلق الذي لقيته ظاهرة الانشطار وكان ذلك بسبب تأثير فرويد وحركة التحليل النفسي على هذا التيار (انشطار) • حيث درس فرويد حالات عصاب الهستريا واستعمل التنويم المغناطيسي في دراسته لها تحت رعاية شاركو في باريس ، وقد درس تطور هذا الاسلوب على يد ليبولت ، Leibanlt وبيرنهايم Bernheim في نانسي وكانا يستخدمان التنويم المغناطيسي ايضا • ولكنه ترك هذا الاسلوب فيما بعد لاعتبارات عديدة ليتبع اساليب اخرى • وقد غطى فرويد بأبحاثه ابحاث مدرسة الانشطارين الامر الذي جعلها مغمورة ولم تحظ بنصيب كبير من الشهرة لكننا بدأنا تتلمس الان علامات انتعاش مدرسة الانشطاريين • بين علماء النفس المحدثين خصوصا على يدي ، رهلكارد وجاء الوقت الذي يتوجب علينا ان نعيد النظر فيه بدقة عن علاقة الانشطارين (خصوصا جانيه ، برنس ، جيمس ، هارت ، ماكدوكيل) بعلم النفس وكيف يستطيعون ان يتوصلوا الى فهم اعمق للشخصية الانسانية • وسوف اتناول في هذا الكتاب مكتشفات علم النفس في بحثه لحالات الانشطار الحقيقية من الحالة التي قدمها ستارلنك (سيبل دورسيت وشخصياتها الست عشرة) الى الظواهر الشائعة في الحياة النفسية السوية) كما أتمنى ان اسلط الضوء على بصيرة بعض الادباء والاديبات النافذة بعيدا عن القصص الخرافية • (كما ان لدينا الكثير كي نقوله عن تأثيرات الاحلام والتخيلات والادوية والتجارب الحياتية للادباء والفنانين) • حيث تحتاج عملية خلق شخوص قصصية مقنعة الى ملاحظة ومعرفة دقيقتين للنفس الانسانية •• وهنالك الكثير من الادب القصصي الذي تناول

الاضطرابات النفسية والذي سوف ندرسه منصلا •••• ويقدم الكتاب بين حين والاخر في اعمالهم الدرامية شخصية اطلق عليها انا (عالم النفس الادبي) حيث نلاحظ في مسرحية ابسن (الوزه البرية) Wild duck الطبيب المادي دكتور رينلنك Dr. Relling الذي يتبنى النظرة النفسية في كل المسرحية ليصبح لسان حال ابسن وبصيرته في اعماق النفس الانسانية سابرا اغوار دوافعها ، وعندما يسيطر اللاوعي الماكر على الافعال العاطفية • ويستخدم ابسن شخصية مشابهه في مسرحية براند Brand كي يعبر عن النوازع المدمرة (بكسر الميم) التي تكمن وراء تعصب وتزمت باستور برانت •• ولا تبدو هذه الامثلة بعيدة عن مقولة فرويد •••• عندما يضطرب الضمير •• فان ما يبقى متأرجحا في البيئة هو الغرائز الميتة » ••••

لقد حلل الكتاب المبدعون الدوافع الانسانية منذ القديم ابتداءا بالتراجيديا الاغريقية مرورا بشكسبير وانتهاء بالروايات النفسية الحديثة • وقد زودنا عالم المسرح بصورة وصفية لا تحصى عن انفسنا وقد اخترت في بحثي هذا نماذج تتناول ظاهرة الانشطار ولم اختر روايات الصراعات النفسية • ويحتل الاديب الروسي دستوفوسكي مكان الصدارة في هذا المجال ، حيث كان مصابا بالصرع ، ولهذا امتلك فهما عميقا للحالات النفسية التي يولدها مرض الصرع•

فاستخدم في كتابه الممتلك (بفتح اللام) The possessed فكرة امتلاك الارواح الشريرة للانسان لدراسة المعتوهين في محاولة رمزية لدحض او مقاومة سلطة القيصر الاستبدادية • وتشكل فكرة الصراع بين الخير والشر في الانسان الواحد الفكرة الرئيسة لرواية الاخوة كرومازوف • كما ترى تحليلا عميقا ومفصلا للانشطار والهلوسة والانا الحاقدة في هذه الرواية •

وتمثل قصة ستيفنسون المرعبة دكتور جيكل ومستر هايد نموذجا اخر على مثل هذه القصص .

عاش ستيفنسون بين عـام ١٨٥٠ ـ ١٨٩٤ م . وعاصر الروائي هنري جيمس اخو العالم النفسي وليم جيمس الذي درس ظاهرة الانشطار ايضا . ويقول مورتن برنس عنه « لقد ساهم ستيفنسون بخياله المبـدع ... في الاكتشافات والابحاث النفسية » .. وسوف نتناول بتفصيل في الفصل القادم اسهامات الادب المبدع في الاكتشافات النفسية .

الفصل الثاني

دكتور جيكل ومستر هايد

— The Jekyll and Hyde Syndrome —

تمثل رواية روبرت لويس ستيفنسون (١٨٨٦ م) أشهر حالة لازدواج الشخصية ، وتحظى باهتمام الباحثين في حقل انشطار الشخصية . والمثير فيها أن احداثها أتت الى ذهن ستيفنسون عن طريق كابوس مرعب كان يصرخ خلاله بقوة ، وحين ايقظته زوجته ، قال لها لائما : كنت احلم بقصة خرافية مثيرة .

ولا تأتي هذه الاحلام الا الى اذهان مهيئة لها ، أذهان كتاب اعتادوا على استخدام عملياتهم العقلية والذهنية كمادة أولية في قصصهم . لقد قال ستيفنسون عام ١٨٩٢ م «منذ طفولتي كنت أحلم احلاما عنيفة وغير مريحة» . وقد كتب عن نفسه بصيغة الشخص الثالث « لقد اعتاد منذ زمن بعيد أن يحلم احلاما متسلسلة ، وبهذاكان يعيش حياتين .. الاولى في النهار والثانية في الليل» ثم استطرد في حديثه ليقول «انه لم يكن يبحث عن طريقة للتسلية كي يهييء نفسه للنوم عندما يضطجع بل كان يبحث عن قصص مثيرة صالحة للنشر» .

لقد قالت ايند بلايثون عن ما دون الشعور (subconscious) بأنه المعين لسينمتها الخاصة بها . كما تحدث ستيفنسون عن « اناسه الصغار » الذين يعملون الليل لحسابه كي ينتج قصصا للسوق صباحا . لقد امضى ستيفنسون يومين متتاليين يجهد وعيه وذهنه في حل معضلة في قصة دكتور جيكل ومستر هايد . فحلم في اليوم التالي بمشهد « وهو مطاردة مستر هايد بعد ارتكابه جريمة ، فتناول مسحوقا حوله الى شكل اخر امام مطارديه » . وقد انجز ستيفنسون بقية القصة وهو يقظ وفي كامل وعية .

ونلاحظ في قصة ستيفنسون صراعا عنيفا بين قوى الخير والشر ، وبين الانسان الطيب المحب للخير « دكتور جيكل » وبين الانسان الشرير « مستر هايد » . لقد كان هايد مشبعا بحقد كبير لدكتور جيكل ، ويتخذ هذا الحقد طرقا عدة للتعبير عن نفسه كالكتابة اللاارادية .

ويقول جيكل عنه « انه يخربش بيدي على كتبي ودفاتري ويوجه الي الاهانات » • وقد يكون الصراع والحقد الشديد والكتابة اللاارادية كمظاهر اساسية لحالات انشطار الشخصية ، كما سنرى لاحقا •

لقد كان ستيفنسون مشغول البال بالالهام Revealing منذ البداية فقد نشر في عام ١٨٧٩ م مع هنلي E.W. Henley مسرحية الحياة المزدوجة أو الشماس برودي The Double life (Deacon Brodie) وقد مثلت وقدمت على مسارح برادفورد لاول مرة في عام ١٨٨٢ م • « وفكرتها الاساسية هي تعاقب الليل والنهار » والشر الذي يكمن وراء أوجه الخير في الانسان • لقد تناولت المسرحية واقع حياة وليم برودي حيث كان يعمل صباحا كسائق ملتزم وليلا كرئيس عصابة من اللصوص لقد كان برودي شخصية تأريخية وكان صديقا ومرافقا لروبرت بورنس (وقد اختير عنوان الشماس دلالة على انه رأس للجريمة) وقد حكم عليه بالاعدام شنقا عقابا له على الجرائم التي اقترفها في ادنبره •

وفي المسرحية ، يدخل برودي مسرعا خلال الباب ليغير ملابسه ويقول « في الليل تظهر نفوسنا الحقيقية عارية ••• النهار لهم ••• والليل لي • » لقد ترعرع ستيفنسون مشبعا بقصة برودي حيث كانت مربيته كالفينية المذهب ، فزرعت في نفسه فكرة الخوف من الشيطان والجحيم ، وكثيرا ما امتعته بقصص برودي ، وغالبا ما كانت تصطحبه لرؤية نهاية برودى في زقاق ضيق من ازقة ادنبره القديمة • وهكذا كتب ستيفنسون الجزء الاول من مسرحيته وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره •

وبين مسرحية برودي وقصة دكتور جيكل ومستر هايد ، كتب ستيفنسون قصته القصيرة المخيفة ماركهايم Markheim عام ١٨٨٥ م • وكان ماركهايم لصا يقتل ضحاياه من اجل السرقة ثم يهلوس ويتكلم مع الشيطان • وقد تحدث

السير سيدني كولفن احد اصدقاء ستيفنسون المقربين عن « حوار ماركهايم مع نفسه الاخرى » لقد جسد ستيفنسون فكرة عصاب الجريمة القسري في هذا الانسان الشيطاني والتي تعبر ببساطة عن رفضه لنفسه . ولم تكن هذه الفكرة جديدة على تراث الادب العالمي فهي فكرة اسطورة فاوست الاساسية. ففي العصور الوسطى (عصر الخرافات) كان يعتقد أن امير الظلام شخص حقيقي ، وتفسر كل محاولات الاغواء والضلال على انها تجسد للارواح الشريرة . ويقول أحد كتاب سيره مارتن لوثر (فريد ينشيال) « لم يكن مرافقي رهبان ونساك الصحراء في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الا العفاريت والشياطين بازياء مختلفة » وأضاف « ان زهدهم وتقواهم المبالغ فيهما لم يستطيعا حمايتهم من محاولات الاغواء التي يقعون فيها . ولم يكن الاعتقاد بالامتلاك الروحي والاضطهاد من قبل الارواح الشريرة مقتصرا على القرون الوسطى فقط ، كما سنرى لاحقا .

ونرى نقيض هذا الاتجاه في دراسة عبادة الشياطين والعفاريت demonology عند كارل يونك Carl Jung (١٨٧٥ - ١٩٦١ م) . حيث افترض يونك فرضية « ظل النفس الواعية » ، ووصف هذا الظل بأنه العنصر المكبوت من الشخصية . والذي يكون غالبا وليس دائما مصدر تعليل انشطار لشخصية الفرد وشخصياته الاخرى . ونلاحظ اكتشاف دستويوفسكي لنفس الفكرة في رواية الاخوة كرومازوف عام ١٨٨٠ م . حيث اعطى تحليلا مفصلا « لحمى الدماغ Brain Fever عند بطله ايفان كرومازوف والذي يشبه الى حد كبير ماركهايم عند ستيفنسون حيث يهلوس مع ظله الشرير ، وتتطابق مع ماركهايم عندما يرى ايفان الشيطان ويحادثه فيروي لاخيه هذه الواقعة قائلا « انه نفسي يا أليوشا .. وكله ينبع مني .. وكله حقير وتافه .» . لقد اخذ دستويوفسكي بنظر الاعتبار احتمال انتقال الحالات الانشطارية وراثيا

فأشار الى والدة ايفان « صوفيا » التي كانت تعتريها نفس الحالة النفسية التي غالبا ما نشاهدها في النساء القرويات واللواتي يقال عنهن « أنهن امتلكن روحيا بالشياطين » •

ولم تقتصر مشاركة دستويوفسكي في هذا المجال على رواية الاخوة كرومازوف ، حيث كتب قصة قصيرة مبكرة بعنوان الزوج The Double عام ١٨٤٦ م تحمل نفس علاقة مسرحية برودي بقصة دكتور جيكل ومستر هايد عند ستيفنسون • وقد وصف كروصمان Grossman احد كتاب سيرة دستويوفسكي قصة الزوج بانها « قصة تتناول اعماق الشخصية المنشطرة » (كروصمان ١٩٧٤ م) • ولعل من الممتع ان نسوق تعليق دستويوفسكي على فشل قصته القصيرة المبكرة هذه ، حيث قال « لماذا يتوجب علي خسارة فكرة رائعة • شخصية اسمى من نطاق الاهمية الاجتماعية ، شخصية كنت اول من اكتشفها أو بالاحرى ابتكرها » (كروصمان ١٩٧٤) •

اذا تركنا فترة ما قبل العلم (فترة الخرافة واسطورة فاوست) وتفسيراتها لهذه الظواهر يبدو لنا اننا اقتربنا من اصل فكرة الشخصية المزدوجة ، في الادب على الاقل • حيث تعالج قصة دستويوفسكي القصيرة حياة السيد كوليدكين النفسية الغريبة الاطوار •• عندما يقابل السيد كولدكين الصغير ويصادقه •• وفي جو مشتعل بالاحساس بالاضطهاد وعدم التواصل الزمني الذهني يبدأ الرجل التعيس محاورة والتماس شخصيته الاخرى ، وبالتالي يستطيع هذا الزوج السيطرة على شخصيته ويعيش حياة اعتيادية • وتشبه هذه القصة الى حد كبير قصة ماري رينولد الحقيقية كما تشبه حالة التجوال الليلي المتغلب Dominant Somnambulism التي تكلم عنها جانيه فما بعد • وتعتبر حالات هلوسة الشخص لجسمه[1] autoscopic Hallucination

---

(١) حالة يرى فيها المريض جسمه متحركا امامه كشخص غريب عنه . «المعرب»

من الحالات النادرة كحالات تعدد الشخصية • فيكون التفسير العلمي الواقعي لهذه القصة هو امتثال جسم الشخص امامه في حالة من حالات هلوسة الشخص لجسمه في محاولة لابتلاع هذا الكائن البائس (كوليدكين) •

ومن الممكن ان نعثر على بعض مواد القصة الخام في حياة دستويوفسكي النفسية المضطربة وشخصيته المصابة بالصرع • كما يعطي دستويوفسكي في اماكن اخرى كما في رواية الابله شرحا دقيقا ومفصلا على مثل هذه التحولات في شخصيته • لقد كان دستويوفسكي صديقا لطبيبه الخاص ياونوفسكي Yanovsky وغالبا ما كان يستعير منه الكتب التي قال عنها الدكتور ياونوفسكي « انها كانت خاصة بامراض الدماغ والجهاز العصبي والحياة العقلية » ورغم ان قصة « الزوج » لم تكن نجاحا في حياة دستويوفسكي كما لم تكن مسرحية برودى بالنسبة لستيفنسون ، الا انه لم ينس نمط شخصيتها ـ كما سنلاحظ عند نظرتنا نظرة اعمق الى قصة ايفان كرومازوف •

يدور محور احداث رواية الاخوة كرومازوف حول جريمة قتل الاب الذي يكرهه الاولاد الاربعة ديستري ، رغم براءته ، لديه محاولة فاشلة لقتل والده • وحاول ايفان الدفاع عن اخيه عندما اتهم بقتل أبيه ، ولم تقبل شهادته لا لانه مصاب بحمى الدماغ ولكن لمحاولته الاستشهاد بنتاج هلاوسه (الشيطان) في قاعة المحكمة كدليل براءة • ورغم محاولة عباقرة علم النفس كجانيه ، برنس ، بلولر دراسة ظاهرة الانشطار والكتابة عنها الا انهم لم يفلحوا في وصفها وتجسيدها كما فعل دستويوفسكي • حيث استطاع من خلال فهمه للانشطار ان يجسد علم ايفان من وقت الى اخر بأن الشيطان الذي يراه ويكلمه ما هو الا جزء من نفسه • ورغم احتفاظ دستويوفسكي بالارضية الواقعية في تفكيره ، لمح للخرافة في هذه الرواية ، حيث يحاول ايفان في احدى المرات الامساك بقدح وقذف الشيطان به ، ونوه « وتذكر محبرة لوثر » • وتشير

هذه العبارة الى قصة قديمة ، حين قذف لوثر الشيطان بمحبرة وكان هذا الشيطان من ابتداع هلاوسه أيضا . وكان ما يزعج ايفان كرومازوف هو صراع رهيب كالذي كان يعاني منه لوثر . لقد كان ايفان شاعرا بامكانية وجود شيطان انساني قد يكون في داخله هو . وقد قال سابقا ، اذا لم يكن الشيطان موجودا فأن الانسان قد خلقه من خياله وتهويماته . وقد قال في لحظة من لحظات تألق بصيرته الى شبح هلاوسه « انا الذي اتكلم ، أنا نفسي . وليس انت ... أنت كذبة ، أنت مرضي ... أنت هلاوسي ، أنت تقمص لشخصيتي ، ولكن وجه من اوجهي فقط ... لافكاري وشعوري ،... ولكنك اقذرها واغباها » .

لا يمكننا مساواة الانشطار بالكبت ، لان الانشطار يشمل اشياء اخرى، ولا يتمكن الانسان التعامل مع الصراع النفسي Conflict بالنسيان فقط، ولكن بالانشطار في اجهزة الشخصية الثانوية Subsystems والتي تعمل فيما بعد كاجسام غريبة عن الشخصية . فنلاحظ كبت الذاكرة والحوافز العائدة لاجزاء الشخصية الثانوية في بصيرة ايفان التي يدرك بها « كل افكاري الحمقاء تنمو ، تتموج وتصطلي بالسياط وتطير كجثة ، لتتقدم الي كشيء جديد» لقد وصف الفيلسوف Nietzche دستويوفسكي بقوله « انه عالم النفس الوحيد الذي الجأ اليه عندما اريد أن اتعلم أي شيء عن النفس البشرية » لقد كانت لديه دائما صيغة المناسبة ، حيث تقول الذاكرة « عملته » ويقول الكبرياء « لم اعمله » وتربح الذاكرة في النهاية . لقد وصف دستويوفسكي وجسد العلاقة بين الكبت ونتائج الفعل الذاتي للاحداث المكبوتة والانشطار في احدى المرات عندما قص الشيطان على ايفان قصة الرجل الذي حكم عليه بالسير كدريليون[1] ميلا . لقد ايقن ايفان انه قد كتب تلك القصة عندما كان

(١) الكدريليون quadrillion : واحد امامة خمسة عشر صفرا . (المعرب)

في السابعة عشرة من عمره • والتي كان قد نسيها تماما • وبهذا كانت احلامه وتخيلاته صانعه للشيطان ، ولهذا اعترف مبتهجا انه قد امتلك الدليل الآن فقال : « انت حلم ، وليس كائن حي » •

لقد استطاع دستويوفسكي أن ينقل صراعات ايفان النفسية وعنف رفضه للانا المتغيرة (كما رفض جيكل مستر هايد) بحيويـة على الورق ، كما أن وضعه يشابه كثيرا الحالات اللاحقة من تعدد الشخصية • لقد كان غضب ايفان وانفعاله الشديد وكرهه لشبح هلوسته ـ أحد اجزاء نفسه ـ واضحا مـن بداية الرواية الى نهايتها • وقد عبر عن شعوره هذا لاخيه الوشا فقال : « كم أكون في قمة السعادة عندما أفكر أنه هو وليس أنا » لقد جزأه الصراع النفسي لكنه كبت ما يجب أن يكرهه من نفسه ، واسقط الجزء المكروه من الذات وبدأ يهلوس ، لقد صور دستويوفسكي ، ايفان على انه باحث هادىء وغير عاطفي في بحثه عن انشطاره ، مناضل نحو النهاية المرة مع الافكار المتصارعة « بين الخير والشر » والتي سوف تقهر Nietzche فيما بعد • لقد كانت بصيرته في الانشطار والهلوسة وازدواج الشخصية كالامتحان الطويل الامد • لقد كان ايفان كرومازوف حاملا الكثير من مزايا صانعه (دستويوفسكي) يطمح بكل ارادته الوصول الى تحليل علمي وواقعي للانشطار •

التقويم الزمني للادب الروائي النفسي

١٨٣٩	ـ ادغار الن بو	ـ وليام ولسون
١٨٤٦	ـ دستويوفسكي	ـ الزوج
١٨٤٩	ـ مارفيل	ـ ماردي
١٨٦٨	ـ كولنز	ـ مونستون
١٨٧٩	ـ دستويوفسكي	ـ الاخوة كرومازوف
	ـ ستيفنسون وهنلي	ـ الشماس برودي (الحياة المزدوجة)

١٨٨٥ ــ ستيفنسون ــ ماركهايم

١٨٨٦ ــ ستيفنسون ــ دكتور جيكل ومستر هايد

ننتقل الان من روسيا الى انكلترا ــ حيث الصديقان الحميمان تشارلز ديكنز وولعه الشديد بالتنويم المغناطيسي وحالات النشوة التي ترافقه وولكي كولنز وولعه بسلوك المرضى في حالات التجوال الليلي Somnambulism لقد اظهرت روايته مونستون moonstone بعد سنتين من رواية دستويوفسكي « الجريمة والعقاب » وتعتمد حبكة رواية كولنز على السلوك المتغير لمريض في حالته النفسية المتغيرة حيث اختفت قطعة من الاحجار الكريمة وظن انها سرقت، وعندما تقدمت أحداث القصة تبين أن فرانكلين بليك قد أخذها في حالة من حالات سير النائم التي اعترته بعد أن تناول منقوع الحشيش الذي دس له دون علمه • وعندما استيقظ كان ناسيا تماما لهذه الاحداث •

وكان في حالات اليقظة التامة ناسيا تماما تلك الاحداث ، وتعرف هذه الحالة في علم النفس بحالة التعود . Moby Dick • وعندما دس له منقوع الحشيش مرة اخرى أعاد نفس العمل • والممتع في القضية أن الشخصية التي كشفت عن هذه الاحداث كانت متتبعة لكتابات دكتور اليوتسون ، الذي كان رائدا في استخدام التنويم المغناطيسي لتقليل حالات الالم في العمليات الجراحية ومعلم تشارلز ديكنز للتنويم المغناطيسي • وفي هذه القصة يستشهد الكاتب بحادثة رواها اليوتسون في كتاباته عن « فراش ايرلندي » • ينسى عندما يكون صاحيا كل ما فعله وهو سكران وعندما يسكر ثانية يستعيد كل أعماله في حالة سكره الاولى •

وهذه الحالة هي الوحيدة التي اعرفها من « حالة التعود » في الادب ؛ وأنا مدين لزميل جلب انتباهي اليها ، كما أدين له لاطلاعه لي على حالة تعود حقيقية حصلت له • حيث كان مدعوا الى حفلة شرب في احدى الاماسي • وقد

دعي في أثنائها الى الجامعة ، فذهب وقابل بعض الطلبة . ولم يستطع أن يفسر في صباح اليوم التالي ، لماذا ذهب الى الجامعة كما لم يتذكر الطلبة الذين قابلهم هناك وصادف ان التقى في اليوم التالي بأحد الزملاء الباحثين في تأثير الكحول على الذاكرة ، فشرحا حالة التعود معا وناقشا قضية نسيان الاستاذ ، فوجد الباحث الحل ، وأخذ الاستاذ الى المختبر وأعطاه كمية جيدة من الفودكا التي يستخدمها في بحثه . فاستطاع الاستاذ أن يتذكر سبب ذهابه الى الجامعة والطلبة الذين التقاهم في تلك الليلة ، وقد قورنت النتائج مع الطلبة والمعينين فظهرت مطابقة .

لقد ركز فشر في كتابه (سيكال والرب ١٩٧٥) على مثال مشابه من فلم شارلي شابلن الذائع الصيت « أضواء المدينة » City lights أنقذ شابلن مليونيرا من محاولة انتحار وهو تحت تأثير الخمرة ، فكافأة المليونير بأخذه الى قصره واطعامه طعاما دسما واكرامه وفاء له على عمله . وعندما أفاق المليونير صباحا وصحا من تأثير الخمرة ، وكان ناسيا تماما ما حدث أمس، ولم تكن لديه أية فكرة عن هذا المتشرد الصغير ، فأمر رئيس الخدم بطرده ، وبعدها بقليل شرب المليونير الخمرة وتذكر المتشرد فأصبح صديقه ثانية .. وهكذا تكررت الحوادث ... يصبح صديقه .. يطرده خارجا .. يصبح صديقه .. يطرده خارجا .. الخ .. لقد شرح رونالد فشر هذه الحادثة كمثال على حالة التعود ، وقال تمثل هذه الحالة الكثير من الحالات التي يتذكر فيها الشخص حوادث تأثير الكحول ولا يتذكرها مطلقا في حالته الطبيعية ..

وقد ظهر تحسن الذاكرة بشكل واضح وملحوظ واحصائيا .. لقد لاحظ ولكي كولنز ظاهرة حالة التعود هذه . وربما كان قد تعلمها من أبحاث اليوتسون على حالات التجوال الليلي والتنويم المغناطيسي . حيث يتشابه حاجز فقدان الذاكرة في هذه الحالة مع حالة فقدان الذاكرة بعد التنويم

المغناطيسي وتلقى ظاهرة الانشطار اهتماما كبيرا في المختبر النفسي عن طريق دراسة حالة التعود ويشارك الادب البحث العلمي في استقصاء هذه الظاهرة كما هو معتاد في معظم الظواهر •

لقد شارك الادب الامريكي في بحث حالة انشطار الشخصية وبأجهزتها الثانوية من خلال نسوذجين قصصيين الاول هو قصة أدغار الن بو القصيرة (١٨٠٩ ــ ١٨٤٩ م) الموسومة (وليم ولسون) والتي نشرت عام ١٨٣٩ وتتشابه الى حد كبير مع قصة « الزوج » لدستويوفسكي • ففي القصة الامريكية التي سبقت القصة الروسية ، نرى وليم ولسون يجد شخصيته الاخرى ، التي تمتلك نفس الاسم ونفس الطول ونفس تأريخ الولادة . ويتكلم « بصوت يشبه الى حد كبير صدى صوتي » وكما في كلودكين دستويوفسكي ، فهو فريسة لاضطهاد الانا المضطرب القسري الذي يمقته كثيرا ، والذي يشبه الى حد بعيد ما أطلق عليه جانيه فيما بعد « سير النائم المتغلب » حيث تسود الشخصية الثانية وينتهي هذا المقت الشديد في قصة « بو » بارتكاب جريمة •

ويمثل المثال الثاني من الادب الامريكي حالة أبسط من الحالات التي مرت سابقا • حيث نرى الكابتن ايهاب في قصة هارمان مالفل Harman Malvelle (١٨١٩ ــ ١٨٩١ م) في ملاحقته القسرية للحوت المسماة موبي ديك Moby Dick ١٨٥ م ، لقد كتب هارمان مالفل قبل هذه القصة قصة اخرى سبقت دكتور جيكل ومستر هايد بثلاثة عقود وهي « مادي ورحلة في البحر بعيدا and avoyage Thither » تصف حالة واضحة لانشطار الشخصية ، حيث يقاطع الفيلسوف المهذار بيلانجي Babbalanji

من وقت الى اخر «بشخصية غريبة تكمن وتحتبس في داخله» وتبدو الشخصية الثانية (أزاجيدي Azzageddi) مشابهة في كثير من الجوانب لشخصية مستر هايد عند ستيفنسون وشيطان ايفان عند دستويوفسكي •

لقد اشرت سابقا الى العالم النفساني ــ في الادب القصصي ، فهو عبارة من اداة الكاتب في نقل آرائه النفسية ويقول مالفل نفسه ان الكاتب قد يقول على لسان شخوصه أو يدعهم يعطون الاشارات عن آرائه التي لو قالها هو لتبدو « كأشياء حقيقية مروعة لا تعبر الا عن الجنون » اذ لم يكن ببيلانجي عالما نفسيا قويا كقوة ايفان كرومازوف لكنه مثل شخصية الفيلسوف حيث اسمه يحمل هذه الدلالة « كالثرثرة والتهريج » • ولهذا يبدو من الممتع استبطان هذه الشخصية •• فهو على علم بما يدور في ذهنه حيث يقول (هناك ما يعتمل في ذهني ولا يعتمد على ذهني) وهذا الجزء هو الذي يؤثر على سلوكه وكلامه « أحاول في كثير من الاحيان عمل شيء معين لكني أعمل العكس » كما يصف نفسه « كرجل أعمى يدفع من الخلف » وتشير شخوص الرواية الاخرى الى عملها بالشخصية الثانية بابلانجي حيث تقول احدها «أكمل يا أزاجيدي » وتقول الاخرى « النظرة الشزرة في عينه » ويتكلم الفيلسوف عن علاقة شخصيته الثانية بنومه فيقول « انه يتجول في داخلي •• وهو الذي يتكلم عندما أنام ، معلنا كل أسراري » • لقد كان يعاني كي يكتشف ذاته ، وعندما يسأل سؤالا معظم الاحيان يلاحظ أنه يجيب على سؤاله هو : « حتى عندما أنام واحلم » ومخالفا الدكتور جيكل ، فقد تقبل بابلانجي شخصيته الثانية بلطف • وهذه التفاته جيدة من ملفيل •• اذ ليست كل حالات تعدد الشخصية هي حالة الانا المضطربة الشريرة •

هذه بعض نماذج الادب القصصي الخيالي المتعلقة بدراستنا للصراع في اطار الشخصية ، لقد أطلق وليم جيمس على هذا الصراع بنقاهة ما دون الوعي

Subconcious Incubation وفيها تتمرس الرغبات غير البالغة بالخبرة الحياتية.
وعندما تنضج تظهر النتائج او تتفتح الزهور ، وسوف تتفحص نتائج النقاهــة
لاحقا عن بحثنا للنماذج الحقيقية من ازدواج وتعدد الشخصية فالى جانب بيير
جانييه ووليم جيمس وبرنارد هارت •• نرى أعمال مودتن برنس المهمــة ،
باهتماماته وابحاثه في الاستخدامات العملية لفكرة الانشطار في كل حقول علم
النفس ••

الفصـــل الثـالـث

تعـــــــدد الشـخصيـة

— Multiple Personality —

« تبدو كنسخة مطابقة مصغرة لدكتور جيكل ومستر هايد »

سيرسيريل برت
Sir Cyril Burt

لقد أعار كلا الحقلين العلمي والادبي في نهاية القرن التاسع عشر اهمية قصوى للانشطار وظاهرة تعدد الشخصية • حيث ظهرت اهميــة الاخــوة كرومازوف والشماس برودي (الحياة المزدوجة) عام ١٩٧٩ ، وتلتها ماركهايم في عام ١٨٥٥م •

فاهتــم عــالم النفس الفرنســي رايبوت Ribot بظــاهرة تعــدد الشخصية كما ظهرت رواية « دكتور جيكل ومستر هايد » في السنة اللاحقة • وقدم وليم جيمس حالة انسل بورن المبجل في بحثــه « اصــول علم النفس Principles of psychology امام عدد كبير من المدعوين ١٨٩٣ م توفى شاركو ، الباحث النفسي الشهير في التنويم المغناطيسي وعصاب الهيستريا • لكن تلميذه اللامع جانيه استطاع ان ، يقدم في نفس السنة بحثه المشهور عن الافعال اللا ارادية في الهستريا • وهكذا انتعش الاهتمام بالتنويم المغناطيسي وساعد على دراسته وربما ساعد على حدوث ، بعض حالات ازدواج الشخصية وتعدد الشخصية •

لقد أسر الناس بالتشابه الحاصل بين الافعال اللا ارادية التي تحــدث في التنويم المغناطيسي وتلك التي تحدث لوحدها • حيث نلاحظ في «ايرن» مريضة جانيه • كيف اصبح جزء من شخصيتها (الذي ولد نتيجة معاناة كبت الثورة المتأججة في صدرها والتي تتوق الى صداقة منفتحه وحياة مفرحه بينما كانت تمرض والدتها المريضة) بؤرة لحالات سير النائم • وألقى جانيه محاضراته في جامعة هارفرد عام١٩٠٦م في الوقت الذي كان فيه العلماء الامريكان يدرسون هذه الظاهرة • كما ظهرت في نفس العام • في المدينة المجاورة بوستن دراسة مورتن برنس « في انشطار الشخصية » ١٩٠٦ م وقدم بتفصيل اشهر حالة في بحوث علم النفس والتي سبق له ان قدمها في باريس عام ١٩٠٠ م في الاجتماع العالمي لعلم النفس •

لقد تلقى علم النفس حالة كرستين بيجامب باهتمام واضح • حيث كانت تعاني من اخيله Hallucination ؛ عرافه بلورية ، كتابة لا ارادية وحالات فقدان ذكراة معقّدة • وتحتوي كرستين بيجامب على ثلاث شخصيات رئيسية هي ب ١ ، ب ٤ ، وسالي • والتي عرفها برنس على التوالي « القديسة » و « المرأة » و « الشيطان » وكانت ب ١ شخصية نشطة وعبوسا ولا تحب الجريمة • وكانت ب ٤ اكثر انسانية لكنها تمتاز بنقاط ضعف كثيرة اهمها سوء الطباع • وكانت سالي طفلة مؤذية ولا تحب الفكاهة • وقالت مرة عن ب ١ « انها لا تستمتع بالشر ولكني اتوق اليه » • حيث كانت سالي تضايق وتعذب جزئي شخصية كرستين بيجامب الاخرين •

لقد علم مورتن برنس بقصة ستيفنسون (حيث اخبرني خلفه في ادارة هارفرد للطب النفسي الدكتور هنري موراى ، بأن برنس قد تكلم عن دكتور جيكل ومستر هايد) • وقد افاد فائدة ملحوظة في فكرة الشعور المصاحب Co-Consciousness في دراسة كرستين بيجامب • لقد كانت سالى تعلم اشياء كثيرة عن ب ١ ، ب ٤ اكثر مما يعلمان عنها كما تتواجد مع هاتين الشخصيتين مراقبة اياهما دون علمهما ، وقد تتعمد في ان تجعل ، شعورها المصاحب واضحا عن طريق الاخيله والكتابة اللا ارادية • فهي تعلم كل افكار ب ١ لكنها تعلم عن ب ٤ ما شهدته من مراقبة اعمالها السابقة فقط • وقد ظهر خلال جلسات التنويم المغناطيسي التي اجراها برنس لعلاج هذه الحالة في كل من ب ١ ، ب ٤ لكنها كانت واحدة اطلق عليها ب ٢ •

وينكر معظم الناس المعرفة الاستبطانية للحلم • لكن سالي بقيت مستيقظة رغم نوم ب ١ ، ب ٤ وتبعا لسالي فان النائم سوف « يتخيل كل الاشياء •• واذا تذكرها فسوف يدعوها احلاما واذا لم يتذكرها فلا » • (برنس ١٩٠٦) وتعتبر هذه المقولة مهمة لان برنس نفسه كان كارها لهذا

التعميم • ولكن بعد نصف قرن أي في سنة ١٩٥٣ م اثبت كل من أزرنسكي Azerinsky وكيلتمان Kleitmann اكتشافه ولهذا وبعد هـذه البحوث لا نستطيع تمييز الحالمين عن غير الحالمين ولكننا نستطيع تمييز الذين يتذكرون احلامهم من الذين لا يتذكرونها • لقد قالت سالي عام ١٩٠٤ « انا لا اعرف لماذا لا تكون كل الاشياء التي نفكر فيها هي مجرد احلام تتذكرها» • لقد اصبحت الان حقيقة ثابتة ان معظم احلامنا كأحداث اليقظة ، تفقد من خلال النسيان ، وقد اثبتت سالي عن طريق تقرير استبطاني مباشر تأثير الحوافـز الخارجية على النائم •• حيث قالت « ان النائم يسمع كل الاصوات » •

لقد حظيت هذه المريضة بشهرة واسعة في تاريخ علم النفس • وكانت طالبة جامعية عالجها برنس في مدينة بوستن • وكان اسمها المستعار «بيجامب» من اقتراح سالي ، واسمها الحقيقي هو كلاران فولر • ثم اصبحت فيمـا بعد السيدة دوترمان بعد ان تزوجت احد مساعدي برنس • وقد عولجـت بالتنويم المغناطيسي • وقد تمخض تاريخها المرضي عن حالة تجوال ليلي اعترتها وهي في الثالثة عشرة من عمرها ، أتت بها الشرطة الى بيتها ليلا بملابس النوم• كما ظهرت لها شخصيات اخرى خلال التنويم المغناطيسي لكننا سوف نركز على ب ١ ، ب ٤ ، وسالي •

وكان هناك اختلاف واضح بين ب ١ ، ب ٤ ويبدوان في معظم الاحيان كنقيضين ، حيث ، كانت ب ١ مولعة بالاطفال وكبار السن بينما كانت ب ٤ تكره الاثنين • كما تختلفان في تذوقهما للطعام واختيار الملابس وفي افكارهما الدينية وفي طباعهما • فكانت ب ١ هادئة متدينة تفضل القهوة المرة السوداء بينما كانت ب ٤ سيئة الطباع غير متدينة وتشرب القهوة الحلوة البيضاء • وكلاهما تنافس سالي وكانت سالي رابحة دائما • وكانت سالي تفرض الامتلاك Possession في بعض الاحيـان وتحتفظ بوجودهـا كشعور مصاحب Co-Consiousness دون ان تتدخل في احيان اخرى • وقد وصفها برنس

بأنها « ذات طبيعة طفولية تشبهه الاطفال في كل شيء » وكانت سالي بعكس ب ١ الباردة جنسيا ، فهي فتاة شابة معافاة متألقة ولا يمكن ان يصيبها الارهاق، مفعمة بحب الحياة وتستمتع بها كثيرا . وتستطيع السيطرة على مرور الدقائق والساعات دون ان تنتابها حالات عدم التواصل الزمني في الذهن . كما انها تكن احتقارا عميقا لـ ب ١ . وتعاني كل من ب ١ ، ب ٤ من عدم التواصل الزمني في الذهن . فتبدو ، الاحداث بعد هذه الفترات من فقدان الذاكرة منفصلة عن اسباب وقوعها . وتتمتع سالي التي تكون عادة على السطح او موجودة كمراقبة بهذه الاحداث المحرجة لكلتا الشخصيتين ولكنها تتلافاها في النهايـة .

وتستطيع سالي عرض التخيلات علىهاتين الشخصيتين من خلال الاخيلة. ويكون تدخلها عن طريق الكتابة اللا ارادية مشابها لتدخل مستر هايد في اعمال دكتور جيكل . وما محتويات الانذار الذي . ارسلته شخصية ب ٤ الى سالي في احد فصول الصيف الا عبارة عن تنفيس للصراع النفسي الذي كانت تعاني منه هذه الشخصية . والذي يقضي بعدم الازعاج عن طريق رسائل البريد ، وعدم ممارسة الاخيلة وعدم ارسال الافاعي والعناكب . (لقد علمت سالي بخوف الانسة بيجامب من العناكب ، فجمعت قسما منها ووضعتها في صندوق وارسلتها بالبريد . وعند استلامها ظهرت ستة عناكب من الرزمة) وقد تضمن الانذار الزام سالي بالظهور مرة واحدة في الاسبوع ، والسماح لـ ب ٤ باختيار اكلاتها المفضلة وملابسها وأصدقائها . حيث كانت ب ٤ بطبعها المتعجل ترى اصدقاء سالي بغيضين وكريهين .

لقد عوقت التعليمات التي نصت عليها كتابة سالي اللا ارادية محاولات الشخصيتين الاخريين الدائبة للاتصال بالدكتور برنس حيث كتبت ب ١ مرة « اسفة لا استطيع الكتابة ثانية ، لان سالي افسدت كل شيء » .. وفي رسالة اخرى سوف تكتب ب ٤ « .... بسرعة » كما يظهر غرور سالي وبغضها

الشديد للشخصيتين بطرق اخرى مختلفة . حيث اخذت سالي سيارة وذهبت على بعد ستة اميال في الريف ثم نزلت منها . لتوقظ شخصيتيها الاخريين . وكان عليهما ان يمشيا مسافة كبيرة وصولا الى البيت . لتأكد سالي من خلو جيبهما من النقود وفي مرة اخرى سهرت ب ١ الليل كي تحوك قميصا .. فسهرت سالي بعدها كي تخرب ما حاكته . وقد يتكرر هذا المشهد عدة ليال .

وكتب برنس يقول « ان غيوم الحرب تتجمع بسرعة لتشكل طبقة سميكة .. لقد انثالت علي رسائل الشكوى حتى اغرقتني » ورغم كل شيء نلاحظ عند سالي بعض حالات الايثار . ففي لحظة من لحظات اليأس والقنوط حاولت ب ١ الانتحار فانقذتها سالي . حيث نامت ب ١ ومفتاح الغاز مفتوحا على اخره . وعند ما وصلت سالي ، قفزت من السرير وفتحت الشباك واقفلت مفتاح الغاز وانقذت حياتهما كليهما . ورغم كل شيء كان هدف برنس في علاجه هو توحيد شخصية الانسة بيجامب .. وهذا لا يحدث الا من خلال موت سالي . لقد كتبت سالي مذاكراتها فقالت « احس انني اعصر » وقد ذكر برنس هذه الملاحظة بندم ، ويبدو انه اخذ يتعاطف مع سالي كطفلة جميلة منحرفة .

لقد كان عدم التواصل الزمني في الذهن واضحا في شخصية ب ٤ فعندما ظهرت لاول مرة لم تستطيع التعرف على برنس ولا على محتويات غرفته . وقد شبهها برنس بشخصية رايب فان ونكل Rip Van Winkle الذي لم يكن يعرف ان الزمن يمر وهو نائم . ولا تكتسب سالي اهميتها كمخبر عن فترات فقدان الذاكرة فقط ، اذ كانت تمتلك ذاكرة متواصلة منذ ايام الطفولة الاولى ، تحوي حوادث منذ كانت طفلة في السادسة من عمرها كانت شخصية ب ٤ ناسية لها تماما .

وسوف نبحث امتلاك الارواح الشريرة وعلاقته بانشطار الشخصية في فصل قادم . ولكن الانسة بيجامب كانت تعتقد في فترات معينة ولو ٥٠٪ في هذا الاحتمال حيث قالت لبرنس بحزن مرة : لابد ان روحا شريرة امتلكتني كما كانت تفعل بالناس التعيسين القدمــاء (برنس ١٩٠٦) . وقد عانــت شخصية ب ٤ على الخصوص من تجربة منذره (بكسر الذال) من هذا النوع فعندما كانت جالسة امام المرآة رأت على وجهها ابتسامة شيطانية غريبــة . فاقتنعت ان هذه الابتسامة لشخصية اخرى وبدأت تكلمها ولما اثبتت ان اسلوب المخاطبة غير مجد . اخذت قلما وبدأت محادثة غريبة على الورق ... وتكلمت بشخصية ب ٤ واتت الاجوبة عن طريق الكتابة اللاارادية ، وكان الشخص الذي في المرآة او الجهاز الذي يسيطر على الاجابات هو « سالي » .

وقد تضمنت التقارير عن هذه الحالة بعض محن الانسة بيجامب الدنيوية فعملية ارتداء الثياب قد تستغرق ساعتين ، ولا تكمن المشكلة في عملية اختيار الملابس من قبل الشخصية التي تظهر على السطح فقط ، وانما في البحث عنها والمكان الذي خبأها فيه « شخص آخر » . وقد تستغرق عمليــة الاستحمام وقتا طويلا ، حيث لا تقنع شخصية ب ١ انها استحمت الا بعد ان تظهر الى حيز الوعي . وتشكل عملية تناول الغذاء مشكلة اخرى لوجود اختلاف واضح في ذوق ب ١ ، ب ٤ اضافة الى تدخل سالي المزعج .

وقد استطاع برنس ايجاد اساس هذا الانشطار في الصراع النفسي الذي كانت تعاني منه « حيث كانت تعاني من اهداف وافكار متصارعة تؤدي الى ظهور شخصية جديدة » (١٩٠١ م) . لقد اعتبرت سالي شخصية ب ١ ضعيفة وعاطفية .. واظهرت بغضا شديدا لشخصية ب ٤ يتجسد في بعض الاحيــان بعمليات الايذاء لهذه الشخصية وقد وجد برنس قصاصات ورق مملوءة برسائل ذات خط متعجل ورديء بين هاتين الشخصيتين . ويظهر الصراع الدائر بين هذه الشخصيات بصورة واضحة من خلال ، التحديق بالبلورة (العرافــة

البلورية)[1] .

الذي كانت تمارسه الانسة بيجامب فتعكس هذه العملية الاحداث السابقة . حيث رأت ب ١ نفسها في التحديق بالبلورة وهي تدخن سيكارة (وهي حادثة صحيحة حدثت لسالي) وكانت ب ١ ناسية لها تماما وقد استجابت لهذه الحادثة برعب ملحوظ .

وقد يجد المراقب ما يبرر تعاطف برنس مع شخصية سالي ، فهي قادرة على اظهار المكر الخبث بصورة ملحوظة لكنها على العموم ليست (السيدة هايد) . كما قد تتشابه ولو بصورة قليلة مع الشخصية الثانية لمي نايلور May Naylor (المريضة التي قدمها سير سريل برت Sir Syril Burt في كتابه الجانحة الصغيرة The Young Delinquent في عام ١٩٣٧ م . حيث تبدأ المشكلة صباح احد ايام عام ١٩١٧ م . عندما قوبل السيد نايلور (وهو رئيس عمال محترم) حال وصوله العمل بغضب اثنين من زملائه .. حيث سأله الاول بلهجة ساخطة « نايلور ، كم استمرت علاقتك بزوجتي ؟ بينما استخرج الثاني بضعة وريقات بذيئة في جيبه ؛ معبرا عن اتهامه بكلمات بذيئة . وقد اكد السيد نايلور لهما انه لا يعرف حتى تلك اللحظة انهما متزوجان . في تلك الاثناء وصل ضحية ثالثة . وكانت الرسائل جميعها موقعة بتوقيع ابنته الوحيدة . وقد سبق للسيد نايلور ان تلقى مجموعة من الرسائل موقعة بتوقيع

(١) العرافه البلورية Crystal Gazing (فتح المندل) بلورة كبيرة او مراة تعكس صورة السقف او اناء زجاجي به ماء يقدم للشخص في حالة نوام hypnosis ويوحى اليه بالقدرة على فتح عينيه وهو منوم ورؤية اشياء في البلورة (او المراة او الماء) . فيسقط الشخص بعض محتويات ما قبل الشعور او اللاشعور ويراها كأخيلة Hallucinations كانه يحلم ، ويخبر بها المنوم ، وقد كثر استخدام هذه الطريقة في التحلل التنويمي Hypno analysis في القرن الماضي . (وفي اعتقاد بعض الناس ان روح عرافه تكشف للوسيط في البلورة اسرار غامضة) .
(الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي الدكتور وليم الخولي) .

ابنته الوحيدة ، وقد وصلت مجموعة من الاتهامات الخطية الاخرى الى كل من رب عمله وفي كنيسته وقد أستدعي برت الذي اصبح فيما بعد الطبيب النفسي لمجلس المحاكم في لندن لبحث هذه المشكلة في مدرسة الفتاة فرآى طفلة سعيدة مرحة في التاسعة من عمرها وكانت طالبة مثالية .. فهي طقوسية في كل شيء ، في حرصها على اوقات الدوام ، في خطها وكتابتها لحروف الكلمات .. وكان خطها جميلا ومختلفا تماما عن الخط الرديء الذي كتبت به الرسائل التي وصلت الى ابيها والاخرين وكانت معدلاتها العالية تشير الى قابلية ذهنية عالية .. وكان لديها قوة تخيل عالية .. وعندما قالت لبرت ان وردتها المفضلة هي زنابق الوادي (ناصعة البياض ، صافية ونقية) تشكك في امرها . وقد استطاعت ان تقرأ رسالة كاملة غير مفتوحة تحت تأثير التنويم المغناطيسي .. وفي النهاية انكرتها بأسى . وقد استمرت الرسائل بعد ذلك ولكن بأسم « مي لوماكس » وهو الاسم العذرى لامها . وقد جلس برت معها بهدف توحيد شخصيتها ، حيث كانت الاولى نقية طبيعية وصحيحة جدا ، وكانت الثانية على العكس فضة ، منتقمة وبذيئة اللسان .. « وتبدو وكأنها نسخة حية مصغرة مشابهة لدكتور جيكل ومستر هايد » (برت ١٩٣٧ م) . وقد استجابت الحالة للمعالجة الناجحة وتوقفت الرسائل .

ولعل من المتع ان ننتقل من مكر مي نايلور الى حالة ايف وايت Eve White الاكثر شهرة . وقد تناول كل من ثايبن Thiypen وكليكلي Cleckly شخصيتها الثانية Eve Black التي ظهرت لاول مرة كمقال عام ١٩٥٤ م . لقد ذهبت السيدة ايف وايت الى ثايبن وكليكلي شاحبة الوجه مستشيرة اياهما عن حالات الصداع والاخيلة التي تنتابها ، والتي ظهرت فيما بعد ان ايف وايت كانت المسببة الرئيسية لهذه الاعراض . ظهرت الانسة ايف بلاك التي تحتفظ دائما باسمها العذرى كشخصية شبيهه ب « سالى » حيوية ، غير مسؤولة ، غير موثوق بها ومحبوبة ، وكانت عالمة بايف وايت . وكانت

العقبة الرئيسة امام المعالجين كيفية مفاتحة ايف وايت بأنها تشارك في جسدها شخصا ثانيا مختلفا تماما •• كما انْ لديه ذخيرة من الاحتقار للسيد وايت زوج السيدة ايف وايت ، وكره صميمي لبونى Bonny ابنة السيدة ايف وايت الصغيرة •

وكانت ايف بلاك تلتذ باحداث فقدان الذاكرة للسيدة وايت التي كانت تتلقى خلالها قوائم الحساب الكثيرة ، ثمنا للالبسة الغالية التي لم تكن تحلم في يوم من الايام انها سوف ترتديها • وكان تدخل ايف بلاك غير مقصود في احدى المرات عندما انقذت وايت في محاولة قتل الاثنين معا • فبينما كانت ايف وايت تحاول قطع وريدها بموس ، الحلاقة ناضلت ايف بلاك كي تظهر الى السطح ونجحت بعد ان ضربت موس الحلاقة ارضا وقالت لمعالجها فيما بعد « كنت اعتقد انها كانت مصممه على الانتحار ، دكتور » •• وتبدو ايف بلاك كمحصلة نهائية مشابهه لسالى في شخصية بيجامب • فايف بلاك اصغر سنا من الشخصية المسيطرة ، وهنالك دليل على تعاطف المعالج معها ايضا •

وقد حصل توحيد شخصية ايف لفترة وجيزة من خلال ظهور شخصية ثالثة اكثر نضجا ، واقوى عاطفة هي جين Jane والتي أعقبت بشخصية اخرى هي ايفلين Evelyn وبعدها حصل طلاق ثم زواج جديد • وقد سردت ايفيلين الحوادث الى هذا الحد واطلقت على نفسها ايفيلين لانكستر Evelyn Lancaster واستمر انشطار ايف فيما بعد حتى ادعى العلماء ظهور عشرين شخصية جديدة في ظرف عشرين عاما • وكانت هذه الشخصيات تختلف في العمر وفي بعض الظواهر الجسمية كالنمش والحساسية وكانت ايف في احدى هذه الشخصيات عمياء ، كما كان لها في شخصيات اخرى هوايات فنية • متعددة • واستطاعت ايف بعد عشرين سنة من التلون ان تقدم نفسها الى جريدة الواشنطون بوست Washington Post .

وتبقى حالة سيبل دورست Sybil Dorsett اشهر حالات تعدد الشخصية على الاطلاق ، التي عالجها المحلل النفسي الدكتور كورنيليا ولبر Cornelia Wilber وفيها نلاحظ وجود ست عشرة شخصية مختلفة تماما . وتختلف بعضها في تخيلها لهيئة جسمها بالاضافة الى اختلافها في السلوك . ونجد شخصيتين من هذه الشخصيات هي شخصيات ذكرية هما «ملك» Mike وسيد Sid وشخصيات طفلية مثل شخصية روثي Ruthie .. وكانت فانيسا Vanessa ذات شعر احمر طويل . ونلاحظ وجود صراع نفسي داخلي Intrapsychic conflict كما لاحظنا في الحالات السابقة ، وعدم التواصل الزمني الذهني ، وفقدان الذاكرة والاخيلة وقد وصفت سيبل « بأنها نحيفة » . لقد عاشت سيبل طفلة مروعة مع ام قاسية ومصابة بالذهان (وقد ظهرت احدى شخصايتها بيكي لو Beggy Lou مؤكدة لذاتها وغالبا ما تكون غاضبة) . وقد ظهرت شخصية فكتوريا Victoria اوفيكي Vicky مشابهه لشخصية جين الناضجة في حالة ايف والتي تعاونت بصدق مع المعالج . وكانت فيكي عالمة بكل ما يجري حيث كانت موجودة على الدوام كشعور مصاحب مع الشخصيات الاخرى التي تتولى زمام الامر في المريضة من حين الى اخر . وكانت تقول دائما عند وصولها الى المعالج « لا احتاج الى علاج : الاخرون هم المصابون ، وانا لست كذلك ، لكني اود تقديم المساعدة » وقالت عن شخصية سيبل النحيفة « يجب ان اقف بدلها » .

وقد توضحت في حالة سيبل المشاكل العامة التي كانت تعاني منها مثل هذه الحالات مثل المشاكل المادية ، اختيار الاصدقاء وعدم التواصل الزمني في الذهن والصراع بين الرغبات المتضادة .

ارادت سيبل ان تعبر الشارع مرة ـ وكانت احدى شخصياتها تريد عبور الشارع والاخرى لا تريد ـ فتدخل شرطي المرور قائلا : من اجل السماء سيدتي قرري العبور او عدم العبور ولم يكن يعرف انه يتعامل مع شخصيتين مختلفتين تماما وليس شخصا واحدا) وقد استطاع المعالج ان يعرف سيبل بشخصياتها الاخرى بعد ان اسمعها تسجيلات اصواتها • وقد استخدم الدكتور ولبور عملية التنفيس الكيمياوية[1] Chemical Abreaction مع طريقة التحليل النفسي بالتداعي الحر ، كما استخدم التنويم المغناطيسي لكسر حواجز فقدان الذاكرة • ولما كانت هذه الشخصيات مختلفة الاعمار يتحتم على الطبيب النفسي ان يتولى عملية نمو هذه الشخصيات (شخصية روثى الطفولية) اذا اراد للشخصية ان تتوحد بشكل مرضي • وقد كتب الصحفي العلمي شيربر قصة هذه المريضة وطبيبها في كتاب اصبح من اشهر الكتب الممتعة (شيربر ١٩٧٥) •

وعلينا ان نواجه مشكلة الايحاء Suggestion في مثل هذه الحالات• كما نلاحظ بوضوح تأثير اهتمامات المعالج او الباحث وافتراضاته الاولية التي قد تقوى تطورات معينة ، وربما تؤدي الى ظهور شخصيات اخرى • وبالعكس قد نلاحظ العديد من الحالات التي من الممكن اعتبارها ، وربما تعتبر حالة من حالات تعدد الشخصية ، قد تشخص تشخيصا اخر • ونلاحظ في الحالات الثلاث ، كرستين ، ايف وسيبل بعض المظاهر المشتركة فكل الشخصيات الاساسية في هذه الحالات تعانى من الكآبة والنحافة وضعف البنية مع اشكالات

---

(١) التنفيس Abreation ويعنى في علم النفس تفريج التوتر الناشىء عن ذكريات غير مرغوب فيها ، بأن يعيش الشخص مرة اخرى في الاماكن والظروف التي سببت له ذلك التوتر ، او باستعادته (شعوريا) تلك الظروف الى فكرة ووجدانه وقد تكون الذكريات المؤلمة في نطاق الشعور احيانا او تكون غير شعورية في اغلب الاحيان . وقد تستخدم فيها الادوية ولهذا تدعى بالكيمياوي . (المعرب)

عديدة وحوافز قوية تساعد على الهروب الى الشخصية الجديدة • كما يلعب عدم التواصل الزمني في الذهن دورا كبيرا في الحالات الثلاث ، وتحدث الاخيلة في كل هذه الحالات التي تشع من الخيال والعمليات الفكرية لمختلف الشخصيات في نفس الحالة • وكلهن نساء ، كنّ محظوظات لانهن لم يولدن في مجتمع يصمهن بالسحر او بالاتصال بالارواح الشيطانية •

ورغم كل شيء تبقى حالات تعدد الشخصية كحالات نادرة • ويجب ان تؤخذ هذه الحالات اذا أخذت كفكرة لتشخيص نفسي بدقة وعناية وترو ٍ حيث رأينا اهمال حركة التحليل النفسي لفكرة الانشطار كما انها لم تأخذه يوما مأخذ الجد وكذلك فعلت مع التنويم المغناطيسي ولكن اعتقادي الشخصي هو ان الحالات التي مرت اثبتت للعلماء والمعالجين انها ذات طبيعة خاصة ونوعية جديدة ويجب ان يقع بعض الناس ضمن هذه الحالة الجديدة ، واذا نظرنا الى حالات تعدد الشخصية مرة اخرى وحالات السلوك الانشطاري الاكثر شيوعا مثل (التحديق بالبلورة ــ ضرب المندل ــ الكتابة اللاارادية ، حالات الهيام ، والتجوال الليلي وحالات الامتلاك من قبل الارواح الشريرة التي لا تزال تحدث) كلها يجب ان ينظر اليها الان بنظرة جديدة•وسوف احاول البرهنة على مطابقة امثلة الانشطار مع بعض الحالات التي قدمها فرويد في بداية حياته ، ولكن يبدو لي من المناسب والمفيد الآن ان استعرض واصنف بعض الظواهر التي اخذناها بنظر الاعتبار •• وبعدها يبدو واضحا ان حالات تعدد الشخصية لا تمثل فقط تناذر الدكتور جيكل ومستر هايد فقط ــ لكنها تنضوي تحت تصنيف اشمل يحوي خمسة انواع من حالات تعدد الشخصية وهي :

الأنا المتغيرة Alter Ego

يجب ان نتذكر دائما تأثير التسميات او المصطلحات وخصوصا الاغراء الذي يجده بعض الناس في بعض الاحيان وفي بعض المجتمعات لاعزاء امتلاك

الارواح الشريرة لكل شخص يختلف بمعتقداته وسلوكه بصورة ملحوظة عنهم •
واسطورة « الحياة الشيطانية التي تستحق الموت » عند فاوست ، ساحر القرن
السادس عشر الذي باع روحه للشيطان ، لها تأريخ عريق •• حيث استحوذ
فاوست على خيال كوته Gothe ، ومارلو Marlow كما كان جزء من
تراث دستويوفسكي وستيفنسون الادبي•واذا لم تكن العلاقة بينقصته واخيله
كل من ايفان كرومازوف ودكتور جيكل كتجربة واعية في ذهن الكاتب فهي
حتما تجربة ما قبل وعي الكاتب •

ويؤثر تراث الشعوذة واساطير الشياطين تأثيرا كبيرا في دراسة حالات ،
تعدد الشخصية دراسة علمية • فيجب ان يفسر السلوك غير الطبيعي مثل
الهرطقة والمعتقدات غير المألوفة بطريقة من الطرق • وكما رأينا كيف اشار برنس
الى حالة بيجامب وقال لو عاشت في غير هذا الزمان لقيل انها سُحرت بروح
شريرة • وربما آمنت هي بذلك ولم تكن شخصيتها سالي طوال الوقت اكثر
من طفل مشاكس ، لكنها تحوى جانبا مظلما (في مجتمع مؤمن بالخرافة) ربما
يطلق عليه « روح شريرة » Polterqeist • لقد حاولت شخصية ب ٤ عام
١٩٠١ م محاولات عنيفة للقضاء على سالى ، لكنها لم تنجح • لقد جعلت سالى
ليالي ب ٤ بشعة ، حيث كانت تلقى الوسادة الى الارض او تكدس الاثاث
على السرير ثم تتحول الى شخصية ب ٤ ، وربما تهاجم ب ٤ اثناء النهار عارضة
اخيلة كئيبة ومرعبة لشخصية ب ٤ التي ترى في الشارع (عملية خلق لا نهائية
لاعمدة طويلة سوداء) • او قد تفقد ب ٤ السيطرة على يدها اليمنى مضطرة
الى القيام بكل اعمالها بيدها اليسرى وقد كشفت ب ٤ عن ذراعها في احدى
المرات لتري دكتور برنس السحجات المتعددة التي امتدت على طول الاذرع
والتي صنعت بالة حادة • فنرى في هذه الظواهر الحقد المتبادل بين الشخصيتين
حيث يتجسد بالحقد الشديد والمكر • كما يمكن تحليل هذه الظواهر بالامتلاك
الشيطاني او الارواح الشريرة ويبدو مقنعا ومفهوما تماما • ويمثل انشطار

ايفان كرومازوف من خلال نظرة دستويوفسكي مثالا جيدا على فهم هذا النوع من ازدواج الشخصية .

ولهذا قال ايفان لأخيه اليوشا « ان الشيطان لا وجود له ، لكن الانسان هو الذي خلقه ، خلقه من خياله وتهويماته » ولهذا اخبر ايفان اخاه لاحقا « انه نفسي يا اليوشا .. وكله ينطلق مني .. وكله لا يعنى سوى الخسة والحقارة » .

النوع الناكص The Regressive type

وتبدو الشخصيات الناتجة في بعض الاحيان منطلقة من المراحل التطورية الاولى لشخصية الفرد . وتمثل حالة السيدة س نموذجا لهذا النوع من البحث الذي قدمه كل من تايلور Taylor ومارتن Martin في عام ١٩٤٤ م . حيث كانت احدى شخصياتها بعمر طفل ذي سنة واحدة . وقد رصد الباحث هذه المريضة (امرأة بالغة) . بشخصيتها الجديدة وهي تحاول تعلم المشي كما تمثل بعض حالات ماري رينولد وامثله اخرى من هذا النوع من اجهزة الشخصية الثانوية . ويشبه تعاطف مورتن برنس مع سالي وثايين وكليكاي مع ايف بلاك سلوك الاب تجاه الابن المدلل والظاهر انهم يعانون نوعا من القلق عند محاولتهم تحطيم شخصية الطفل الحيوية رغم ان هدفهم هو توحيد الشخصية .

وتمثل شخصية روثى Ruthi في حالة سيبل مثالا اخر على جزء الشخصية الناكصة في الانشطار . فكان على المعالج ان يحرك الاحساس بالزمن من خلال جلسات التنويم المغناطيسي كي ينسى وينضج شخصية روثى ، وبدأ واضحا من هذه الحالة السلوك الامومي ــ الذي سلكته شخصية « فيكى » الناضجة تجاه روثى ــ وقد افترض فرويد في بعض احاديثه القليلة عن تعدد

الشخصية وجود مراحل تطورية، متعددة في حياة الفرد تسيطر على شخصيته ذاتيا في العبور في مرحلة الى اخرى • وتتلاءم هذه الافتراضات مع الشخصية الناكصه تماما •

فارس الاحلام الداخلي

لقد عرف كارل يونك الشخصية « بأنها حالة توازن الوعي مع انلاوعي» ويعتقد ان المرأة انثى بوعيها وتحتوي في لا وعيها على شعور ذكري وبالعكس يكون الرجل ذكرا بصورة واعية وانثى بصورة غير واعية كنقيض لحالة الوعي• وتمثل حالة هيلين سمث Helene Smith حالة انشطار الشخصية النقيضية والتي سوف نتناولها لاحقا • حيث انقذها رجل وهي صغيرة من كلب وحشي كونت فيما بعد حول هذا الرجل احلام يقظتها لتحقيق رغباتها •• واخـذت تتكرر شخصية هذا الرجل في حياة هيلين باســم « ليوبولد Leopold كمرشد وحامٍ لها • وتظهر هذه الشخصية وتسود في حالات الانشطار عندما تشعر هيلين انها مهددة ونلاحظ شخصيتي ميــك Mike وســـيد Sid الذكريتين اللتين ابدينا الكثير من الاستياء عند محاولةالقضاء عليهما فيالجلسات العلاجية التي استهدفت توحيد شخصية هذه الانثى • وتمثل حالات الجنس النقيض كحالات نادرة من حالات تعدد الشخصية حيث لم يجد تايلور ومارتن في استقصائهما سوى تسع حالات من مجموع اربع وستين حالة تناولاها •

المرافق التخيلي The Imagery Companian

وتعتبر حالة سيبل مثالا واضحا على هذه الحالة • حيث كان لحياة البؤس العائلية التي عاشتها وقسوة امها عليها اثر كبير في انشاء العديد من الرفاق ، التخيليين لهذه الشخصية • وتضم هذه الشخصيات الشخصية المؤكدة لذاتها والغاضبة بيكى ليو Peggy Leo ، فيكى Vicky التي باستطاعتها الاعتناء بنفسها بشكل افضل مما تفعله سيبل الهزيلة البنية • والشخصيات الجذابـة

كمارسيا Marcia وفانسيا Vanessa اللتين مدحهما المعالج في مرة من المرات للمرح الذي يتمتعان به • وقد صرحت فانيسيا مرة : يجب عليك ان تتمتع بروح مرحه كي تستطيع العيش في عائلة سيبل ، وفي مدينة تخاف الله وتكره الانسان وتمتلىء بالزيف والعواطف المريضة • « يوجد الكثير من السكر في الحياة الاجتماعية حتى انى احس اني مصابة بمرض سكري روحي » •

وتمتاز العلاقات بين هذه الشخصيات الست عشرة بأنها علاقات جيدة فتبدو للمراقب انها تمثل بصدق ظاهرة الرفيق التخيلي •

حلم اليقظة الرومانسي Romantic Fantasy

ونلاحظ بعض الشبه بين هذا النوع والرفيــق التخيلي والشخصيتين الناكصه والنقيضة • لقد اوضح هنتر Hunter عام ١٩٦٤ كيف يبنى الانسان لنفسه الادوار ثم يتقمصها • فيصنع لنفسه طبيعة اخرى تمثل في معظم الاحيان حالة هروب من الحاجات الممنوعة ، والاحباطات والفقر العاطفي • وربما كانت هذه الحالة هي حالة بورن المبجل وربما تبدو مقاربة « لماريا الاسبانية » • حيث دهشت ماريا باسبانيا واعجبت بالفتى الذي ينحدر من اصل اسباني، فبنت عليه احلام يقظتها ، فظهرت شخصيتها الاخرى التي تؤمن انها ليست سوى تقمص لروح راقص غجري اسباني عاش حياة حقيقية مليئة بالمغامرات •

لقد شرحنا سابقا النوع الثالث من الانشطار (الهيام) كشكل من أشكال الطيران من شخصية معينة ومشاكلها الى طريقة اخرى في الحياة • وقد يتعرض هذا النوع من الانشطار الى مشاكل مع الشرطة والقضاء وفي الحياة العامة • حيث انشغل الرأي العام في منتصف السبعينات بقضية اختفاء السيد جــون ستونهاوس Mr. John Stonhouse • عضو البرلمان البريطاني ووزيــر الخزانة السابق من على ساحل ميامي في ولاية فلوريدا ، ثم قبض عليه فيمـــا

بعد في استراليا حيث سلمته الى الحكومة البريطانية التي قامت بمحاكمته على جرائم متعددة فذكر الدفاع ان المريض كان يعاني من انشطار الشخصية .
وذكر السيد ستونهاوس هذه الحادثة في عام ١٩٧٦ م عند كتابته لمذكراته .
ففي ميامي « تخلصت من ربقة اعباء ستونهاوس وولدت من جديد كانسان بسيط ، قليل الاعباء يدعى جو ماركهام Joe Markham وسافر ستونهاوس ، باسمه الجديد الى استراليا ثم الى كوبنهاكن ثم عاد الى مالبورن عن طريق موسكو وسنغافورة ، وعند هذا الحد ظهرت شخصية ثالثة هي شخصية (كليف ميلدون Clive Mildoon) ويبدو مما جاء في الكتاب انه مر بحالة هيام « شعرت بأن جو انكلترا قابض على انفاسي . فنحن نرتدي الاقنعة في حياتنا ، نلبس الملابس وتتبنى شخصيات اخرى ، كما تنشأ لدينا قناعات واتجاهات من خلال اعمالنا التي نعملها » .

وقد استشهدت المحكمة شهودا متخصصين مثل الدكتور لونيل هارود الطبيب النفسي العدلي البريطاني الذي اوضح في حديثه كيف ينفصل جزء عن الجهاز العصبي وكيف يحدث هذا الانفصال تغييرا في طبيعة الفرد . واستشهد بحالة ايف ، والطبيب النفس الانكليزي لانك Laing الذي قال : « يشبه انشطار الشخصية ازدواج الشخصية وتعددها الى حد بعيد » وقد اوضح بأن الذهن « يقسم الى اقسام وقد لا يدرك قسم من هذه الاقسام الالم بينما يدركه القسم الاخر » (ستونهاوس ١٩٧٦) . وقال سكرتير ستونهاوس ان ستونهاوس يتكلم عن نفسه بصيغة الشخص الثالث حيث يقول « هو » ولا يقول « انا » « وقد اوضح لها كيف انقلب الى السيد ماركهايم ، وكيف فرح السيد ستونهاوس بهذا التغيير ، ويشعر ماركهايم في مثل هذه المواقف عندما يبحث عن شهادة تلقيحه او عندما يسجل اسمه في الفندق والتي تثبت وجوده ان ماركهايم موجود حقيقة » .. ورغم كل شيء يبقى التفصيل الكامل لهذه

القضية غير متوفر لدينا • وبينما نحن بانتظار هذه التفاصيل احب ان اقول ان الحقائق المتوفرة لدينا تتطابق مع النوع الثاني والثالثمن الافعال غير الاراديه• وقد تتعرض بعض حالات الانشطار الاخرى الى القانون • حيث قالت لـي احدى الجانحات والتي كانت في الثامنة عشرة من عمرها في اثناء الفحص انها تشعر منذ الطفولة بانسانين مختلفين يسكنان في داخلها • الاول (عزيز ومحبوب وطفولي) والاخر « كريه حقا » وقد كشف هذا « الكريه » عن نفسه لاول مرة عندما تكلم باسلوب فج مع المعلم • وبعدها اخذ يعبر عن نفسه في العـداء للمدرسة وللمعلمين مما نتج السلوك الجانح ومن هذا السلوك الجانح اشعال النار في الصف مما ادى الى خسائر تقدر بـ ١٢٠٠٠ باوند • ثم اعقبه اشـعال النار في صف اخر • وقد تعرب في بعض الاحيان عن تحطيم حقود لكـل الاشياء كأن تلقي بالحجارة على نوافذ كثيرة متعددة ، كما كرست الكثير من وقتها لشق اطارات السيارات وكل تلك السيارات كانت سيارات شرطة • وكان هذا غريبا جدا بالنسبة لشخصيتها الاخرى التي كانت تطمح ان تصبح شرطيا ، كما كانت تسرق المعروضات من المحلات • وقد قالت في معرض حديثها اثنـاء الفحص « انها لا تستطيع التوقف » •• وانها تكتئب كثيرا عندما تقوم بالعمل فعندما يظهر الشخص الطيب تتذكر اعمالها بندم قاتل •

والممتع في حالـة هذه المرأة الشابة (التي اصبحت فيما بعد علما من الاعلام في تاريخ الجريمة القسرية) هو ولعها بالكتابة الخيالية • وقد اوضحت انها عندما تكتب « كان القلم يقوم بمعظم العمل » •

وتبدو حالة متهم اخر اكثر غرابة (مريض في مصح عقلي) عندما ارتكب جريمة قتل • وقال في معرض حديثه في الفحص السريري انه لا يتذكر انه قتل ضحيته على الاطلاق ولا يعرف أي شيء عن الجروح الواخزه العديدة التـي صنعها في جسد الضحية • وكانت اجابته على سؤالي : « هل سترتكب جريمة اخرى اذا اطلق ، سراحك ؟ » فدبت في جسدي القشعريرة حين قال بكل اخلاص

وصدق « لا اعلم حقا » وكل ما استطاع ان يقوله « انني حقا آمل الا اقترف فعلا كهذا » وتبدو الجريمة معدومة الدوافع بالمقاييس العادية • ويبدو ان القاتل نفسه لا يستطيع القاء الضوء على تلك الدوافع • (ماكليير ١٩٦٨) وتشبه هذه الحالة الى حد كبير فلم فرتزلانك Fritz Lang المرعب « م » الذي يحكى قصة الطفل القاتل « البرىء » حيث لا نستطيع في كلتا الحالتين ان نجزم بأن السبب هو تعدد الشخصية ، لكن الادلة تشير الى ذلك •

ورغم ندرة حالات تعدد الشخصية نراها مستمرة الظهور • وتوفر كل حالة مكتشفة جديدة طريقة جديدة لدراسة هذه الظاهرة • وقد بحث كل من (لورمور ، لدوك كاين عام ١٩٧٧ م) هذه الحالات •• وقالوا ان مائتي حالة من حالات تعدد الشخصية قد سجلت لحين طبع بحثهم • وكانت طريقتهم الجديدة من خلال استنتاجهم من هذه الحالات الممتعة حقا • ففي الاطار التاريخي لهذه الحالات نرى مورتن برنس قد تحدد كثيرا في دراسته لحالة الانسة بيجامب • بينما كان ثايبن وكلكلي اكثر حظا منه عند دراستهما لايف وايت حيث قاسا ذكاء الشخصيات الثلاث ثم قدرا الاختلاف العاطفي بين ايف وايت وايف بلاك وجوك • ثم استخدما التسجيل الصوتي والصوري للشخصيات الثلاث لتقديم كل شخصية الى الأخريين • كما استخدم الباحثون اختبارات الشخصية في حالة فيث Faith (التي سنتناولها لاحقا) كما درسوا التغييرات الفسلجية التي تحصل في جسد المرأة عندما تتغيّر احدى شخصيتيها •

فالشخصية الاولى في حالة فيث ، هي امرأة مكتنزه البنية في الخامسة والثلاثين من عمرها • أدخلت المستشفى بأعراض مرضية كثيرة • حيث كانت لديها محاولات عديدة لايذاء نفسها ، وعدة محاولات انتحار • وفي الفحص الطبي ، قالت للطبيب انها شاعرة بشخص ما في داخلها يحاول السيطرة عليها • كما كانت تعاني من عدم التواصل الزمني في الذهن الذي يتراوح بين دقائق

الى اسابيع • وتمثل شخصيتها الثانية التي ظهرت فيما بعد الانا المتغيرة الشريرة وتدعى هذه الشخصية اليسا التي كانت تؤمن بأنها اداة الشيطان بعثت كي تأخذ جسد وروح فيث • وكانت اليسا تسيطر خصوصا في حالات الاكثار في شرب الخمرة ، وكانت مسؤولة عن محاولات طعن زوج فيث وابنها البالغ من العمر خمس سنوات • ولم تعط هذه الافعال اللا ارادية اي انذار قبل وقوعها • كما ظهرت في الخمس سنوات السابقة شخصية ثالثة هي « فيث ـ اليسا » وكانت اليسا مسيطرة عليها ووصفها الباحثون « بأنها طفلة صغيرة خائفة » (وقد استطاع الباحثون اثبات خوفها بالاختبارات الفسلجية) • كما ظهرت شخصية رابعة زاخرة « المَلَك كاردين Gaurdian Angle » وقد ادعى الباحثون انها شخصية حامية لفيث ، فهي ذات ايمان ديني قوي وتدعى انها تمتلك قابلية الاتصال بالله مباشرة • وكانت موجودة دائما وعالمة علم كلي بجميع الشخصيات الثلاث • كما تدعى النبوءة بالمستقبل • وقد اقتنع الباحثون من خلال الاختبارات النفسية والفسلجية بعدم امكان تفسير هذه الظواهر كحالة من الخداع او الدجل او تمثيل الادوار التي تمارسه هذه المريضة وقد اظهر فحص قياسي (اختبار الشخصية المتعددة الاوجه M.M.P.I [1] ان الشخصيات الاربع ذات صفات مرتبكة وذهانية النوع •

ويبدو ان اعتقاد الباحثين وتشخيصهم للحالة في منتهى الاهمية في هذه الحالة • فقد يقول البعض عن هذه الحالة انها تتوسط حالات عصاب الهستريا والفصام الذهاني •

---

(١) اختبارات الشخصية المتعدد الاوجه M.M.P.I : وهو اكثر اختبارات الشخصية شيوعا ويستخدم طريقة الاجابة على الاسئلة تحريرا ولا يعتمد على قياس سمات نقية بقدر ما يقدر الصفحة النفسية الكلية للشخص المفحوص ، ويتضمن الاجابة على ٥٥٠ فقرة .

علم النفس الاكلينيكي الجزء الاول (د . لويس مليكه) (المعرب) .

وسوف تتناول التصنيفات بالتفصيل لاحقا . كما يمكن ان تؤخذ هذه الحالة بمذاهب غيبية على انها ذات خصائص خارقة .

حيث تؤثر مذاهب الباحثين واعتقاداتهم ومذهب المريضة ومعتقداتها والمعتقدات السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه كثيرا بحالة تلك المريضة . فرغم خلفيـة فيث الاجتماعية الدينية المحافظة ، عالجها الباحثـون عن طريق علـم الامراض النفسية ، وعلم الفسـلجة . ولكن أناسا آخرين سوف يعطـون بلا شك تفسيرات اخرى لابد للمرء ان يأخذها بنظر الاعتبار وهي « الامتلاك بالارواح الشريرة » و « تعدد الشخصية » قد تلعب دورا مهما في هذه الحالة. حيث لم تمت الخرافة وعبادة الشياطين مع انتهاء القرون الوسطى ، كما سنرى في الفصل القادم .

الفصل الرابع

عبادة الشياطين والامتلاك

الروحي والرقي[1]

---

(١) الرقي (Exorcism) عملية طرد الارواح الشريرة من الجسد .
(٢) الاستذئاب (Iycanthropy) جنون يتوهم المصاب فيه انه مسخ ذئبا (المعرب)

---

(١) اوزيريس (Osiris) احد الهه مصر القديمة .

١

لم تكن حالات تعدد الشخصية • حالات جديدة فهي قديمة قدم الامتلاك الروحي الشيطاني للنفوس والاستذئاب(٢) وجنون الحكماء الموقت والحوادث الخارقة التي يدعي بها المصابون بالصرع •

(J. Laird) ج • لبارد •

يقول زرادشت في تعاليمه • هناك صراع سرمدي بين قوى الخير وقوى الشر وتتجسد قوى الخير والنور في اورمزد (Ormzud) وتتجسد الشر والظلال في ايرمان (Ahriman) واتباعه من الارواح الشريرة والرقي حيث يستعمل الماء المقدس لغسل اعضاء الجسم الواحد تلو الاخر • اذ يعتقد انه يطرد الروح الشريرة القابعة في الجسد من الكتف الايمن الى الايسر ثم الى الابط والصدر • يطرد نهائيا من الجسم عن طريق اصابع القدم وقد تطرق سليكمان Seligman عام ١٩٤٨ م في كتابه تأريخ السحر (History of Magic) **الى انتقال الطقوس الزرادشتية الى العصور المسيحية** فاستشهد بمثال من القرن السابع عشر من قصر الملك الفرنسي • حيث طردت الروح الشريرة (بيلزبب) Beelzebub عن طريق فم المرأة الممتلكة روحيا بتعويذة على شكل ذبابة وان فرضية الاله الشيطاني واتباعه من الارواح الشيطانية فرضية قديمة جدا وتدخل فكرة امتلاك الارواح الشريرة للاجساد وفكرة الرقي في طلب اغلب الديانات السائدة • اذ نقرأ كيف استطاع الاله الشيطاني تحطيم اوزيريس (Osiris) في مصر القديمة ونقرأ في التراث البوذي كيف تعرض بوذا للاغواء من قبل مارا (Mara) ونقرأ في

المسيحية محاولات الشيطان (ساتان Satan) لاغواء المسيح وكيف كانوا يعالجون الرجال المتلكين بالارواح الشريرة بالرقي • ونقرأ في القرآن عن ابليس (Iblis) النسخة المطابقة في الديانة الاسلامية • وكيف انه عبارة من ملك ساقط ومناقض لمشيئة الله • ويقول ايكلمان (Eickleman) المختص بالاسلاميات في دراسته المنشورة عام ١٩٦٨ م • ان الاسـلام لا ينفي على قابلية حدوث الاشياء الخارقـة • كما تضمنت دراسته هـذه معلومات واعتراف المسيحية بها • كما يؤكد كلا المسيحين الكاثوليك والبروتستانت على وجود فكرة امتلاك الارواح الشريرة للاجساد •

وتبقى القواعد الاساسية لهذه النظرة عن دراسة الارواح الشـريرة معقدة جدا ولا يتسع المجال لتناولها هنا • ولكننا بعد ان ذكرنا هذه الظاهرة يتوجب علينا ان نلقي عليها بعض الضوء وتبقى نظرة العلوم الطبيعية لهـذه الظاهرة كبديل للنظرة الدينية • حيث بدأت من الاسئلة العديدة التي وجهها الفلاسفة الاغريق وعلى رأسهم ارسـطو (Aristotle) ٣٨٥ ــ ٣٢٢ ق•م حيث قال ارسطو بخصوص علم النفس والاخلاق • ان طبيعة الانسان الخام متعادلة اخلاقيا والفضائل بضمنها الفضائل الاغريقية الاربع ــ الحلم ــ الشجاعة ــ العدالة ــ الحكمة ماهي الا عادات مكتسبة وكذلك الرذائل • وقد انتقلت هذه القيم الاغريقية بمنطقها وعلومها وفلسفتها من ذهن ارسـطو الى اذهان طلابه وكان احد هؤلاء الطلاب هو الاسكندر المقدوني الصغير • الـذي انشأ قبل توهج الامبراطورية الرومانية • امبراطورية امتدت من اليونـان وايطاليا غربا حتى شمال الهند شرقا ومن القوقاز شمالا الى مصر جنوبا • وقد دحـرت جيوش الكسندر الجيوش الفارسـية • فازدهرت الثقافـة الاغريقية في تلك البقاع لكنها لم تستطع ان تقضي نهائيا على تعاليم زرادشت وبعض الديانات الاخرى • وبعد ان انتشرت الديانة المسيحية رفضت بشكل

نهائي جميع الاديان الاخرى المتعلقة بالطقوس الخرافية • وكان الاباء المسيحيون الاوائل يمنعون المسيحيين من دخول او الاقتراب من هذه الطقوس الوثنية لانهم يعتقدون انهم سوف يتعرضون الى الارواح الشريرة التي سوف تصطادهم • لقد عملت المسيحية في وقت من الاوقات كما عملت معظم الديانات العظيمة على اسعاد الانسان وخلاصه من خوف الامتلاك بالارواح الشريرة ولكن هذه الحالة لم تكن دائما ، فرغم اعتناق اوغسطين (Angustine) ٣٤٥ ــ ٤٣٠ م مطران هيبو المسيحية الا انه بقي تحت تأثير الافكار الفارسية ، فكان يؤكد دائما على الخرافة في تعالميه للناس البسطاء • كما بعث ملتون الحياة في النزعة المسيحية المبكرة لاكتشاف الارباب المتنافسة مع الارواح الشريرة في كتابه الفردوس (Paradise lost) حيث تبدو الارباب الوثنية كملهم للشيطان طردت معه من الجنة وهي الان اتباعه في جهنم والنار التي يدور حولها • لقد رأينا كيف فسر يونك من وجهة نظر العلوم الطبيعية وعلم النفس « ظل النفس » والانا المتغيرة الشريرة (جزء النفس الذي يحاول الانسان رفض وانكار كل رغائبه) وربما يكون كما قال دستويوفسكي على لسان ايفان كرومازوف (يصنع الانسان ربه الشيطاني فيتجسد بصورته هو •) •

ان عبادة الارواح الشريرة والاعتقاد بامتلاك الارواح الشريرة للانسان والرقي لا زالت حية ومنتعشة وقد اجرت عالمة السلالاتأريكا بوركيكنون (Erika Bourquignon) مسحا عالميا للامم التي تؤمن بامتلاك الارواح الشريرة لبعض الاجساد فاشتملت خارطتها على اجزاء من افريقيا ومنطقة البحر الكاريبي والهند واسيا وامريكا الشمالية والجنوبية • لقد زار يونك افريقيا ــ فتأثر بطريقة مشي الافريقيين السريعة ووجوههم الوديعة • لقد قالوا له : انهم هناك تحت اشعة الشمس يتمتعون بالحياة • لكن هذا الاغتباط وتلك المسرة لا تلبثان ان تتلاشيا مع الغروب • ففي الظلام نراهم

يرتعبون فرقا من ارواح الليل الشريرة • وعندما تشرق الشمس ثانية يبدأ النــور والحياة السعيدة بالظهور من جديد ويقول يونك انه عندما سافر شمالا بدأ يرى العلاقة بين الخير والشر والنور والظلام • وبدأ يشــعر لاول مرة انه استطاع ان يفهم سيادة الشمس • او على الاقل الدور الرمــزي الذي تلعبه كعامل في أزاحــة قوى الظلام • ثم قال في موضع اخر (ان ذهــن الانسان البدائي • ومخاوفه لا تستقر في رأسه وأنما خارجا عنه • حيث تسقط هناك في الغاب • وانا اشك بوجود ناحيــة من نواحي هذا (الذهن البدائي) فينا جميعا فعندما نكون وحدنا في الظلام فسوف يحفز هذا الظــلام خيالنا فنتخيل اخيلة مخيفــة • ولعل مــن المفيد ان نستشــهد بالســيرة الذاتية لدووا نوربي (Dawa Norbe) المنشورة عام ١٩٧٤ والتي تتحدث عن طفولته في ريف التيبت فكتب يقــول (كان سكان التيبت يؤمنون بامكان دخول الارواح الشريرة الى الاجساد الانسانية) ويتذكر مراقبتــه لكاهن بوذي في نوبة غضب وهو يحاول اخــراج الروح الشريرة من جسد نامكيل (جار عائلة نوربي) وكيف رفضت الروح الشريرة عملية الرقي عندما رفضت ان تدلي باسمها وقد اجريت شخصيا محادثة ممتعة مع مريض مــن ولايــة نيومكسيكو من الهنود الحمــر كان قــد تلقى العــلاج في منطقته بالطرق المعهودة (لاخراج الروح الشريرة من جسده) ويتلقى الان العلاج النفسي الحديث والذي تلائم معــه بشكل افضل مما فعلته معتقداته الشخصية •

ان للمعتقد أثرا كبيرا في النظــر الى العلاقة بين الانشــطار والامتلاك بالارواح الشريرة وربما يكون من الافضل ان نأخذ الحالة التي قدمها الكسندر من الهند عام ١٩٥٦ م كمثال لدور المعتقد في هذه العلاقة • لقد قال الدكتور الكسندر عن هذه الحالة انها حالة تعدد الشخصية • بينما تقول عنها الفتاة الاسيوية سوزان (Soosan) واقاربهــا انها حالة من حالات الامتلاك بالارواح الشريرة ومع ذلك نحن لا نحتاج للذهاب الى منطقة نوربين الريفية في

التيبت او منطقة سوزان الريفية في الهند كي نعثر على مثل هذه التفسيرات •
حيث ذكر الطبيب النفساني سرجنت (Sargant) عام ١٩٧٣ حالة امرأة
تعيش في لندن استيقظت صباحا معتقدة ان ارواح الموسيقيين العالميين قد
امتلكتها اذ كانت مولعة بموسيقى موزارت وبيتهوفن والاخرين • ورغم
ان سرجنت لم يشاركها في اعتقادها هذا • فسرت فئة مؤمنة بتفسيرات غامضة
وغيبية • ولا يزال بعض الناس يختارون في تفسيرهم لظاهرة الشعور المصاحب
(Co-Consciousness) تعدد الشخصية والظواهر الانشطارية الاخرى ظاهرة
الامتلاك بالارواح الشريرة او سيطرة الارواح واحد هذه الامثلة الممتعة هي
حالة الوسيط الروحي دانيال دونكلص هوم (Daniel Dunglns Home)
١٨٣٢ ــ ١٨٨٦ م ويبدو انه لا يستحق القصيدة التي كتبها الشاعر روبرت
براونتك في مدحه (Robert Browning) بعنوان (الوسيط الثلجي)
فهو لم يأخذ النقود على جلسات التنويم التي كان يعملها • كما انه لم يظهر
صورته ابدا ولم يري وجهه لاحد • ويبدو ان هذه الاحداث الغريبة في حياته
قد ازعجت عمته كثيرا التي كان يعيش معها فاستقدمت اكثر من ثلاثة كهان
في مرات متباعدة ولم يستطيعوا ان ينجحوا في عملية رقيه فطردته من بيتها
لقد كتب الكثير عن هوم وقابليته بالاستبصار (Clairvoyance) وقابليته
في استرجاع الحوادث القديمة • فهو يستطيع مثلا استرجاع حياة نابليون
الاول بتفصيلاتها • ويبدو انه كان محترما من قبل الكثير من حكام اوربا
كالقيصر وملك ايران ونابليون الثالث • ومن الصعب علينا ان نصفه كدجال
او كساحر مسرحي فقط • لقد ابدى هو بعض الظواهر النادرة في هذا المجال•
فلقد كان يبدي حذره وتحفظه الشديد من الظواهر النفسية • وكما في الامثلة
الاخرى التي تمتلك شخصيات غريبة ومظاهر ذاتية خاصة في حياتها النفسية
يبقى هو غير سعيد بهذه الظواهر لانها خارج ارادته •

وكانت دايون فورتن (Dion Fortune) التي اصبحت فيما بعـد السيدة ايفانس (Mrs. Penry-Evans) من المعارضين لفكرة اعتبار حالات الانشطار من حالات امتلاك الارواح • حيث اوضحت في كتابها (الدفـاع النفسي الذاتي (Psychic self defense) الأساليب الدفاعية التي يتخذها الفرد ضد (النوبة النفسية) وقالت تكون هذه النوبة نتيجة لاربعة اسباب هي : ـــ

أولا ـــ حصولها عند تركز القوى النفسية كما يحدث في تكرار الاشباح فـي مخيلة الفـــرد •

ثانيا ـــ عندما يتعامل الفرد مع اناس يحملون هذه القوى النفسية •

ثالثا ـــ عندما يخرج الفرد ليلاقي مصيره المجهول •

رابعا ـــ عندما يكون الفرد ضحية لحالة مرضية • وقد اوضـحت الحالـة الاخيرة • بالاستشهاد بوصف مرضى الصرع لتجاربهم وتجارب الاخرين عندما يعتقدون ان نوبات الصرع ما هي الا صراعهم مع بعض قـوى هذا العالم الوهمي وقد وضعت حادثة وقعت لها حين رأت صورة زائفة او فكرت بها لا اراديا وهي صورة شبيهه لقطة جامدة •••• ومن حسن الحظ انها اختفت بعد ان قرأت بعض التعاويذ ويتمكن معظمها ان يسلك سلوكا اكثر انضباطا واكثر واقعية تجاه الظواهر الغريبة كتصورنا للجثث الخارجة من القبور ليلا لامتصاص الدماء (Vampires) الاسـتذئاب الارواح الشريرة واسقاطات الجسد النائم مما فعلت فورتشن • كما اننا سوف لن تتفق معها في ان الانسان الاعتيادي قد يخرج عن طوره او يكون مسلوب الارادة في مثـل هذه الحالات • ورغم هذا استطاعت فورتشن تمييز ثلاث مراحـل لاستجابات الحالة النفسية المتغيرة • الاولى هو اعتقاد الفرد بان كل ما يحدث هو زيف ودجل والثانية اذا تولد الشك عندها يكون الفرد مهيئا للتصديق

باي شيء واخيرا • قد يظهر لدى الانسان اتجاه في البصيرة الناقدة والحاكمة على الاحداث وهنا لابد لنا ان ننـوه بان الناس ليسوا جميعهم مؤهلـين للعبور من الحالة الثانية الى الثالثة • لقد احدث كتاب و• ب W.P. Platty المسمى الراقي (The Exorcist) الذي نشر عام ١٩٧٢ والفلم الذي اخذ عنه تأثيرا دراميا في المشاهدين الحساسين لهذه المشاهد • حيث تأتي ام قلقة الى كاهن في كنيسة روما • سائلة اياه ان يطـرد الروح الشريرة التي تعتقد انها تلبست ابنتها • وقد كان القس (الاب كاراس Karras) شـاكا للغاية بصحة هذا الادعاء وقال لها ان اهم ما تحتاجه هو ماكنة لارجاع الزمن الى الوراء لارجاعها الى القرن السادس عشر لان هذه الحوادث لم تحدث بعده على الاطلاق • واكد على اهمية الفحص الطبي الدقيق ـ لكنه اقتنع اخيرا بالقضية وحاول جهده اقناع المطران الذي كان اكثر شكا منـه واخيرا وافق الاخير على أن تجرى عملية الرقي ضمن التعاليم الكاثوليكية الصارمة • لقد اصدر مطران اكستر قبل عدة سنوات (حيث كان عالمـا بان هذه الطريقة لم تستخدم قط في الكنيسة الانكليزية) فتوى بهذا الخصوص وقد اقترحت هذه الفتوى الصادرة عام ١٩٥٨ الخطوط العريضة التي يجب ان يسير على هديها القساوسة الانكليز فيما يتعلق بقضايا الرقي •وقد طبع دوم روبرت بتتبير (Dom Robert Petitpierre) خبير الدومنيكان في قضايا الرقي • وقد نصت الفتوى على عدد من الوصايا التي تعتبر كصمام امان لهذه العملية • منهـا التأكيد على التعاون مع الطب واستحصال موافقة مطران تلك المنطقـة • واستخدام راقٍ مدرب وذي خبرة طويلة بعملية الرقي وقـد ثبتت الاهمية الحيوية للفقرة الاخيرة من خلال تراجيدية احداث عام ١٩٧٤ م عندما انتشرت عمليات الرقي في بريطانيا كالوباء دون اي قيد •

حيث مارست جماعة صغيرة اطلقت على نفسها « الرفـاق المسيحيون » (Christian fellowship) عملية الرقي في مدينة صغيرة من مقاطعة يورك

شاير وكانت تجري عملية الرقي فتاة في الحادية والعشرين من عمرها امنت انها امتلكت بروح مقدسة واخذت تتكلم على لسان تلك الروح وقد اقتنعت هذه الجماعة نفسها بوجود رجل بينهم أدعوه أنا أب امتلكته روح شريرة ويحتاج الى عملية رقي ولهذا لم تكن الفتوى التي اصدرتها كنيسة روما وكنيسة اكستر خالية من الاسباب وقد حذر معظم الناس المؤمنين بهذه العملية والمتمرسين بها كدايون فوتشن من مغبة مثل هذه الاعمال . وهكذا فشلت عملية رقي أب ثم خضع لعملية رقي اصولي بقرار من رجلي دين ومساعديهما . وقد أجريت العملية في الكنيسة . ثم ذهب أب الى بيته ليقتل زوجته والكائن الحي الوحيد الموجود في البيت الا وهو الكلب وكان من حسن الحظ ان ابعد الاولاد قبل حلول ذلك الليل . وقد وصف القاضي الليل الذي اجريت فيه عميلة الرقي بانه اشبه بعودة الى القرون الوسطى كما وصف الدفاع الفريق الراقي (كفريق غذى قلق الفرد ليجعله عصابا متمكنا) وقال طبيب نفساني ذو خبرة طويلة : لو لم يتعرض لهذه العملية وتلقى العلاج الطبي المناسب لما قتل (محكمة يورك شاير ٢٦ اذار عام ١٩٧٥) .

حجز المتهم اب في مستشفى برود مور . ثم فتح المحقق التحقيق ثانية بعد فترة في ندوة عامة . وصادف ان كنت في يورك شاير في تلك الفترة فاستطعت الحضور كأحد العامة . وكان التحقيق ممتعا من الناحية القضائية والنفسية والخرافية وقدم المحقق الاحداث امام هيئة المحلفين التي مثلت الاحزاب بامانة كاملة وقد اخذت البينة بعد القسم . وكان اب مؤمنا ايمانا تاما بانه ممتلك بروح شريرة وقد شاركه ايمانه هذا رجال الدين الانجليكانيون (Anglican) والمنهجيون Methodist [٢] الذين قاموا بعملية الرقي

---

(١) تابع الى الكنسية الانكليزية .

(٢) المنهجي ـ احد اتباع الحركة الاصلاحية التي قادها في اوكسفور عام ١٧٢٩ م تشارلز وجون ويزلي محاولين احياء كنيسة انكلترا .

الاصولي وقد اقترح المنهجي استشارة طبيب نفساني في أثناء عملية الرقي ولم يؤخذ اقتراحه بنظر الاعتبار •

وقد اعترف احد افراد فريق الرقي هذا انهم انتزعوا اكثر من اربعين روحا شريرة من جسد هذا الرجل وقد قاومت ثلاثة ارواح شريرية عملية الرقي هذه هي العقل الجريمة ، العنف ، فاجتمعوا ثانية ليقرروا اكمال عملية الرقي ام لا وقرر الفريق اجراء اختبار العمر ــ والقدم وقرروا اجراء العملية لان الشيطان اعترف باسمه وقد اعترف احد المشاركين بالعملية في التحقيق الموسع الذي اشتركت فيه الشرطة بتحقيقها الدقيق ان اب كان مسجيا بوضع الصليب وقد اجتمع الناس يصلون فوقه بعد ان تركوا النافذة مفتوحة كي يدعو الارواح الشريرة تخرج وقد اعترفت احدى المشاركات باعتقادها بان الشيطان نفسه كان يتكلم من خلال اب وفد سأل المحقق احد المشاركين •

المحقق : ما هو تصورك عن الاحداث الان ؟

اجابه : نتيجة لامتلاك الارواح الشريرة لهذا الشخص •

المحقق : حتى الان ؟

اجابه : حتى الان •

لقد ظهر دوم روبرت بتنبير في التحقيق الموسع كخبير • فسئل عن فتوى مطران اكستر • فقال انها طبعت باكثر من ثلاثة الاف نسخة ووزعت في بحر اسبوعين • وهكذا قررت لجنة المحلفين سهولة وصول هذه الفتوى الى ايدي فريق الرقي كي يهتدوا بوصاياه • كما سئل بتنبير عن الاربعين او الخمسين روحا شريرة في جسد هذا المسكين فكان رأيه اكثر حذرا حيث قال (ان وجود روحين شريرتين في جسد انسان هو شيء مثير للغاية •• لقد سمعت بفائدة اللغة الكبيرة في الاتصال بحالات حقيقية من هذا النوع • كما أكد على ضرورة التعاون مع الاطباء النفسيين في حالات كهذه حيث يتعاون

الفريقان في العلاج والمتابعــة وقد لخص المحقق رأي بتتبير بقوله ان المأساة تكمن في عدم استشارة طبيب نفساني لقد اجريت عملية الرقي باهتمام مركز لكنها تبقى عملية مأساوية وكان استنتاجه مؤكدا وصارما من خلال توصيته التي تنص على عدم السماح بحدوث مثل هذه الحالات مطلقا .. لقد استقطبت هذه الحادثة الاهتمام الى مخاطر الانفعالات والنشوه الدينية في المراسـيم الدينية المتوارثــة كما تحدث المحقق عن المشاكل الخاصة بالآخرين وخصوصا الهواة غير المؤهلين المتطفلين على هذه العمليات . لم يكن لدى أب قصــد اجرامي او شرير تجاه زوجته فيكون حكم المحلفين الصحيح على هذه الجريمة هو الموت قضاء او قدرا . (ديلي تلغراف ٢٤ نيسان ١٩٧٥) .

ومما يدعو للاسف الشديد هو ان ما موجود من احترازات لدرء مخاطر هذه العمليات قليل جدا وقد تكون عملية الرقي ذات فائدة علاجية في الاماكن التي يؤمن ساكنوها بسيطرة الاشباح عليهم اذا جعلت المريض اكثر سعادة) ولكنها عملية خطيرة اذا اجريت للاشخاص الذين يعتقدون انهـم امتلكوا بارواح شريرة ومنذ ان تعرضت الكنيسة الانكليزيــة للقضية السالفة أصبح لزاما علينا ملاحظة تحريم عملية الرقي التي نص عليها قانون الكنيسة عــام ١٦٠٣م ما عدا حالات موافقة مطران المنطقة . وتحتاج عملية الرقي موافقــة كنيسة رومــا عليها وحتى اولئك الذين يؤمنون بهذه المعتقدات ينصــحون بالحذر الشديد من عملية الرقي . كما فعل الخبير في المحكمة . وكما فعلت الشخصية القصصية الاب كاراس في قصة بلاتي وتقول دايون فوتشــن (ان الازمات النفسية قليلة جدا اذا ما قورنت بغيرها ولا يجب ان نفترض وجودها الا بعد ان نبعد الاحتمالات الاخرى .

ننتقل الان من الاوربيين المؤمنين بعملية الرقي الى مناطق اخرى مــن العالم تمارس هذه العملية . قدمت بوركوكنون (Bourguignon) دراستها الاجتماعية في عام ١٩٧٢ لاربعمائة مجتمع غير اوربي . ولاحظت

شواهد على ما يدعي • بالانشطار البيئي في ٨٩٪ من هذه المجتمعات وقد دعم باحثون اخرون هذه الملاحظة فقد لاحظ لايون (Leon) عند دراسته لامريكا اللاتينية اعتقادا سائدا بين الامراض الجسدية والنفسية ما هي الا نتيجة لامتلاك الارواح الشريرة لهذه الاجساد كما لاحظ النشاط والحيوية التي يبدونها في عيد الحصاد (مع ظاهرة الكلام على لسان الارواح • كظاهرة اساسية) في اماكن كثيرة كالمكسيك والبرازيل •

وتعتبر نشوة امتلاك الارواح ، ظاهرة مقبولة في افريقيا (كما اشرنا سابقا) حيث يعتبر الانسان في النشوة مسكونا بروح خارقة تبحث عن القيادة والاخذ بيد البشر ويجب على الاخرين اتباعها كما كان يفعل الكهان الاغريق • وبعد فترة التغيير هذه في الحياة النفسية ترجع او يرجع الى حالتها او حالته الطبيعية وقد قدمت عالمة السلالات لينورا كرينبوم (Leonord Greenbaum) دراسة مفصلة عن هذه الظاهرة في المجتمعات الافريقية وقارنت بين المجتمعات التي تحتوي ظاهرة نشوة الامتلاك مع المجتمعات التي لا تحتوي هذه الظاهرة وقد ربطت هذه الظواهر بعوامل متعددة احدها معدل الاسترقاق في تلك المجتمعات وتظهر هذه الظاهرة غالبا في المجتمعات المحافظة والتي تفتقد المرونة الاجتماعية والتي تضع ضوابط اجتماعية صارمة على فعاليات الافراد فتتلاءم فكرة الارشاء والقيادة من خلال الارواح المالكة مع طبيعة هذه المجتمعات فهي تريح الفرد من مسؤولية اتخاذ قراراته • كما تساعد على حل المشاكل دون التأثير على العلاقات الاجتماعية والعرف الاجتماعي السائد •

وتقودنا هذه الارواح القيادية الخارقة في ظاهرة نشوة الامتلاك من عفاريت القرون الوسطى وخرافاتها الى تفسير مختلف عن طريق السلوك المنشطر كما سنرى في الفصل القادم • كما تقدم نظريات التقمص (Reincarnation) الاجابة على الكثير من الظواهر المحيرة والتي نصت عليها بعض اقدم الديانات في العالم •

الفصل الخامس

نظريات التقمص

Theories of Reincarnation

« لقد كنت محظوظا لاني قابلت ما لا يقل عن اثنتي عشرة ماري انطوانيت ست او سبع منهن من اسكتلندا وزوجة لويس السادس عشر وزوجات الملوك الآخرين ، وعشرين الكسندر المقدوني • ولكني لم أرَ سمث واحدا •

« دانيال دوكلاص هوم »

كتب القاضي البوذي المعروف جستس همفري Justice Humphery كتابا شيقا للقراء الغربيين في عام ١٩٦٢ م • موضحا مقولة بوذا « يكــون الحاصل الكمي والنوعي لاعمال الانسان (الكرما[1] Karma) جزءا من مستقبله في التقمص اللاحق » لهذا فان الانسان « يتفسخ في قبره وهو ينتظر حياته الجديدة كي تأتي » ولهذا يكون الموت « كأستراحة جيدة » بين عمليات التقمص • فقد يكون الطفل اكبر كثيرا من ابويه اذا نظرنا له من هذا الجانب• وقد افترض همفرى ان هذا المذهب « يبقى ادق التحليلات الفلسفية علــى الاطلاق » وقد نغفر للمتفقين معه في هذا الرأي • لانه كفلسفة له عدد قليل من الفلسفات التي تصل الى مستواه • وهناك العديد من الظواهر التي لا زلت افضل ان اسميها بالانشطار ، الشعور المصاحب وتعدد الشخصية • وانا متفق مع دانيال دوكلاص هوم في أن هناك شكا قليلا في أن الانسان قليلا ما يلاقي انسانا آخر مدعيا انه رأى « جون اسمث واضح في تقمصه السابق •

وترينا حالة هابن سمث التي درسها تيودور فلورنوي Theodor Flournoy استاذ علم النفس في جامعة جنيف في نهاية القرن المنصرم في كتابه « من الهند الى كوكب المريخ عام ١٩٠٠ م كيف استعرض حياة هذه السيدة الزاخــرة

[1] الكرما : العاقبة الاخلاقية الكاملة لاعمال المرء في طور من اطوار الوجود بوصفها العامل الذي يقرر قدر ذلك المرء (في الاعتقاد البوذي) في طورتنا سخي تال.

بحذر حيث كان لهلين سمث اسم مستعار هو كاترين مولر Catherine Muller الوسيطة الروحية التي عاشت في جنيف • وكانت تمثل حسب اقتناع فلورني حالة تعدد الشخصية • حيث ظهر ان لديها شخصية حيويـة كانت تمارس الكتابة اللاارادية في اشكال ممتعة • وكانت تنسب بعض هذه الكتابات الى فكتور هيجـو • حيث قالت عندما بدأ فلورني بدراستها ان احـدى شخصياتها هي عبارة عـن تقمص لمـاري انطوانيت • وتمثـل « ليوبولـد Leopold » شخصيتها الاخرى في هذه « الحلقة الملكية » والتي كانت حامية لها كما مر ذكرها سابقا • ثم عرف ليوبولد نفسه فيما بعد على انه ظل الكونت كالكرسترو الكيميائي والساحر • وكان يختلف بصوته وكتابته عن هيلين • وقد استغاثت كل هذه الظواهر بالباحث • وقد ازدادت شكوك الباحث عندما تقمصت المريضة شخصية لورنـس فيلسانا Lorenze Feliciana التي كانت احدى شخصيات الكسندر ديماس الادبية وليست لها علاقـة بأي شخص تاريخي •

وظهرت هلين في المرحلة الثانية كتقمص لابنه شيخ قبيلة عربية • حيث اصبحت سيمانديني Simandini أميرة بعد ان تزوجت اميرا هنديا ، ولما مات أحرقت هي ايضا في مراسيم تشييعه •

وفي هذه المرحلة كانت تعتقد بأن فلورني نفسه هو الامير الهندي • وفي المرحلة الثانية ظهرت بشكل دخيل وغريب جدا • حيث ظهرت هلين كشخص ذهب الى كوكب المريخ ثم عاد • واعطت وصفا شيقا لتضاريس ذلك الكوكب والكائنات التي تعيش فيه وظهـرت خـلال حديثها وكتابتها اللا اراديـة انها تعرف اللغة التي تتكلم بها كائنات كوكب المريخ • وظهـر في تقمصاتها

الاخرى انها ذهبت الى اورانوس Uranus [1] كما اخذت تتكلم باللغة الاورانيسية واثبتت الدراسات اللغوية اختلاف اللغتين • وقد ثبت ان اللغة الاورانوسية تشبه اللغة الفرنسية في بعض النواحي • كما مارست هيلين لاحقا الرسم اللا ارادي الذي لم يبدو فيه أي تمييز فني •

وتؤكد المظاهر المختلفة على وجود خيال طفولي مع علاقات نكوص متعددة • وقد رأينا كيف اختار فلورني مصطلحات الانشطار وتعدد الشخصية للتعبير عن هذه الحالة • ويبدو من غير المعقول اليوم ان ناخذ احلام يقظتها تلك على انها دليل على حالات التقمص •

وبعيدا عن التغييرات التي حصلت منذ عام ١٩٠٠ م • يعد علم الفلك Astronomy من العلوم التطبيقية الآن وقد زار العديد من الكواكب ليدحض ادعاء هيلين ليس عن طريق الدراسات اللغوية فقط •

ومن الممتع في هذه التجارب الحياتية التي تقع خارج التجربة الحياتية للفرد والتي تدعى في بعض الاحيان « الاسفار الكونية Astral travel وما يرتبط بها من ظواهر اهمها ما يدعى في علم النفس « بالاحلام البيضاء » Lucid dreams ويعرف النائم في هذه الاحلام انه نائم وان ما يراه هو حلم ويستطيع ان يظهر بعض السيطرة على احلامه •

وكان فردريك فان ايدن Frederick Van Eeden اول من اطلق هذا المصطلح على هذه الظواهر عام ١٩١٣ م الذي اكد الرأي القائل « في النوم ، يعترى الوظائف العقلية نوع من الانشطار » لقد درس ايدن خمسمائة حلم من احلامه الخاصة فوجد ان ثلاثمائة واثنين وخمسين منها عبارة عن تجميع

---

(١) اورانس Uranus سابع الكواكب السيارة (المعرب)

(١) فقدان الانية Depersonalization وهو اضطراب الشعور بالذات واحساس المريض بانعدامه او بعدم واقعية وجوده او بأنه تغير او اصبح كأنه شخص مختلف عما يعهده في نفسه (المعرب)

كامل لحياته العادية . وكانت خاضعة لسيطرته الارادية . وبدأ احد هذه الاحلام بحالة من الطيران والتحليق ، ثم رأى أخاه الذي مات قبل خمس سنوات فقال له ايدن « كلانا يحلم انا وانت » ... فأجابه اخوه .. (لا ، انا لا احلم) .

وفي حلم آخر رأى فان ايدن نفسه واقفا الى منضدة قرب نافذة . وكان عالما تماما انه يحلم ، وبدأ يقوم بتجربة ، فحاول كسر الزجاج بضربه بحجر ، واخيرا نجح بكسره . فالقى بزجاجة من النافذة . ليرى هل يستطيع ان يسمع ارتطامها بالارض . فاستطاع ان يسمعه ، ثم حاول تذوق اناء الخمرة . وبينما كان واعيا تماما انه يحلم رأى أن حواسه الخمس تعمل بشكل طبيعي . وترينا احلامه التجريبية بوضوح كيف يستطيع الحالم ان يغير احداث الحلم عن جسمه (الوهمي) .. وكان واعيا بوضوح بحياة الحلم وصورة جسمه الحالم ، بيديه وفمه وأعضائه الاخرى وكانت احلامه البيضاء كثيرة جدا .

وقد اكد هذه الخبرات الخارجة عن الجسم اناس يرفضون بشدة التفسيرات الميتافيزقية والخارقة لهذه الظواهر .

حيث اخبرني زميل لي واقعي التفكير تجريبي المذهب لا يؤمن بالخوارق انه بينما كان نائما رأى ، « جسمه الحلمي » يحلق فوق جسمه النائم بمقدار ستة انجات وكان في وضع يستطيع ان يرى الاثنين . وقد تحدث مثل هذه الاحداث في النفس الثانية في حالة اليقظة ايضا . وقد سرد راوكليف Rawcliffe ١٩٥٩ م حالة سائق سيارة حوضية عندما انفجرت سيارته بلغم . فشعر بنفسه يطير في الهواء وينظر الى جسده وتبدو ظاهرة فقدان الانية[1] Depersonalization المعروفة من قبل الاطباء النفسيين مشابهة لما سبق شرحه ، وتحدث هذه الظاهرة في حالات الاعياء الشديد أو في حالات القلق . فمعظمنا يعلم ما يمثله جسده في المحيط وما يحيط به من اشياء وماذا يحدث حوله . لكن بعض الناس ينكمشون على انفسهم ولا يعرفون ما يحيط بهم في حالات الالم مثلا .

ان التفسيرات الخارقة لهذه الظواهر كثيرة جدا • ففي حالة قدمت في بداية السبعينات قال احد الساكنين في الغاب انه يرى دائما « خيط فضي » اسطواني ولماع يربط بين جسمه الحالم وجسمه النائم • ونلاحظ فكرة الخيط الفضي هذه في ادب اسفار الكون • وقد ثبتها الباحث كروكهل Crookhil في العديد من الحالات التي درسها • حيث يقول هؤلاء الاشخاص انهم يشعرون ان جسدهم الحالم يفارق جسدهم النائم في قمة الرأس ويبقى يحوم حول الجسد النائم قبل ان يدخله • ويشعرون بتقلص عضلي مفاجيء دائما عند دخوله الجسد ثانية • وتبدو هذه الظواهر ذات علاقة وثيقة بالاحلام البيضاء • لقد عانت السيدة ارنولد فوستر Mrs Arnold Foster « احد كبار الباحثين في هذا الحقل » كثيرا في الكوابيس الليلية ، واخيرا وجدت الحل حيث كانت تلاحظ وتتأمل في ساعات يقظتها طيران الطيور ، وبعدها لاحظت انها تستطيع ان تزيد من احلامها الطائرة • وفي حالة الكوابيس المزعجة كانت تهرب بعملية الطيران كطير •

وقد ذكرت الباحثة سليا كرين Celia Green عام ١٩٦٨ م مثالا على هذه المريضة بعد عملية صغرى • حيث رأت المريضة نفسها في السقف تلاحظ طبيبين كانا يطببان جسدها ويبدو انها انسلخت عن جسدها ولم تعط الباحثة أي تحليل خارق لهذه الحالة • بل على العكس من ذلك • حيث قص على احد زملائي في حقل علم النفس • انه حلم مره بأنه في المستشفى وقد تحلق حوله الاطباء وهم يتكلمون بصوت خافت عن حالته الخطرة • والحلم لحد الان طبيعي وليس له علاقة بالاحلام البيضاء ، ولكنه عندما استيقظ قرر ان يعود الى الحلم ليرى ما الخطب • واستطاع ، كما دعاها برنارد هارت (في الفصل السابع) ان يسحب الكير ويعود الى الحلم الذي يدعى الان •• « بالحلم الابيض » وفيه استطاع ان ينهض من سريره ويسأل « ما قضيتي ؟ » فطمأنه اصدقاؤه في الحلم «لا شيء اطلاقا ، انك على مايرام »• وعندهااستيقظ مطمئنا •

وقد ميزت سيليا كرين بين الاحلام البيضاء وفترة ما قبل الاحلام البيضاء. ففي فترة ما قبل الاحـــلام البيضاء يسأل النائم نفسه « هل انا احلم ؟ » لكنه يكون في الاحلام البيضاء متأكدا انه يحلم وهو نائم . ويبدو ان معظم الناس معتادون على فترة ما قبل الاحلام البيضاء . وفي تجربة لي (من بين عشرات التجارب سمعتها من الاخرين) سألت نفسي هل اني يقظ .. فقرصت نفسي فأيقنت اني يقظ واستمر الحلم . وفي احدى فترات ما قبل الاحلام البيضاء استخدم فان ايدن فحصا اكثر دقة . لقد بلل اصبعه باللعاب اثناء الحلم ورسم صليب مبلل على يده اليسرى ليرى هل سوف يجده عندما يستيقظ ؟ فحلم انه استيقظ ووجده . وعندما استيقظ حقيقة وجد يده تستلقى بدعة علــى صدره غير مبالية بكل احداث الحلم . واستخدمت اختبارات اخرى كالصوت حيث نلاحظ هي معظم الاحلام البيضاء خبرات صوتية كان يصيح بأعلــى صوته يغني او ينادي لكن زوجته تقول انها لم تسمع صوته وهو نائم قط . فهو ينام بهدوء وسكينة وقد ذكر لي أحد الزملاء حادثة محيرة في احد احلامه. حيث كان نائما وزوجته بجانبه وكلب بجانب السرير . فحلم انه لا يملك كلب ، واستطاع بصعوبة ان يغير موضوع الحلم ، وعندما استيقظ ، استطاع ان يعرف حقيقة وجود زوجته لكنه لم يعرف هل ان الكلب موجود حقيقة ام لا . ولا توجد ظاهرة الشك هنا في هذه الاحلام البيضاء حيث يكون الشخص مقتنعا تماما انه نائم . وقد ذكرت سيليا كرين حاله الحلم التي مربها شاب ، حيث حلم انه يسير في أحد الشوارع مع امه شارحا لها احتمال وجود الاحلام البيضـــاء .

فوقفت الام قائلة « نعم انها محتملة » فأجاب الحالم « اذن اقتنعت يا أماه اننا نحلم الان » ، فاجابت الام « نعم يا بني » .. وهذا المثال هو واحد من العديد من الاحلام التي يعلق عليها الحالم على انها حلم ولكنه يســـتمر يحلـــم .

ونلاحظ هنا تغيير من امتع التغييرات في الحالة العقلية للانسان فكما لاحظنا حلم شخصية من الشخصيات في حالة تعدد الشخصية بالشخصيات الاخريات • نلاحظ هنا وجود نظامين من الافعال ولكنهما مرتبطان ببعضهما •• حيث نلاحظ في بعض الاحلام البيضاء رجوع الشخص الى ذاكرته والاحداث الماضية التي مرت عليه في يقظته كأرضية لتحليل حالة الحلم الجديدة • وتشبه هذه الحالة في كثير من النواحي حالة الشعور المصاحب في حالات تعدد الشخصية كما رأينا كيف تعرض شخصية من هذه الشخصيات افكارها واخيلتها على الاخريات والتي تعتقدها الاخريات مجرد حلم •

لقد قيل الكثير عن الطيران وعلاقته بالاحلام البيضاء • حيث يذكر العديد من الناس ، تجارب طيرانهم في الاحلام • كما قد يحدث الشعور في الحالات النعاسية • وقد وصفت الباحثة لينينك Leaning عام ١٩٢٥م هذه الظاهرة وصفا دقيقا • في احد ، مرضاها وهو بروفسور نيوبولد Newbold حيث تنتابه حالة متكررة من الطيران في فترات النعاس (يطير ووجهه الى الاسفل بارتفاع عشرين قدما عن الارض) وتكون هذه الحالة في الليل دائما ، ويكون متتبعا شارعا معينا ، والاشجار واعمدة الكهرباء والتلفون والحقول على جانبي الشارع ، غير مضاءة ويجد صعوبة كبيرة في تمييزها • ولابد لنا ان نفرق هنا بين ما يتخيله المرء عن جسده وافعال هذا الجسد ، وبين ما يقوم به هذا الجسد في الواقع •

وقد استطاع برفسور نيوبولد ان يفرق بين الحالتين ، ولكن بعض الاشخاص لا يستطيعون التفريق بين هاتين الحالتين خصوصا الذين يؤمنون بالخوارق •

وقد تحدث خداعات حسية ليلية Noctunral illusion لوحدها دون أية حوافز صناعية ، فيتوهم الفرد فيها بالطيران • وقد قدم الباحث ميشيل

هونـــر Michael Hurner بحثا في عـــام ١٩٧٢ م تناول فيه ادعــاء الساحرات الطيران والذهاب الى ارواحهن الاخرى • فوجد دلالة قويــة على استعمال هاتيك الساحرات بعض المراهم التي تحتوي على مادة الاتروبــين Atropine تصنع من بعض النباتات • وللاتروبين خاصيتان الاولى قابلية امتصاصه عن طريق الجلد والثانية خلقه تصور لدى الفرد بأنه يطير • وقد قدم دافيد كونوي David Connoy في كتابه الملذ (السحر الكتاب الازلــي الغامض في عام ١٩٧٢ م) عدة وصفات تصـــنع محليا للســحرة المحدثين يحتوي اثنان من هذه الدهون السحرية المتعددة الاســتعمال على مواد كيمياوية يحتوي الاول على البلدونا Balladonna • ويحتــوي الثاني على البنـــج Henbane [1] وتحتوي هاتان المادتان النباتيتان على مادة الاتروبين ويحتوي الذهن الثالث والذي يستخدم خصيصا « لحس الاشياء الوهمي » على حشيش ست (« Balladonna « Nightshade) والبنج • وأعترف اني جربت هاتين المادتين شخصيا ، ولكن اذا كان هانر صحيحا فـــي تفسيره تصبح قضية الطيران الليلي الى العوالم الغامضة والى اي مكــان آخر اقل غرابة • والاغرب من هذا ما نلاحظه في الاشخاص الذين ينكرون التفسيرات الغامضة والخارقة لهذه الظواهر يتعرضون ايضا الى احــلام ، الطيران والحالات النعاسية بدون استخدام اي مستحضر كيمياوي •

ولكننا نرى العديد من الاشخاص وربما طوائف او قبائل معينة فــي العالم تفضل التفسيرات الخارقــة والغيبية لهذه الظواهر على تفسير العلوم الطبيعية لها • لقد افترض وليم ماكدوكيل قانونين اساسيين في تفســيرات المغشي عليها في جلسة تحضير الارواح : وهما قانــون لابلاس Laplace

---

(١) البنج Henbane : نبات ذو خصائص مخدرة وسامة (المعرب)

وقانـون هاملـت Hamlet حيث يقول قانون لابلاس : يجب ان تتناسب قوة الدليل طرديا مع غرابة الظاهرة التي يثبتها • وفي المحصلة وعلى ضوء ما معروف علميا •• فان من غير المحتمل ان اشاهد شبحا او روحا شريرة فـي طريقي الى البيت • ولهذا يجب ان يكون الدليل على انه ليس اخيلة ذاتية ، او صورة حيوية منطبعة في الذاكرة او خداعا حسيا لكلب سائب قوي جدا وغير قابل للدحض • اما القانون الثاني فقد اسماه ماكدويل باسـم لايمت بصلة الى عالم نفس » ولهذا افضل ان اطلق عليه قانون هوراشيو Horatio متذكرا قول هاملت لصديقه :

هناك اشياء كثيرة في الجنة والارض يا هوراشيو اكثر من الاشياء التي حلمت بها في فلسفتك •

ومما تقدم نرى أن قانون هوراشيو يناشدنا ان نبقي اذهاننا مفتوحة ، بينما يبعدنا قانون لابلاس عن تأثيرات الايحاء •

ويقول ماكدوكيل : نحتاج هذين القانونين في مناقشة الظواهر التـي تبدو خارقة ، حيث يعدل كل واحد منهما الاخر • ويحتاج قانون هوراشيو بالتأكيد الى شيء من التقيـد ، فالاعتقاد او تمنى الاعتقاد بالحياة الوهمية في الحلم وبامتلاك الارواح ، والاشباح والارواح الشريرة منتشرة كثيرا • ويجب علينا ان نعترف بهذه الامنيـة ونتفحص الدليل ونقبل الرأي الذي ترجح كفته •والحقيقة اننا نصاب بخيبة امـل في بعض الاحيـان عندما نعلم ان الساحر على المسرح يؤدي اشياء خارقة من اشياء مألوفة وطبيعية عندنا • كما قال لي احد السحراء يوما : سوف يقول لي الناس « لقد صنعت كذا وكذا » لكنني في الحقيقة لم اصنع ذلك ، ومن المستحيل ان اصنعه لكنهم يتصورون انني صنعته ، حيث يمتاز الانسان بجوع عجيب للسحر • ومن الممكن مداعبة هذه الرغبة بالتصديق بالمستحيلات باساليب شتى •

لقد كان زميلاي دكتور ماركس Dr. Marks ودكتور كاميان Dr. Kammann يشاركاني بتفضيل قانون لابلاس لتعليل كفاءة ايري جيلـــر Unri Geller في احناء الملاعق والمفاتيح .. وكنت اعتقد ان طريقتهما (التي لا تنتهك قوانين الفيزياء وانما تستخدمها) كطريقته تماما .

لقد اعاد ماركس وكاميان في عام ١٩٧٨ م تجربة ظاهرة الاستبصار التي نفذها كل من تارك بوثوف Tarq and Puthoff ففشلا في ايجـاد أي دليل ما عدا صورة ذهنية . وقد فشلت هذه الصورة الذهنية في محاولة مطابقتها مع المواضيــع المقررة التي ادعى تارك وبوثوف امكانية رؤيتهـا من خلال استعراض الاحداث السابقة ثم قاما بفحص التجارب السابقة بدقة.. فلاحظنا وجود دليل قوي على ان النقاط الصحيحة انجزت عن طريق الاشارات اللفظية التي اعطيت دون قصد الى الشخص من قبل الفاحصين مع تعليمات التجربة . وتشتمل هذه المصادر على الفاظ مثل «كان لدينا هدفان البارحة» « المكانة الثانية من اليوم » « لا شيء افضل من ان تترك نجاحين وراءك » . وبعد ان استعمل الدكتور ماركس تلميحات من هذا النوع استطاع ان يحصل على نتائج صحيحة مائة في المائة رغم انه لم يزر أيا من الامكنة التي سـئل عنهـا .

وعندما تخضع معجزات كالاستبصار الحسي للاماكن البعيدة وعجائب مثلث برمودا الى تجارب دقيقة يبدأ الانسان بالشك بقانون هوراشيو . وليس مما يدعو الى الدهشة ، ان الساحر المسرحي وعالم النفس هما مـن اول الاشخاص الذين يشكون عندما يواجهون حادثة معجزة ، او خارقة . فنرى في قصة « كلب باسكر فيلي » شارلوك هولمز يتبني النظرة الواقعية . لكن كاتبه كونان دويل Conan لا يلبث ان يظهر في حياته كمؤمن بقانون هوراشيو ايمانا مطلقا . فامنيته أن يؤمن ويرفض كل تفسير منطقي وعلمي وحتى بعد ان اعترف له الســاحر هاري هودنــي Herry Houdini

انه استعمل اشياء عادية جدا ، رفض كونان دويل وظل رافضا حتى بعد ان شرح له الساحر كيف صنع ذلك • وقد واجه ماركس ، وكامان نفس سلوك كونان دويل من قبل الناس الذين لاحظوا عملية احنائهم للمفاتيح والتي ، استخدما فيها نفس طريقة جيلر عام ١٩٧٧ • ان احسن طرق البحث العلمي في هذه الظواهر هو تكرارها ثم اعطاء التعليل بعد ذلك • فعندما قبل كونان دويل صور « الارواح على انها حقيقة « علمئه » هو ندي كيفية صناعة اشكال مشابهة ، وكذلك السحرة ، حيث يبنون افعالهم على ارضية واقعية ثم يحملوها تفسيرات خارقة •

ان للعلم بصورة عامة قوانين ، ولا يمثل علم النفس الشذوذ لهذه القاعدة • فتعدد الشخصية والاحلام البيضاء والكوابيس الليلية والشعور المصاحب والتجارب النعاسية ، كل هذه الكلمات ربما تصيب الناس الذين يفضلون التفسيرات الغامضة والخارقة • ومهما كانت معتقداتنا ومهما املت علينا الرأي الذي سنتبناه يبقى بعيدا عن الشك ، ان الوسائل الصناعية قد تزيد حيوية الصور الذهنية ، وقد تجعل عمليات الدماغ اكثر غرابة • اذ يمكن ان تساعد على تكون الصور الذهنية بقلة النوم والامتناع عن الرؤيا لمدة ساعات • ولكن هناك علاقة وثيقة بين الادوية وخاصة تلك المنتجة للاخيلة Hallucinogenes باستعمالاتها الغامضة والتصور الذهني • وخير مثال للسنين الحالية هي كتابات كارلوس كاستنيدا Carlos Castaneda عن دون جوان Don Juan هو هندي احمر من المكسيك • وقد تلقى كاستنيدا دروس الحوادث الخارقة على يد ساحر هندي • فأعطاه هذا الساحر بعض المستحضرات النباتية مثل الداتورة[1] Datura (مستحضره من عشبة الشيطان Devil's Weed) وتدعى علميا

---

(١) الداتوره Datura نبات ذو خصائص تخديرية .

(الداتوره السامة Datura Intoxica) ومستحضرات اخرى مثـل سيلوسيبنى psylocybin والمسكالين mescaline التي تستحضر من بعض انواع الفطريات • وتعتبر هذه المواد ذات مفعول مؤثر جدا لان تركيبها يضم اكثر من مادة واحدة فعالة • حيث تختلف السلوسيبين والمسكالين المستحضرة علميـا والنقية من السلوبين والمسكالين المستحضرة من النباتات كثيرا •

وقد تناولت بحوث علمية كثيرة المفعول النفسي لهذه المواد المهلوسة وتأثيراتها النفسية على الافراد • ولكنها تنتج على العموم صورا ذهنية حيوية اكثر من انتاجها للاخيلة التي يذكرها الافراد • وقد اصبح المسكالين مألوفا لدي من كثرة استعماله في التجارب التي اجريت في كلية طب ابردين ففي المرة الاولى التي أخذتُ فيها المسكالين من بين مرات عديدة ، تعاملت مع الشخص الفاحص بالصور الذهنية التي تكونت لي • وعندما انتهت قلت له انها تشابه كثيرا الاخيلة النعاسية • ثم اكتشفنا فيما بعد ان الكثير من الباحثين اكتشفوا هذا التشابه على انفراد • وتبدو هذه الصور الذهنية كأنها مندفعة من مكان ليس له أية علاقة بنفس الشخص ، من مكان يشابه الى حد بعيـد « ما تحت الوعي » عند ايندبلايتون وتبدو كما الاخيلة النعاسية جميلة جدا وزاهيـة الالوان والاضواء • وكأنها لا تمت بصلة الى كوكبنا الارضي • وكما الاخيلة النعاسية قد تظهر فيها تفصيلات الاشياء ودقائقها وتضم الاشياء المألوفـة لدى الشخص وغير المألوفة • ونحس بأن نفوسنا قد فقدت السيطرة على مجريات الاحداث ، كما لو ان الصور الذهنية امتصتها ونحاول دائما اهمال الفاحصين ومحاولاتهم لرصد وتسجيل الاستجابات وقد نعامل هؤلاء الفاحصين احيانا بسخرية وازدراء • وكأن الاشخاص تحت تأثير هذه الادوية يعتقدون انهم رمز للسماء • وقد يدلي بعض هؤلاء الاشخاص بتصريحات فلسفية عن « الواقعية » و « الحقيقة » و « طبيعة الزمن » • وقال احد الاشخاص وهو

يخضع لتجربة . ان الفاحصين قد وضعوا على رسغه الايسر ساعة ، لكنه لم يبال لانه لا يعير اهتماما للتوقيت بقدر ما يعير اهتماما لعمره .

لقد ذكر الفيلسوف افلاطون في احدى كتاباته ، قصة الرجل المحجوز في الكهف الذي لا يميز الا ظلال الاشياء ... ويبدو ان هذه الحالة تنطبق على المرضى الذين يكونون تحت تأثير المسكالين او الادوية المشابهة . وقد يؤمن الشخص بأن (قناع مايا Veil of Maya) الذي يحجب حقل الواقع وراءه مجددا . وفي التحرر الذي يشعر به الانسان وهو تحت تأثير هذه الادوية ، قد يعبر الشخص بعظمة ورمزية عن عدم كفاءة الكلمات العادية للتعبير عن دهشته . فقد يشعر الفرد انه نقل الى عالم آخر وربما الى جمهورية افلاطون او الى يوتوبيايوتك . ونعتبر كل هذه الظواهر متعبة للفاحصين بدرجة كبيرة . وتترافق كل هذه الظواهر النفسية وشعور الشخص بالاهمية الذي يرافقها مع الاعتقادات الروحية الغامضة للاشخاص . ولهذا يجب ان تدرس بدقة حيث يظهر ترابطها مع الاشياء الروحية واضحا . وتأتي اهميتها في علاقتها بالحس الديني للافراد وتتضارب الاراء في علاقتها بالعوامل الاخرى لقد اكد يونك على ان هناك الكثير من الاشياء التي على رجال الغرب تعلمها من رجال الشرق كما اكد على اهمية الصور الذهنية اليقظة والنائمة . واعار اهتماما كبيرا لاحلامه الخاصة واعتبرها عاملا مساعدا لحل مشاكله اليومية .

ومن الدروس المفيدة في هذا المجال البحث الذي قدمه كلتون ستيوارت Kilton Stewart في عام ١٩٦٩ م عند دراسته للقبائل التي تسكن غابات مالي معزولة عن العالم الخارجي ... حيث استخدمت هذه القبائل بشكل منظم تفسير الاحلام في تثقيف وتربية الاطفال ويعلق ستيوارت على هذه الظاهرة « ان الفطور في احد بيوت هذه القبيلة يشبه عيادة الاحلام » . حيث يناقش الاباء بموضوعية احلام الابناء ، مطمئنين الاولاد من الاحلام القلقة والمفزعة ويشجعونهم على التعلم من هذه الاحلام .

ويعتقد اكثر الغربيين ان الاحلام ما هي الا انعكاسات لانشغال بال الافراد ولمشاكلهم الحياتية في الحياة اليومية • وقد اشار ستيوارد الى اننا غالبا ما نهمل هذه التجربة ، الداخلية ، ويبدو ان لدى هذه القبائل البدائية المظهر فقط الكثير لتعليمنا • لقد اختارت هذه القبائل ان لا تفسر احلامها على اساس الامتلاك الشيطاني للارواح بل تقدمت اشواطا ابعد من هذه المعتقدات الخرافية • لقد قبل وعرف كل من يونك وقبائل مالي رغم طريقتهما المختلفة في التعبير ليس بالنفس الواعية فقط وانما باجزاء الشخصية التي تختفي تحتها • وربما يبدو مفيدا ان نعيد تفسير الظواهر الغامضة (ومن ضمنها استعمالات العقارات الناتجة للاخيلة) من تراث « دون جوان ») في ضوء هذه النظرة • ويبدو من الصعب جدا ان نتخطى الفرضيات المحدودة والضيقة النظرة التي توجد في بيئة الشخص والتي تحدد من تفكيره والتي تواجهنا في كل خطوة • وكمثال على هذه الحالة •• حضرت قبل عدة سنوات اجتماعا عاما في اسكتلندا يناقش قضية « فيما اذا كان احياء الدين شيئا جيدا او لا » وفي نهاية الاجتماع تكلم احد الحضور وكان مسلما عن ملايين المسلمين المنتشرين في مختلف بقاع العالم والذين يؤمنون بالدين الاسلامي وهم في راحة نفسية تامة وسأل الحاضرين اذا كانوا يقصدون باحياء الدين ، الدين الاسلامي ، ولم يفكر أي من الحضور الى حد تلك اللحظة بالدين الاسلامي • لانهم ناقشوا القضية من زاوية بيئية ضيقة جدا ظنا منهم ان الدين يساوي الدين المسيحي فقط • وقد يقع الشرقيون في نفس الاخطاء المتعلقة بالبيئة والثقافة المحلية • لقد ذكر داوانورمي التبيتي الاصل عام ١٩٧٤م قدوم الجنود الصينيين الى التيبت ، وكانوا متحمسين لتحريره فالتقوا مجموعة من العمال التبيتين الذين بدأوا يصفقون بأيديهم ، فسعد الصينيون ظنا منهم انها علامة الترحاب الحار بهم لكنهم اكتشفوا خطأهم فيما بعد • حيث ان التيبتي اذا اراد ان يعرب عن عدم ترحيبه وعدم ارتياحه بالقادم ، يصفق بيديه ويلعن بلسانه كطقس من

طقوس المجتمع التيبتي معلنا استياءه من القادم . وكان ذلك ما فعله التبتيون لكن القادمين اساؤا الفهم لاعتمادهم مدلولات بيئتهم لعملية التصفيق .

ان محاولات تثقيف أناس في مجتمع معين بثقافة مجتمع آخر تحمل معها آثارا سلبية كثيرة كما تؤدي في كثير من الاحيان الى نتائج عكسية . وقدم لنا كثيرة كما تؤدي في كثير من الاحيان الى نتائج عكسية . وقدم لنا مارفن هارس عام ١٩٥٧م مثالا ، على هذه الحالة .

مارفن هارس Marvin Haris

ويروي هذا المثال حكاية قائد مزعج من غينيا الجديدة ، حاولت استراليا استمالته الى جانبها في منتصف الاربعينات وكان اسمه يالي Yali بدعوته الى استراليا .. كي يرى عجائبها . لقد تجول يالي في مصانع الطائرات ، ورأى الشوارع ، المنسقة والعمارات الشاهقة . ولم يرق له سوى شيئين الاول هو متحف الملكة والثاني حديقة الحيوانات . لقد وجد يالي في المتحف اشياء كثيرة مألوفة لديه رآها سابقا في غينيا وتضم هذه الاشياء الاقنعة الطقوسية التي يحاول المبشرون اقناع الناس بأنها من اعمال الشيطان . لقد تعلم الآن اشياء اخرى . حيث تعلم ان اشياء كهذه تحفظ مع تقديس واضح في علب زجاجية وتصان بكهنة يلبسون لباسا ابيض ويعبدها عامة الناس الذين يأتون دائما ، فيتكلمون بحضورها بخشوع بأصوات منخفضة . لقد ثبت تأثر يالي بعد زيارته لحديقة الحيوانات حيث رأى فيها الكثير من الحيوانات المألوفة ، والاخرى التي يراها لاول مرة ، وشاهد الاعتناء الذي تلقاه هذه الحيوانات ، كما اكتشف الحقيقة اخيرا عندما تفرج على بعض الصور في كتاب. حيث رأى في هذه الصور قرودا تتحول تدريجيا الى اشكال مشابهة للانسان .. لقد علمه المبشرون ان آدم وحواء هما أسلاف الانسان . لكنه عرف الآن ان الانسان الابيض يعتقد انالقرود هي اسلاف الانسان . وهذا ما يقوله وما يؤمن به يالي وقبيلته قبل ان تصطاده الارسالية البيضاء وتدعه يترك طوطمه .

من هنا يتضح لنا اختلاف المعتقدات • ويبدو من الطبيعي ان تختلف الحالة النفسية وتأويلات الظواهر من بيئة الى اخرى وربما من فرد الى آخر • فالديانة والفلسفة والظواهر الخارقة والعلم والادب والاعراف الاجتماعية السائدة كلها تلعب دورها في تكوين الصيغة التي نتعامل بها مع الحياة • وتكون تصورنا عن حياتنا الداخلية • هل مارست الاخيلة ام اني اتخيل تخيلا حيويا ؟ هل هي روح شريرة ام شبح ، ام التقمص السابق ؟ هل هناك قوى خارجية تتكلم من خلالي•ام انها جزء من شخصيتي ؟ ولماذا ؟ ان الصور الذهنية ظاهرة غريبة ومدهشة كما سوف نرى في الفصل القادم • ويختلف الناس كثيرا في مدى وعمق صورهم الذهنية • فقد يمتلك البعض صورا ذهنية حيوية كصديق دائم لهم بينما ينفي البعض انه رأى صورة ذهنية واحدة في حياته •

الفصل السادس

التخيل والصور الذهنية

— Imagination and Imagery —

« أغلق عيني بضع دقائق واضعة آلتي الكاتبة على ركبتي .. فتظهر شخوص في عيني الذهنية .. كما لو كنت املك سينما هناك »

« ايند بلايتون »

يلعب التصوير الذهني ــ البصري ، السمعي ٠٠ والحواس الاخرى ــ دورا مهما في حياة الفرد اليقظة ، في تفكيره وتذكره وخياله ٠ ويؤكد البعض على حيوية وخصوبة وامتاع تصويرهم الذهني ، بينما يعترف البعض الآخر انه لا يكاد يعرف معنى هذه الكلمة ، (التصوير الذهني) ٠ لقد قال لي احد اصدقائي بعد ان فقد مجموعة شرائح صورية التقطها في رحلة له الى اوربا ٠٠ كأنه لم يذهب في تلك الرحلة ، لانه لم يستطع ان يتذكر مشهدا واحدا من المشاهد التي رآها في تلك الرحلة ٠ فسألته ان يغمض عينيه ويصف زوجته ٠ فكان عاجزا عن اعطاء أي وصف لمظهرها ٠ ان عينه الذهنية كانت عمياء ٠ وقد اخبرني رجل يشبه الاول ، انه استطاع اخيرا ان يفهم ما يقصده الناس عندما يقولون انهم يسترجعون احداث عطلهم الماضية ٠٠ والتي كان يحس انه ينساها تماما ٠

لقد رأينا كيف استخدم روبرت لويس ستيفنسون صوره الحلمية في كتاباته الخلاقة ٠ حيث كان تصويره الذهني « يعمل بنشاط طوال الليل ٠٠ صانعا القصص للسوق» ٠ كما استخدمت ايند بلايتون تصويرها الذهني اليقظ في كتابة قصص الاطفال ٠ وقد شبهت هذا التصوير الذهني(البصري والسمعي) بالسينما الخاصة بالشخص ٠ وكانت تتقبل هذه الصور الذهنية على انها ما دون الوعي Subconscious بتعبير علمي ، معتقده ان هذا المادون الوعي انما يتفجر من ادراكها الحسي السابق وقد تحدثت لي من خلال مجموعة من

الرسائل (نشرت هذه الرسائل في ملحق بكتاب سيرتها • الذي نشره ستوني عام ١٩٧٤م) بين عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧م انها تستطيع ان تكتب قصة وتقرآها في نفس الوقت • كما تحدثت في هذه الرسائل عن خصائص تصويرها الذهني الممتعة والغامضة • ففي مثال من هذه الرسائل تقول :

ان كتابة الكتاب بعد الآخر دون معرفة ما يجب ان يقال في هذه الكتب ، مجرد عملية سخيفة ، ورغم هذا فانها تحدث • ففي بعض الاحيان يعمل احد شخوصي طرفة مضحكة تجعلني اضحك ثم اسجلها على الورق ـ ثم افكر مليا « حسنا • انني لا اقدر على التفكير بها مطلقا ولو ظللت مائة سنة ! ثم افكر مليا ، من الذي فكر بها اذن ؟ » •

واعتقد شخصيا ان حالة ايند بلايتون ، ماهي الا جزء من الشخصية (جزء من الانا) يظهر الى السطح والى الوعي على شكل تصوير ذهني • لقد شبه مورتن برنس الادراك الحسي بعملية ادخال يد شخص في جيب شخص آخر واستخراج بعض الحاجيات التي لا تعود للشخص الاول ، وتمثل ايند بلايتون مثالا متطرفا لهذه الحالة • وقد يلاحظ معظمنا اشياء مشابهة لما شاهدته بلايتون في تصويرنا الذهني واحلامنا العادية •

ومن الممكن التمييز بين نوعين من انواع التصوير الذهني ، الاول : يخضع لارادة الشخص Controlled Imagery بينما لا يخضع الثاني ويدعى بالتصوير الذهني الذاتي Autonomous ويستطيع الكاتب في الاول ان يتصور ما يشاء ثم يعدل بعض ما يتصوره ويهمل الاخر مستخدما ارادته • على عكس التصوير الذهني الذاتي الذي يعيش حياة منفصلة عن الارادة ، فيبدو الشخص في هذه الحالة كأنه مشاهد فقط • ويكثر التصوير الذهني الذاتي في حالات الحلم والحالات النعاسية ، كما قد يلعب دورا في التفكير اليقظ الخلاق كما في حالة بلايتون ••• ويعطينا الكتاب امثلة لا تحصى على هذا النوع من التصوير الذهني ، فيقول عنه ، ووردزورث Words Worth « انه

يصور ما تراه العين الداخلية ، التي تمثل واحة في صحراء » وقال في التصوير الذهني ايضا انه يبهر البصر الذي يفترض ان يرى • كما قال عن هذه العين الداخلية « انها حلية اكثر جلالا وهيبة من اكبر موهبة يرتديها قلم » •• وقد نرى كتابا آخرين على عكس ايند بلايتون بعثوا الحياة بمواصفاتهم بدون معونة التصوير الذهني ، واحد هؤلاء كاتب سوف اطلق عليه • ج • د •

وتأتي معرفته بالتصوير الذهني من الاحلام فقط •• حيث كانت معدومة في يقظته وقد استخدم طريقة استطاع بواسطتها ان يكتب العديد من الروايات الناجحة •

تتلخص باستخدامه آلة تصوير • حيث يذهب الى الريف ويختار اماكن مناسبة ويصورها بصور عدة • ثم يجلس مع هذه الصور ويهيىء الجو القصصي بعرض هذه الصور ودراستها بالوانها الطبيعية •

وقد يبدو من المناسب ان نتكلم عن تشالز هاملتون Charles Hamilton في هذا المجال ، والذي يعرف من قبل الكثيرين باسم فرانك ريتشاردوز Frank Ritchards الذي ابتدع شخصية البدين بلى بونتر Billy Bunter وكان غزير الانتاج ، ويكتب بأسماء متعددة مستعارة ، مستخدما تصويره الذهني البصري الحيوي وتصويره الذهني السمعي ، وكان يستخدم هذه الاسماء لاغراض بريئة •• ففي مقابلة مع ناشر ثرثار ، كان يبدو مصغيا للناشر في حين كان يدندن بصوت واطىء بمقطوعة موسيقية (سكيلتون عام ١٩٦٢م) وربما يلجأ في احيان اخرى للمحادثة ولعب الشطرنج (مع زميله هاملتون الاخر) فكانت المحادثة تجري هكذا •

ــ الناشر : عندي فكرة جديدة لعنوان القصة الجديدة •

ــ هاملتون : بيدق الملك الرابع ••

ــ الناشر : عنوان جيد •

ــ هاملتون : بيدق الملك الرابع او رخ الملكة الرابعة .. اختر واحدا من هذين .

كان هاملتون يلعب الشطرنج مع نفسه ، بينما يستمر الناشر الثرثار بالحديث غير شاعر بالحديث الجاري بين اجزاء شخصية فرانك حول لعبه الشطرنج . لقد مارس معظمنا لعبة الشطرنج مع نفسه . لكن العملية متطورة بشكل كبير عند هاملتون ، ويستخدمها كطريقة للخلاص من الاحداث الخارجية المزعجة والمملة . لقد كانت اسماؤه المستعارة كثيرة بشكل غريب .. وحين كتب سيرته الذاتية كتبها بصيغة الشخص الثالث «فرانك» ولم يكتب «انا» .. ويبدو للمراقب انه كان يعاني من انشطار بسيط مع تصوير ذهني ذاتي اكثر مما هو تصوير ذهني خاضع للارادة .. وبهذا يمثل فرانك ريشاردز ظاهرة شاذة وممتعة .

ومادمنا قد ناقشنا التصوير الذهني وعلاقته بالفكر المبدع ، لابد لنا من سياق الفرق بين التأليف والتحرير . حيث يزود التصوير الذهني اليقظ والنومي والنعاسي الفرد بمواد خام لابد ان تتعقبها عملية التأليف . فبعد الحلم الذي زود ستيفنسون بنواة دكتور جيكل ومستر هايد ، قضى ستيفنسون ستة اسابيع في صياغة القصة النهائية . وقد احتاج الكثير من الكتاب الى جهود جبارة واعادات كثيرة لصقل تصويرهم الذهني الخام ، ولكي يستطيعوا ان يحولوا هذا التصوير الذهني او الحلم الى عمل نافع . وقد يرى بعض الكتاب مثل ايند بلايتون عملية الكتابة سهلة جدا بينما يراها آخرون مثل اميل زولا في منتهى الصعوبة . حيث كان زولا يستخدم طريقة الكتابة الى نفسه عن شخصياته كطريقة لنقد كتاباته واخراجها من محتواها السردي البسيط الى مستوى فني رفيع . وربما عناها فولتير وقصد نفسه حين قال :

« ان النقد عملية سهلة .. لكن الفن صعب جدا » .. ولقــد ســاعد الدكتور جونسون في حادثة مشهورة الكاتب المعدم اوليفر كولد سمث في تحرير قصته المخطوطة « الكاهن ولكفيلد The Vicar Walkfeild ولهذا يتمكن الكاتب من القيام بعملية التحرير لانه يعتمد على نتائج عملياتــــه الابداعية في عملية التحرير هذه وبذلك يكون قد ادى عمليتين مختلفتين ضمن شخصية واحــدة .

لقد اطلقت في اماكــن اخرى مصطلح محدوديــة التصــوير الذهني Imagery Parochialism لوصــف اشــخاص معينين يفتقــدون ظاهــرة التصوير الذهني .. ووضعت احتمال اختلاف هؤلاء الافراد عن غيرهم في قابلية التصوير الذهني ، كما يقول العالم النفسي ت ، هـ . بيير ، T.H. Pear « يكتب بعض الناس كما لو كان كل الاشخاص يمتلكون قابلية التصــوير الذهني او هذا ما يجب ان يكونوا عليه » لقد تحدث لي الكثير من الاشخاص عن الحرج الذي كانت تولده هذه الصور الذهنية في حياتهم خصوصا عندما كانوا أطفالا ، قليلي الخبرة لا يجدون شخصا يثقون به كي يعترفوا له بهذه الصور الذهنية . وقد كان الكثير منهم يفكر ويتأمل هذه الصور . لقد كتبت لي احدى الشابات التي كان لها قابلية العرفة البلورية (Crystal Gazing) انه لمن المضحك ان يفكر كل الاشخاص مثــل تفكيري .... وربما يسبب اكتشافي لعدم وجود شخص آخر يفكر بنفس الاسلوب في محيطي صــدمة كبيرة » . وقد تحدث احد أقربائها باسهاب عن الرهاب والقلق النفسي الذي يسببه هذا الشعور . اذ كانت شخصــيتها الاخرى مختلفــة عن شخصيتها الحقيقية في تصورها لجسدها . فكتبت عن ذلك تقول « ان من المرعب ان يواجه طفل الظلام لوحده ... لكنه عندما يكون في الخامسة من العمر .. وفي حافلة مملوءة بالركاب الذين يحملقون به .. يتعلم كيف يحتفظ بتعابير جامدة على وجهه .. وينهمك في دراسة تذكرته ماسكا اياها بيد بحجم الفيل..

لكني رغم هذا كنت افكر بهذه الاحداث على انها موعد الجنون » •• ولعل من حسن الحظ ان تبقى الاسماء القديمة لمثل هذه الظواهر بعد ان تغيرت ، حيث تغيرت تسمية هذه الظواهر من تغييرات صورة الجسم Body Image changes الى ظاهرة سبق الرؤية[1] de Javu وما هذه الظواهر النعاسية والاستيقاظية الا لتطمئننا اننا كبشر نسخ متطابقة •

اذا اخذنا بنظر الاعتبار عند دراستنا لاختلاف الصور الذهنية عند الافراد اختلاف الحواس كالبصر والسمع واللمس والشم وغيرها تكون دراستنا مبسطة جدا • فقد يعتمد فرد كثيرا على الرؤية في تصوره الذهني وتفكيره وذاكراته ، ولكنه يمتلك صورا ذهنية سمعية ولمسية •• الخ بقوة معينة • كما اننا قد نركز على قوة التصوير الذهني دون ان نعنى بمدى وغنى هذه العملية ، كما لا نعنى بترابط الحواس المختلفة في انتاج عملية التصوير الذهني وبهذا نقع اسرى التفكير احادي الجانب • لقد تضمن احد بحوثي في هذا المجال تفريق ثلاثة انواع من عمليات التصوير الذهني •

حيث اخذنا عينة متكونة من ٥٠٠ شخص من مختلف الاعمار والمهن • وكان السؤال الاول لهذه العينة هو : ما هو النوع الاساسي الذين يعتمدون عليه في عملية التصوير الذهني ؟ وكانت معظم اجاباتهم هو التصوير الذهني البصري ، مع الاعتماد ولكن بشكل غير ملحوظ على التصوير الذهني السمعي • لكننا وجدنا في الذاكرة ارتباط التصوير الذهني السمعي والبصري وعملهما سوية • ثم بحثنا مدى التصوير الذهني ، وقد اعطى هؤلاء الاشخاص صورا غير متوقعة عن مختلف الحواس : حيث اكد اكثر من نصفهم على وجود صور ذهنية تمثل سبعة ادراكات حسية على الاقل وهي ــ الحركة ، اللمس ،

---

(١) ظاهرة سبق الرؤية DEJV VV Phenomenon نوع من زيف الذاكرة يحس فيه الشخص ان ما يراه في اللحظة الراهنة قد سبق ان رأه بحذافيره تماما في ماضي بعيد .

الذوق ، الشم ، الالم ، الرؤية والسمع . كما اكد ما يقارب نصـفهم على امتلاكهم تصويرا ذهنيا للحرارة . واخيرا بحثنا قوة هذه الصور الذهنية ، في اية حاسة تكون الصور الذهنية بأقصاها ؟ ورغم ان قوة هذه الصور هي تقدير ذاتي اكثر منه موضوعي . قال ٨٦٪ منهم ان التصوير الذهني البصري هو اقوى ما يمكن وقال ٦٩٪ منهم ان التصوير الذهني السمعي قوي بشكل ملحوظ . (ماكلير ١٩٦٥ ــ ١٩٧٧) .

وتمكننا هذه المكتشفات من استنباط طرق تفريق اكثر تعقيدا . فمثلا ، قد يكون شخص ما بصيريا في تصويره الذهني ، لكنه يمتلك ست طرق اخرى أو سبعا للتصوير الذهني ، مع قوة نسبية في هذه الطرق كأن نقول الذوق والشم اضافة الى السمع والبصر . وقد يكون التصوير الذهني السمعي هو المتغلب ، وقد يكون هذا هو طريقته الوحيدة في التصوير الذهني وقد يكون هذا ايضا ضعيفا ولا يعتمد عليه . وقد يكون التصوير الذهني مركبا . كأن يرى الشخص مشهد اناس يتكلمون ، كما يستطيع تصور حرارة الشمس في ذلك المشهد . وقد يكون بعض الاشخاص ضعافا في طريقه واقوياء في اخرى . حيث وصف سير سيريل برت Sir Cyril Burt تفكيره كـ « محادثـة اذاعية » ... بتصوير سمعي « مفتقدا الصور الذهنية البصرية » لاصوات اشخاص يتناقشون فيما بينهم في الفجر . وقد وصف احد زملائي المعاصرين نفسه بطريقة مشابه بدون صور ذهنية بصرية .... بل اضاف انه حتى عندما يحلم فهو لا يحلم بصورة بصرية واخبرني انه رأى حلما بصريا واحدا وهو في الخامسة من العمر فقط ، وكان مهيئا للاعتراف بأن حياة الناس النفسية تختلف تماما عن حياتـه .

وتؤثر اختلافات الصور الذهنية هذه على الاصطلاحات وعلى تعليل وتفسير هذه الظواهر . ويبدو للوهلة الاولى ان اولئك الذين يمارسـون الاخيلة (الهلاوس) السمعية سيكونون جميعا بديهيا اقوياء في التصـوير

الذهني السمعي • ولكن الواقع لايثبت هذا الافتراض • ففي دراسة مهمة في عام ١٩٤٧م اكتشف كل من ستز ومالهولم Sitz & Molholm ان الصور الذهنية السمعية للمرضى الذين لديهم اخيلة سمعية اقل بدرجة ملحوظة من اولئك الذين ليست لديهم هذه الاخيلة السمعية كما وجد الباحثون في دراسة مشابهة ان المرضى الذين يعانون من اخيلة بصرية ، اقل قابلية على استحداث الصور الذهنية البصرية من المرضى الذين ليست لديهم هذه الظواهر • لكن هذا التناقض الظاهر له منطقه • فنحن نكون افكارنا ورأينا بموضوع معين من مدى معايشتنا له • ولهذا يسبب الموضوع الغريب وغير المألوف بعض الاشكالات • وكما عبر لي احد الاشخاص : لقد رأيت طوال حياتي صورة ذهنية بصرية او صورتين مما افزعني واخرجني عن طوري • فالشخص الذي يمارس ، الصور الذهنية البصرية بتفكيره وذاكرته اقل تعرضا لتفسير هذه الظواهر على انها غير طبيعية او اخيلة مرضية •

لابد لاي منا ان يتوصل الى معرفة سلوك ذهنه النائم اذا لم يكن اكثر فلا اقل من معرفته لسلوك ذهنه اليقظ • لقد كتب الكثير عن النوم والاحلام ، وكلنا يعلم نشاط التخيل في الحالات النعاسية وحالات اليقظة • وقد ذكر لي احد الاشخاص حادثة توضح لنا عدم صحة حكمنا على انفسنا فيما اذا كنا يقظين او نائمين • لقد كان نائما في سريره ، وعندما استيقظ رأى نفسه واقفا في الحمام • ورغم ان الحمام كان طبيعيا الا انه لاحظ ان رأسه استطال ليلامس السقف • ففتح عينيه بقوة وقال «انني يقظ» ثم استمر في التجربة فقفز عدة مرات الى السقف بحركات بطيئة ، ثم اخذ يلاحظ بعض الاشكال على جدران الحمام • فطمأن نفسه الى ان هذه الاشكال هي صور نعاسية ، كالتي يلاحظها دائما • وفي هذه المرة استيقظ للمرة الثانية ، وعندما استيقظ تذكر تفصيليا احداث الحلم ، لكنه اكتسب في هذه المرة قابلية الطيران • فحاول محاولتين ناجحتين للطيران • وقال بعد ان اقلعت من الارض في رحلتي الثانية

دخلت غرفتي الطفلة التي تسكن داري • وفي هذه اللحظة استيقظ للمرة الثالثة فتذكر رحلته في الجو بسعادة، وذهب الى المطبخ ليتناول فطوره فرأى طعاما شهيا وفخما من اللحم والبطاطا على المنضدة ، فخرج من المطبخ الى الحمام ، فاستيقظ وكانت يقظته حقيقية هذه المرة • ورغم كل هذه الغرابة لا تعتبر هذه التجارب نادرة بأي حال من الاحوال ، ورغم انها المرة الوحيدة التي شاهدت فيها ثلاث حالات لليقظة الكاذبة • وكما قال هافلوك ألس Havelock Ellis في كتابه عالم الاحلام The World of Dreams عام ١٩١١ م « ان الاحلام حقيقة عندما تحدث » •

ويقول فرويد Frued اشياء ممتعة عن وظيفة الحلم الحامية Protective Function ففي شرحه لحلم طالب في كلية الطب هيرببي Herr Pepi يصف لحظة الحلم :

كان ببي يحلم بسلام عندما نادته مالكة الشقة قائلة : استيقظ يا ببي حان وقت الذهاب الى المستشفى للعمل • ثم اتت وظيفة الحماية في الحلم •• حيث استمر ببي يحلم ، فرأى في المستشفى سريرا كتب عليه « هيربى ببي » ، المهنة : طالب كلية الطب لقد وجد ببي حلا مذهلا لمشكلة استيقاظه صباحا والذهاب للعمل • فاذا كان هو في سرير في المستشفى ، لماذا يستيقظ ويذهب الى هناك ، فيستطيع في هذه الاثناء ان يأخذ قسطا آخر من النوم • لقد اطلق فرويد على هذه الظاهرة « حلم » وقد شاهدت في دراساتي الخاصة على ظاهرة التصوير الذهني قبل اليقظة Hypnopompic Imagery حالات ، متعددة من هذا النوع • فقد يستيقظ الشخص وينهض من السرير ، ثم يغتسل ، ثم يكتشف بعد ذلك انه لا يزال مستلقيا في سريره وعليه ان يقوم بهذه العمليات جميعها ثانية • وتبقى عملية رسم الخط البياني الفاصل بين حالات اليقظة هذه والحلم صعبة جدا في بعض الاحيان وتحدث التباسات كثيرة بين الاحداث

الحقيقية والتصورات الذهنية التي تحصل في هذه الحالات النعاسية التي تفصل بين اليقظة التامة وحالات النوم . وتتشابه الخبرات النعاسية وما قبل اليقظة في حالتهما المثالية الى حد بعيد مع الاحلام . وتمتاز بأنها لا ارادية ، حيث ينهض النعسان على صوت الهاتف او جرس الباب او على صوت موسيقى منبعثة من راديو وقد نهض الكثير من الاشخاص الذين خضعوا لتجاربي لاداء عمل معين ، لكنهم يكتشفون ان هذه الاصوات ما هي الا تجارب نعاسية . كما ان اجراس الساعات والاصوات التي تنادي الشخص كي يستيقظ شائعة ايضا في حالات ما قبل اليقظة .

وتأخذ الصور الذهنية النعاسية اشكالا غريبة في التسلسل الصوري القصير الفترة ، ولكنها قد تأخذ فترات اطول في احيان قليلة ، وقد تمتد لتأخذ شكل الحكاية . وتحوي هذه الحكايات طابعا مميزا يلاحظ فيه النعسان انه يشارك في الاحداث دون ان يخلقها ، وقد نلاحظ سيطرة جزئية للشخص النعسان على هذه الاحداث . وقد اخبرني أحد الاشخاص الذين يمارسون الحالات النعاسية ، انه يستطيع ان يقفز ليشارك بالاحداث كما يصعد الممثل على خشبة المسرح ، وعندها يستطيع ان يلعب دور الساحر فيغير الاحداث ، كما يستطيع ان يغير الشخصيات ، ثم يضيف ، وبعدها تستمر مسرحيتي بشكل طبيعي . وقد تحدث نفس هذه الاحداث في حالة النوم بما يسمى بالاحلام البيضاء Lucid dreams وفيها يعرف الشخص انه نائم ورغم ذلك يتمتع بسيطرة ملحوظة على احلامه . ولا نجد مثل هذه السيطرة او نجدها بصورة اقل في الاحلام والحالات النعاسية .

وقد اخبرني احد الذين يمارسون هذه الصور النعاسية ، انها تحدث له في الليل فقط وشرح لي ذلك « ارى مناظر طبيعية كثيرة ... ويتحرك المشهد حركة ذاتية ، لكنني استطيع ان اضيف اليه بعض الاشياء فأنا لا استطيع القول انني سأرى غيمة مربعة ، لكنني استطيع القول : انني ارغب

ان ارى غيمة مختلفة وشكرا وهكذا تأتي الى ناظري غيمة مختلفة فأنا لا استطيع التحديد الدقيق . (لاحظ امتنانه « شكرا ») لما دون وعيه المفروض عليه .... وتبدو رغبة رؤية الصور الذهنية النعاسية في قسمها الغالب كشيء آت من الخارج ، وهي بالتأكيد خارج نطاق التجربة الواعية للنعسان وخارج نطاق وعيه اليقظ .. ولهذا تبدو . كنوع من الاستطالة للعالم الحلمي للشخص . ويحاول الكثيرون اختيار تفسيرات غامضة وخارقة لهذه الحالات ، كأن يعتبرها صورا من «الكواكب الاخرى» او انها مشاهد من حياة ،«الآخرة» وقد اخبرني احد الاشخاص انه اعتقد عندما كان طفلا ان هذه الصور الذهنية تأتي عن طريق التحديق في عيني شخص آخر ــ حيث يمثل الشخص الثاني جهة من العالم المضاء بالنسبة للشخص الاول .

لقد رأينا دهشة وفرح ايند بلايتون بمنتجات مادون وعيها . والواقع ان الاحلام ممتعة جدا ، لكن معظمنا يخافها كثيرا . وتجربتي الشخصية مع هذه التجارب النعاسية تثير عندي سخطا دائما (تذكر كيف كانت سالي بيجامب غاضبة ومثارة) . ففي احدى المرات تقدم رجل على جمع من الناس يقفون في مكان ما واطلق عليهم النار جميعا ، ورغم ان هذه الحادثة هي من نتاج تصويري الذهني ، لكني كنت ساخطا منها كثيرا . حيث انها تهجم على اناس ابرياء في مجتمعي الداخلي . كما قد تكون هذه الصور النعاسية مخجلة للغاية . فمثلا رأى احد الاشخاص نفسه جالسا في حفلة من حفلات العراة . وكان يرتدي قناع صديقه المضجر .. وقد اعترض طريق هذا الشخص في المدخل في هذه الصورة النعاسية موظف قاسي الملامح . لم يتكلم شيئا معه لكنه اشار الى لائحة قرب الباب كتب عليها « للادارة الحق في ان تمنع من تشاء من الدخول» .. لقد كانت العبارة صريحة .. «انت غير مرغوب فيك هنا .. حيث لا يسمح للخنازير بدخول مثل هذا المكان » . حيث كان لجزء من شخصية مريضي هذا (يشبه سالي وايف بلاك الهازئة) الوقت الكافي لتمارس ازعاجها للشخصية الحقيقية وللعقل الواعي .

ويحوي التصوير الذهني الخاضع لسيطرة الفرد استخدمات بريئــة ، ولكن يبقى الفرق جوهريا بين التصوير الذهني الخالي من الاذى والتصوير الذهني المؤذي .

ويبدو من الممكن استخدام كلا النوعين كطريقة واقية ، لتأجيل (لترك اهتمامنا بـ) او لابعاد النظر في بعض الاشياء المؤلمة او على الاقل غير المفرحة . ولكن الخطر يكمن في اننا لانستطيع ان ، نحكم اين يجب ان تتوقف . لقد رأينا اغتباط بعض الكتاب بظهور مثل هذه التصورات الذهنية بل وامتنانهم لها سواء كانت خاضعة لسيطرتهم وغير خاضعة لها ، في يقظتهم او في منامهم . كما رأينا امثلة اقل سحرا تتناول تأثير الذهن المنشطر على هذه الحالات . ويبدو من الجدير بنا ان تتناول الرياضيين في هذا المجــال لانني اعتقــد انهم يستحقون هذه الالتفاتة .

لقد لاحظ علماء النفس ظاهرة التمارين العقلية Mental Practice التي يمارسها الرياضيون والتي يعتقد انها تؤثر على النتائج النهائية التي يحققها هؤلاء الرياضيون . وقد اشار وليم موركان William Morgan في دراسته لعدائي المراثون في عام ١٩٧٨م الى دور التصوير الذهني كطريقة للقضاء على الملل والالم الذي يعاني منه العداؤن من جراء هذا السباق . لقد تعود احــد العدائين على « الاصغاء » الى موسيقى بتهوفن عند عدوه . كما ذكر عداء آخر ، انه تعود ان يتمتع بمشاهد الطبيعة ويلاحظ أرجل العدائين في المراحل الاولى من السباق وبعد الخمسة عشر ميلا الاولى يلجأ الى التصوير الذهني ، حيث يتخيل نفسه انه جالس الى منضدة ، ويبدأ بتصميم خرائط بيت ، وبعد ان يصممه يبدأ ببنائه ، حيث يعمل في البناء ثم التأسيس الكهربائي ثم الطلاء الخارجي . واذا وجد في نهاية هذه المرحلة ان عليه ان يعدو المزيد ، يرجع الى خرائطه ويبدأ بتحسين التصميم . وكانت رياضية اخرى تستفيد من مشاعرها في تحفيز نفسها حيث كانت تتخيل كل الوجوه التي كانت تمقتها وتظل تستعيدها

في الستة والعشرين ميلا الباقية وقد ذكر الكثير من العدائين القابلية على استعادة معظم مراحل حياتهم اثناء العدو او الرجوع الى مرحلة الطفولة ، ويتخيل احد العدائين عودته الى شاحنة ابيه ، فيتصور جسمه كماكنة ، وساقيه كمكابس قوية وبهذا يقدر تسلق المرتفع بسهولة •

لقد اطلق موركان نفسه مصطلح « الانشطار » على ظاهرة ابعاد الاهتمام عن حاجات الجسم والتغلب على المصاعب التي تواجه الجسم بالتخيل ، ولا يختلف سلوك الرياضيين هذا كثيرا عن سلوكنا عندما نحاول الهرب من الضغوط النفسية اكثر مما هو من الضغوط الجسمية كما يفعل الرياضيون • وقد يحزن شبيهو سيبل Sybil خوفا من هذا الهرب النفسي الواعي وغير الواعي • ولكن الحالات النادرة لعمى الالم Pain Blindness تمكننا القول انها تحمل نفس المخاطر في الحالات الناجحة في الهروب من الضغوط الجسمية •

حيث قد يتعرض اعمى الالم في حالات كثيرة الى مواقف خطرة قد تؤدي الى اضرار جسمية بليغة فمثلا لا يستطيع ان يعرف بالضرورة ان جسده فوق النار • فرغم فوائد السلوك الانشطاري بدأنا نقتنع اننا لا نستطيع ان نذهب به بعيدا لاستخدامه في الحياة اليومية •

الفصل السابع

النوم وحالاته المجاورة

Sleep and its Adjacent States

يكون ذهن الانسان اليقظ في الصباح انطباعا اساسيا عن الحلم .. على انه شيء غريب آت من عالم آخر .. متناقض مع متبقيات موجودات الذهن .

ـ سيجموند فرويد ـ

تتحدد بدراسة الاحــلام عن طريق استعادتها فقط ، ما عــدا الاحلام البيضاء ، على عكس حالات التصور النعاسية الشبيهة بحالات الحلم التــي تسمح بدراستها حال وقوعها ، كما يستطيع النعسان ان يسجل صوت هــذه التصورات الذهنية • (وقد استطعت ان اقوم بذلك شخصيا كما يفعل أي نعسان) ويستطيع المتصور الذهني المعتاد على هذه الحالات بانتظام معرفــة ماذا يجرى منذ البداية • وسوف اركز الاهتمام على تجربة شخصين في هــذا الفصل ، اطلقت عليهما ر • ج • ب • س حيث اعطيا تقاريــر مفصلــة عن تصويراتهما الذهنية ، حيث رسما تصوراتهما وقاما بتسجيل اصواتهما اثنــاء التصورات الذهنية • وقد تناولت بالتفصيل شرح ظواهــر هذه الحالة لعدة سنوات لولعي الشــديد بهــا (ماكلير وسمبسون ١٩٥٤ م) • وقد اقتنعت شخصيا بالفائدة الجمــة التي تقدمها هذه الحالات •• لدراســة الحالات الانشطارية البسيطة في الحياة النفسية السوية للافراد •

وقد بين ب • س الذي كان يعاني من تصورات نعاسية بصرية في الليل فقط ، العلاقة بين النوم •• وبداية الحالات النعاســية على شريط مسجل • وكانت تصويراته الذهنية عبارة عن منحدر جبلي شاهق في داخله كهف • وقد تحوى هذه التصويرات النعاسية في احيان كثيرة تفصيلا دقيقا لأدق الظواهر وقد ركز ب • س على هذه الظواهر باهتمام شديد • ثم سجل على الشريط (في هذا المجال كاستعادة للاحداث) (لكن الصور اختفت فجأة لسوء الحظ لانني استغرقت في النوم) • لقد استغرق نومه ربع ساعة • واكمل بعدها •

« ان هذه الحالة الغريبة ، نصف اليقظة ونصف النائمة ، التي فقدت فيها الوعي ولم ادر بمجريات الامور ٠ويبدو انني كنت احلم فيها ، ثم رجعت من عالم الاحلام ، فأكملت الاعمال التي كنت امارسها في النوم ٠ وفي هذه الحالة المتذبذبة بين نصف الوعي والوعي الكامل ، يصبح من الصعب جدا التفريق بين الحلم والصور النعاسية » ٠

وعند هذه النقطة بالذات توقف التسجيل وبدأ النوم ٠

وتحوي اشارة ب ٠ س الى حالة التذبذب في الصور النعاسية على اهمية معينة ، ففي طرف كانت هناك اليقظة الواعية وفي الطرف الاخر يقبع الجهاز الاخر وبينهما الجسر المهلهل الذي يمثل الحالة النعاسية ٠

وقد تأخذ الذاكرة دورها او لا تأخذه ، وقد قالت سالى بيجامب عند دراستها لهذه الظواهر باستعادتها ٠ تحدث صور كثيرة اكثر من التي تتذكرها ٠٠ ولكن كل ما تتذكره هو ما ندعوه الاحلام وقد نستيقظ في مرات عديدة لنتذكر اننا نسينا حلما فقط : لانه زاغ من ذاكرتنا ، ولكنه لا يذهب الى الابد ٠ فقد نستطيع في حالات النعاس عندما تكون العينان مغمضتين ، وعندما نستطيع ان نزوغ من مقاطعات المحفزات الحسية ان نتذكر احداث ذلك الحلم٠ واستطيع انا شخصيا ان اتذكر جزءا واحدا من احلامي في وقت معين واستطيع ان اتذكر جزئين او ثلاثة في اوقات اخرى ٠ وقد تكون في احيان نادرة جدران فقدان الذاكرة بين احداث النوم واليقظة مطلقة ٠

وقد استطعنا انا ولوراثوميسون في بحثنا الاول عام ١٩٥٤ م تفريق نوعين من الظواهر النعاسية اطلقنا عليهما التصورات النعاسية المعلومة Preservative والتصويرات النعاسية المجهولة Impersonal

التصويرات الذهنية النعاسية المعلومة Perservative Imagery :

تكون فيها المدركات الحسية واضحة الاصل ، والتصويرات الذهنية ذات علاقة بالاحداث الحديثة من الحياة الشخص . فمثلا تكون التصورات الذهنية البصرية عن قطف الثمار او العمل بالمجهر او تكون التصويرات الذهنية الحركية عن لعبة التنس او كرة القدم او بعض اللعبات الاخرى .

التصويرات الذهنية النعاسية المجهولة Impersonal Imagery

ولا تملك أي علاقة مع المدركات الحسية السابقة ، وقد تشابه الرسم السريالي في بعض الاحيان مركزه على تفاصيل الاشياء ووضوحها وغرابة المحتويات وتقابل الاشياء الغريبة والمألوفة . وتبدو هذه التصويرات ابداعية اكثر من كونها استنساخا للمدركات الحسية ، كما انها غريبة ومدهشة مقارنة بحياة الفرد النفسية .

ويبدو ان التصورات الذهنية للكثير من الافراد تكون مقتصرة على التصويرات الذهنية المعلومة ، وقد تتحفز ببعض المحفزات ، فقد تتحفز التصويرات الذهنية البصرية بالارهاق البصري ، بعد السياقة الطويلة او قطف الثمار المرهق . وقد لاحظت شخصيا ، انني بعد ان استغرقت وقتا طويلا في زرع البذور في حديقتي .. استمرت تصورات البذور الذهنية تأتي في الفترات النعاسية وقد يلاحظ الاشخاص الذين يزرعون نوعا معينا من البذور تلاحق صور هذه البذور فقط في صورهم النعاسية ، واخيرا قمت بزراعة انواع مختلفة من البذور .. وفي الليل تلقيت درسا في علم النبات عن انواع البذور التي يمكن زراعتها في حديقة نيوزيلندية اثناء تصوراتي النعاسية . ولم اقرر في عصر ذلك اليوم ماذا سأرى في فترتي النعاسية . لكن كأي متصور نعاسي مثالي ــ راقبت دفنها بشغف .

وتحظى التصورات الذهنية النعاسية البصرية باهتمام خاص . حيث تتناول مواضيع واحداث تبدو عديمة الصلة بحياة الفرد النفسية . وقد اعطى اثنان من الاشخاص الخاضعين لتجاربي اوصافا لاشكال تخطيطية من النوع

المجهول من التصورات الذهنية • فوصف الاول هذه الاشكال « على » انها مشاهد تشبه الى حد بعيد الخرائط الموجودة في كتب السفرات التي لم يقرأ واحد منها على الاطلاق » • كما شبه الثاني تجاربه « بأنها شرائح حيوية متتالية معروضة •• تحدث دون مقدمات •• وتحتوي معلومات مفصلة عن اشياء لم اكن اعلم انني اعرفها » •• ووصف آخر تصوراته الذهنية النعاسية كالاتي :

(مشهد كستنائي اللون •• وبحر باهت الزرقة •• يطل عليه سفح جبل شاهق تبدو صخوره المرجانية بديعة التكوين •• وتمتد على قمة الجبل سكة حديدية • وتبدو في المشهد ظلال حيوانين خرافيين يتمشيان امام ساحة استعراضات فسيحة) • لقد استطاع هذا الرجل تحديد مشهد البحر المألوف لديه •• لكن المشاهد البرية في هذه الصورة النعاسية نادرة الوجود • لقد كان الرجل الفرنسي الفريد مواري Alfred Maury (هو اول من اطلق على هذه الظواهر « التصورات الذهنية النعاسية Hypnogoqic Imagery حيث كان يرى دائما وجوه اشخاص غير مألوفين لديه وبتسريحات شعر غريبة وعشوائية •• وقد ذكر اشخاص كثيرون تجارب مشابهه • وقلما نرى اشخاصا يزورون او يرون اشياء مألوفة لديهم في رحلتهم في هذا العالم النعاسي الغريب• ولهذا يبدو واضحا سبب الاعتقاد بالتفسيرات الخارقة لهذه الظواهر •

ويبدو مدى وغرابة احداث هذه التصويرات الذهنية في غاية العجب والدهشة •• لاحظ المثال التالي ـ المشهد منظور من الاعلى ـ « خيط على شكل سلم معلق في الفضاء •• ويهبط على هذا السلم رجل هندي اصلع الرأس ابيض البشرة يرتدي ملابس لاعبي التنس راكبا دراجة هوائية •• وتبدو مثل هذه التصورات الذهنية ممتعة للغاية •• حيث كان احد الاشخاص الخاضعين لتجاربي يرى دائما في الليل سلسلة شبيهه بافلام كارتون •• كما قال لي احد هؤلاء الاشخاص انه شاهد « مشهدا جليديا ناصع البياض ، تتقدم فيه مجموعة من المتزلجين •• يحمل كل منهم شجرة عيد الميلاد بقبضة تشبه قبضة المظلة »

وقد تمتع هذا الشخص بهذا المشهد ، حيث قال « كنت سعيدا حقا بهذا المشهد » • وقد تشابه هذه المشاهد النعاسية ما امتع ايند بلايتون في صور يقظتها ، حيث ذكر لي احد الاشخاص انه رأى « كلبا للسيرك ، يرتدي معطفا صوفيا مقلما وبنطالا ومهرجا يرتدي نفس الملابس • وكانا يرقصان » • لقد وصف هذا الشخص تصوراته النعاسية المنتظمة على انها نسخة مطابقة لفلم والت دزنى Walt Disney كتاب الغاب Jungle Book والذي يحتوي في احدى صوره نمرا ذا اسنان طويلة معقوفة •• لقد كان يعلم بعدم وجود نمر على هذه الشاكلة لا في فلم دزنى ولا في قصة كبلنك الخرافية •• لكنه رآه : انه يشبه مزحه صنعت لتسليتي •

وتختلف الاستجابة الوجدانية لهذه التصورات من شخص لاخر بدرجة كبيرة • فقد يراقب الشخص بعض المشاهد التي يقشعر لها البدن بعدم اكتراث محير • ولا تكون التصورات ممتعة في كل الاحيان ولكن يمكن القول من ملاحظتنا ان رؤية الوجوه في الظلام قد يخيف الشخص • لأن اعتقاد الشخص بحيوية هذه الصورة الذهنية وغرابتها تجعله يؤمن بأنها شيطانية ولا تمت للحقيقة بصلة • وقد اخبرتني احدى عالمات النفس ان تصوراتها النعاسية هي نوع من الكوابيس التي يجب ان تمر بها حتى تأتي مرحلة النوم • وتعتمد هذه التصورات النعاسية كثيرا على حالتنا النفسية وعلى معتقداتنا فقد نلاحظ في مجتمعات معينة سهولة ايمان الافراد بأن هذه التصورات النعاسية الحيوية ما هي الا ارواح شيطانية تبحث عن جسد وتدخله وتمتلكه •

وتبدو معظم التصورات النعاسية كأشياء خارجه عن ارادة الفرد ولا يستطيع التدخل بها (رغم وجود بعض الاستثناءات) • ففي احد الكوابيس النعاسية رأى شخص نفسه جزء من قطيع اغنام يقف في باحة مجزرة ، فقال (كنت واحدا منهم) مشينا في الممر وكنت استطيع ان اشعر بشعور كل خروف معي وقبل ان تختفي الصورة رأى وجه الجزار •• ولاحظ ما يحمله من معان• وقد رأى ان هذه الاحداث مخيفة جدا •

(ومن الممتع ان تنتهي احداث هذا الكابوس خارج جدار المجزرة ، حيث زودت حياته اليقظة المادة الخام لهذا الكابوس . حيث كان ذا علاقة بالمجازر ولكن من الخارج فقط) . ويكثر حدوث هذه التصويرات الذهنية عن جسم الشخص في اليقظة لكنها نادرة الحدوث في الحالات النعاسية .

ويبدو ان الاحلام الاعتيادية تعكس الرغبات والتفكير العاطفي الوجداني التي ينشغل بها بال الشخص الحالم اكثر مما تفعل التصورات النعاسية ولكنها وكما يعرف الكثيرون تلعب دورا نزويا بمشاكلنا .

لقد حضرت في احدى المرات اجتماعا موسعا في الجامعة . وتكلمت مع احد كبار هيئة التدريس الذي اكن له احتراما فائقا .. وحدث انه دخن في تلك الاثناء . فحلمت في ذلك الليل انني جلست الى مكتبي وكتبت على قصاصات ورق كل سلبيات الجامعة ثم حشوت بها غليونا وقدمته الى زميلي السالف الذكر . وكان تعبيرا تاما على انك تستطيع ان تضع هذه القصاصات في غليونك وتدخنها .

ويتعلق مثالي المفضل على الدعابة التي يحملها الحلم بزميل يعمل في حقل الرياضيات . ففي الوقت الذي كان يعمل فيه بجد لانجاز اطروحته عن رياضيات الجاذبية .. كان عليه ان يقتنع بعدم التفكير بأي شيء اخر مطلقا . حلم ذات ليلة بأنه بهلوان في سيرك ، وحلم لحسن الحظ بأن جسده الحالم مربوط بحبل نجاة استطاع ان يمنعه من الارتطام بالارض على بعد عدة انجات منها . فظل معلقا ورأسه الى الاسفل ، وعندما تقدمت منه فتاة جميلة تحمل صينية تبيع بها الحلويات . لم يستطع في وضعه المتضايق ذاك الا ان يقول لها « اسف لا استطيع ان اقدم لك مساعدة فأنا معلق بالجاذبية الارضية » .. وانا سعيد جدا عندما اقص هذا الحلم واتذكر انه اجتاز امتحان الحصول على شهادة الدكتوراه في الجاذبية بنجاح .

لقد اكتشف دستوفسكي وظيفة الحلم هذه في التعبير عن المشاكل التي نعاني منها في يقظتنا كما درسها فرويــد باسهاب فقــدم فهما عظيما لترابط واستمرار ذهننا اليقظ بالنائم • وقد اعتبر هربرت سليبرير Herbert Silberes التصورات النعاسية موازية للاحـلام بالوظيفــة • حيث قال : انهــا تعبّـر تعبيرا اصلب من الاحلام ، عن طريق يشبه افلام كارتون عن انشغال بالنا بأشياء كثيرة • وقال و • هـ • ر • ريفرز W.H.R. Rivers في كتابه « الحلـم والصراع النفسي Conflicts and dreams • لا تمثل التصويرات الذهنية مهما كانت لا ارادية او احلام ، غرابة بشكل من الاشكال ، فهي تمثل الحياة المستديمة في الحياة النفسية المتغيرة اثناء النوم وتمثل تواصل لرغبتنا والمواضيع المتعلقة بنا في يقظتنا ، وتعتمد الموجة الوجدانية للحلم على درجة نجاحنا بتحقيق حل مدهش وسعيد لمشاكلنا • فاذا كنا ناجحين في حياتنا فســوف يكون من المتوقع ان نشاهد حلما سعيدا تتحقق فيه احدى رغباتنا •• اذا كنا فاشــلين فسوف يكون من المتوقع ان نرى حلما من الاحلام القلقة وقد يكون في حالته القصوى كابوسا • وقد وجدت ان هذا التفسير صحيح في احلامي الخاصــة وفي احلام الاخرين وفي الادب النفسي • وقد اعترف ريفيرز وسليبرر احدهما للاخر ان عمليات حل مشاكلنا تعمل ••• بمستويات بدائية واكثر بساطة في احلامنا وفي تصوراتنا الذهنية النعاسية مما هي عليه في حياتنا الاعتيادية • وكما قال سليبرر : ان الشعور المتعب •• يختار قنوات اســهل من مستوى العمليات العقلية » •

وتستطيع الاحلام والتصورات النعاسية ان تبدي ملاحظات غريبة • وقد تطرح في بعض الاحيان اكثر من مشكلة في نفس الحلم بصورة مرضية • وفيما يلي نقدم هذا الحلم الذي حدث لاحد زميلاتي مرتين وليس مرة واحدة في نفس الليلة • حيث رأت في الحلم ســبورة سوداء ، وضــع عليها نوع غريب من البوستر •• مصنوع من ورق نباتي •• وعلقت عليه الورقة التي صنع منها هذا

البوستر بمخالب حيوان يشبه مخالب القط . وكان على هذه الورقة النباتية مجموعة من الرسائل كتبت على شكل سلسلة اسئلة تشبه الى حد بعيد اعلانا تجاريا :

– هل تزعجك حيواناتك ؟

– هل هي مصابة بالعصاب ؟

– هل تمتنع عن الطعام ؟

اذا كانت كذلك ارسلها الينا وسوف نقوم بمعالجتها .

ثم تلا ذلك عنوان احدى المنظمات . وكان ترابط الكلمات الحر الذي حصلت عليه من هذا الحلم مفيدا ومعبرا . حيث غادر مستأجرو شقة الحالمة السفلية في اليوم الذي سبق الحلم وتمنت لو انهم اخذوا معهم قططهم الثلاث. كما كانت الحالمة تستخدم كلمة « قطة » على امرأة معينة من معارفها . لقد غلف حلمها مشكلتها هذه بغلاف واضح . حيث كانت امنيتها ان تجد رابطة تستطيع تقديم العلاج والمأوى لهذه المخلوقات المزعجة .

ويبدو من المفيد ان نقارن بين الحالات التي يمكن احداثها صناعيا بتغيير الحالة العقلية للشخص ، وحالات النوم الاعتيادية . وسوف نتطرق الى التنويم المغناطيسي في الفصل المقبل لذا سنتناول هنا الحالات الممتعة التي تنتجها ادوية التخدير العام . فقد تحدث هذه الادوية احلاما حيوية . حيث قال لي أحد زملائي (الذي أثق كثيرا بوصفه) انه حلم خلال عملية قلع احد اضراسه بأن سمكة قرش Sward fish تغطس باتجاهه . ونجد طبيعيا وجود القلق في مثل هذه الاحداث الطبية . فقد يحس المريض بالالم للأحداث الاخرى التي تدور اثناء العملية رغم انه تحت تأثير التخدير العام . وقد قال ج . ى يوتنك J.E. Utting في عام ١٩٧٥ م انه تكلم شخصيا الى اكثر من ثلاثين مريضا كانوا يدعون انهم واعين رغم انه يفترض ان يكونوا مخدرين . وقد ذكر

نصفهم انه يحس بالالم ، وقد تترافق هذه الاحساسات مع التصورات الذهنية. لقد شاهد احد مرضى يوتنك والذي كان معرضا لعملية معقدة في البطن ، حلما رأى نفسه فيه انه جالس على ارضية ملتهبة وان احدهم يرمي السكاكين بمعدته . وقد تستمر هذه الحياة الحالمة وتمتد الى حياة اليقظة وتمتزج بالواقع. وقد رأيت شخصيا حالة من حالات ما قبل اليقظة ، بعد ان قلعت احد اضراسي. حيث استيقظت لارى طبيب الاسنان مرتديا حذاءا لاستيكيا طويلا ويقف في منتصف التيار المائي مشغولا بصيد الاسماك كأي صياد اعتيادي .

وقد ذكرت بعض تجارب التصويرات الذهنية الجسمية في الحالة النفسية المتغيرة تحت تأثير ادوية التخدير العام . فقد ذكر شاكلتون Shakleton في رسالة وجهها الى مجلة اللانسيت[1] The Lancet في ١٦ اذار عام ١٩٧٤ حالة المريضة التي كانت تحت تأثير الايثر Ether والتي احست نفسها مرتفعة بضعة اقدام عن منضدة العمليات التي كانت مستلقية عليها . وقد قالت انها لم تخف بل على العكس استمتعت بذلك التصور وكانت قادرة على اعطاء تصورات ذهنية معقولة عن موقع الاشخاص الذين كانوا حولها واماكنهم اثناء العملية وقد اكد تجديد الاهتمام بالظواهر التي تحدث اثناء التخدير العام الشواهد القوية على صحة الادعاء القائل بأن الاشخاص يحلمون اكثر بكثير مما كان يعتقد سابقا . وان التمييز الان يجرى كما ذكرنا سابقا بين الذين يتذكرون احلامهم والذين لا يتذكرونها ، اكثر مما يجري بين الاشخاص الحالمين وغير الحالمين . وقد وجد برايز Brice وزملاؤه عام ١٩٧٠ م استطاعة الشخص الحالم ان يتذكر الاحلام التي تجرى تحت التخدير العام بدقة وتفصيل اذا سئل عنها بعد افاقته مباشرة اكثر مما يتذكرها بعد افاقته بعدة ساعات .

---

(١) مجلة طبية تصدر في بريطانيا (المعرب)

ويعمل الشخص النعسان في تصوراته الذهنية (فائدته الاساسية انه يرى ماذا يحدث) كجهازين حيث يشاهد الجهاز الاول ما اختاره الجهاز الثاني من مواد لعرضها على شاشة السينما الشخصية للفرد • لقد تكلم وليم جيمس عن الانشطار عام ١٨٩٠ م على انه « اجهزة خرجت كل منها تجاه الاخر » كما قال برنارد هارت Bernard Hart نفس المقولة عندما تكلم عن الانشطار على انه ليس انقساما بقدر ما هو تمرد او خروج عن السيطرة الاساسية • فكتب يقول ، ان القضية ، هي قضية خروج عن السيطرة كآلة الكير في السيارة • حيث تنتظم المكونات المختلفة للماكنة العقلية كي تقوم بوظائف مختلفة عندما توضع على الكير المناسب » • ويبدو اصطلاح تغيير الكير لتغير الاجهزة العقلية المختلفة مناسبا في الدراسة الاستبطانية لكلا التصورات النعاسية والاحلام • ويبدو عمل هذين الجهازين واضحا في التصورات النعاسية خاصة • فقد ذكر احد الممارسين المنتظمين الظاهرة الاحلام النعاسية ما يلي « عين مستقرة في قدح من الماء » وبينما كان يراقب المشهد انشطرت هذه العين الى نصفين لتكشف بداخلها عن عالم معدني ذي اناس صغار يدورون حوله • وكما كان معتادا في التصورات الذهنية النعاسية ، ذكر انه يستطيع التركيز على أي جزء مجهري في هذا المشهد ليشاهد كل دقائقه التفصيلية •

لقد اصبح عمل ما لا يقل عن جزئين من اجزاء الشخصية في التصورات الذهنية واضحا ولا يقبل الشك واذا سألنا هؤلاء الاشخاص عن كيفية تفريقهم التصورات الذهنية النعاسية عن لاحلام ، فسوف يقولون بلا شك انهم يستطيعون ذلك لانهم يستطيعون ان يفكروا في حالة التصورات النعاسيةبأفكار ليست لها علاقة بهذه التصورات وقد يستطيع بعض هؤلاء المتصورين الذهنيين ان يجرى محادثة بينما تستمر عملية تصويراته الذهنية •

لقد استطاع الشخص الاول الذي تناولت دراسته ، بمعونة آلة تسجيل ان يزرع صورا اعتيادية في تصويراته الذهنية النعاسية ، وتستمر الصور

الذهنية النعاسية دون ان تختلط الاثنتان معا ويبدو من الضروري التفريق بين الشخص (كأنا مراقبة Observing ego) ومنتجات عملياتــه الانشطارية والتي ندعوها التصويرات الذهنية • وتبقى الانا المراقبة موجودة كشــعور مصاحب تلاحظ بسعادة او تنذر ، فتبقى تلاحظ التصويرات الذهنية النعاسية اللاارادية التابعة لجزء الشخصية النعاسي ، وقد تصاحب هــذه التصويرات عواطف اخرى (كالدعابة كما رأينا) • وبدون حاجز فقدان الذاكرة الذي يعقد دراسة الاحلام كثيرا • وكما قال هلكرد عن اليقظة عام ١٩٧٧ م « ما وحــدة الشعور الا خداع حسي (وهلا) » • وقد استشهد بمثــال الشخص الذي يصغي الى محادثة شخص اخر وهو يعد له جوابا في نفس الوقت • ويكون الشعور بجزء الشخصية المصاحب اكثر وضوحا في التصويرات النعاسية وفي الاحلام البيضاء •

لقد لاحظنا تعلق ظاهرة الاعــادة Perservations بالتجــارب النعاسية حيث تتجسد الاحداث التي مرت في الصباح في الاحلام اثناء الليل • فتستمر الصور والافكار في الذهن دون سلطة ارادية ، وقد تستمر احيانا رغم بذل جهد كبير لايقافها • وقد ترافق ظاهرة الاعادة الارق ، فتبدو في كثير من الاحيان كاشعاعات من الصور والافكار من مناطق في الشخصية متوفرة اعتياديا للشعور • وقد ينبع الالهام Inspiration في هذه الحالات بمصاحبــة التصورات الذهنية النعاسية او الاحلام او بدون مصاحبتهما • وقد يزود الحافز الذي يتلقاه الفرد محيطا جديدا يشبه الى حد بعيد التصويرات النعاسية او تصويرات الاحلام • وتؤثر المدركات الحسية الخارجية كالقمر والغروب في التصويرات الذهنية كما في حالة روزورت عندما رأى الفجر وهو يقف على جسر وستمنستر Westminster واعترف شخصيا بأني لم احصل على مثل هذا الالهام ، وسوف اظل مدينا لاحد زملائي علماء النفس الامريكان عندما نصحني « اذهب لترى الوادي العظيم •• ومن المستحيل ان تراه من الجهــة الشمالية •• لانه سوف يغير بالتأكيد تصوراتك الذهنية » •

ويبدو من المناسب ان نشير هنا •• الى ان هناك اكثر من سبب يجبرنا على اعتبار التصويرات الذهنية النعاسية البصرية والسمعية وباقي الحواس الاخرى كظواهر طبيعية ، فهي كثيرة وشائعة الحدوث كما يبدو انها غير متعارضة مع الحياة النفسية السليمة • وقد وجدنا في البحث الذي اجريناه على مجموعة من الطلبة جامعة ابردين ان ٦٤٪ من هؤلاء الطلبة يذكرون نوعا من التصورات الذهنية (ماكلير وسمبسون ١٩٥٤) • وقد وجدت في آخر بحث لي تضمن اربعمائة من طلبة نيوزلنده فرقا واضحا بالجنس في هذه التصويرات الذهنية • اذ وجدتها ٧٣٪ من النساء و٦٢٪ من الرجال • ثم يطرح السؤال التالي :

ما هي التصويرات الذهنية الاكثر شيوعا البصرية ام السمعية •• وقد اكدت دراسة عام ١٩٧٤ م على ٦١٪ من النساء ، ويشكل النوع السمعي ٣٨٪ في النساء ايضا • بينما كان النوع البصري في الرجال ٤٨٪ والسمعي ٣١٪ •• وهكذا بقى فرق الجنس •

وقد ذكرت ٣٥٪ من النساء انواعا أخرى من التصويرات الذهنية النعاسية بينما ذكر ٢١٪ من الرجال انواعا اخرى من التصورات الذهنية النعاسية ، وقد تضمنت التصويرات الذهنية السمعية المثالية الموسيقى والاصوات الانسانية ، وكانت جميعها لا ارادية كما في النوع البصري • وقد ذكر احد هؤلاء : « كنت استلقى واسمع هذه الاصوات ولا ادري ماذا سيحدث بعدها » ومما يميز هذه التصويرات الذهنية النعاسية السمعية هو ان مظاهرها هو توهم الشخص بين هذه التصورات والواقع كأن ينهض الشخص باهتمام كي يتعامل مع الصوت الذي في ذهنه كأنه حقيقي •

وقد رأينا في هذا المجال ان الشخص يمر بالتجربة ولا يفكر بها فقط •

واذا حاولنا ان نفرق بين الفترة النعاسية التي يقضيها الفرد كي ينام • وفترة ما قبل اليقظة والتي تعتبر كتكملة للحياة الحلمية للشخص حتى يستيقظ نجد امثله واضحة على توهم الشخص بأنها حقيقة • (وأحد امثلتي المفضلة على هذه الحالة هي زوجة طبيب ممارس ، عندما استيقظت وهي تشم رائحة كعك يحترق • فنهضت مسرعة لتتأكد فيما اذا كانت قد ابقت الفرن مشعولا ، ولكنها لم تبقه مشعولا • ويكون من الاحرى بنا اذا ابقينا هذا التفريق ان لا نبقي القضية في اطار « •• تعاقب الليل والنهار فقط » فقد ينعس الشخص في الصباح ، وقد يلاحظ في تلك الحالة تصورات نعاسية كما قد يستيقظ الشخص في وقت غير الصباح ، وقد يمر بتكملة حلمه في نومه السابـق او قد يمـر بتصورات فترة ما قبل اليقظة • وقد اجرى ر • ج دراسة مفصلة عن تصوراته الذهنية في هذا الصدد • وقد لاحظ في حالته على الاقل وجود اختلاف بـين التصورات النعاسية التي تحدث في المساء والتي تكون مشبعة بأحداث اليوم المنصرم وبين تلك التي تحدث في الصباح حيث تكافح احداث المساء كي تكون نفسها وهو يراقبها بينما تكون احداث الصباح ـ واضحة كالمدركات الحسية تظهر فجأة كاملة الهيئة والتكوين •

ونلاحظ مع هذه الظواهر النعاسية وما قبل اليقظة ظواهر عديدة لكن اكثرها شيوعا في الحالة النعاسية هو « احساس السقوط » حيث يتكون لدى الفرد انطباع انه يسقط ، ثم يرتفع عندما يستيقظ • وقد وجدنا في بحثنا في جامعة ابردين المتضمن فحص ١٨٢ شخصا وجود هذا الظاهرة في ٧٪ مـن هؤلاء الاشخاص • ومن الممكن ان تكون هذه الظاهرة وثيقة العلاقةبالاحساس العضلي لدى الفرد (التقلص والانبساط) وهو اعتقاد سائد • كما قد يحس الشخص احساسا نعاسيا وما قبل اليقظة متعلق بصورة الجسم الذهنية •• حيث يذكر احد الاشخاص ••• « احس بجسمي ينتفخ كمنطاد ، كما احس انـي

مربوط الى بعضي بخيوط بدل العظام • ومن الخبرات الشائعة عن الحالات النعاسية وحالات ما قبل اليقظة هي غرابة الكلام • حيث استيقظت احدى الشابات وهي تدندن « ضع البجامة الوردية في الصلصة » ويشبه العديد من الباحثين هذه الاحداث التي ادعوها سريريا بكلام ما قبل اليقظة ، بأقوال مرضى الذهان الفصامي Schizophrenis ففيها يبدو ان بعض العمليات الذهنية التي تقع خارج نطاق الوعي قد تسللت • ويبدو هذا الكلام في الحقيقة كتعليق على الحلم الذي اندرج بطيات النسيان عند يقظة الشخص ، كما قد يعبر عن افكار ما قبل اليقظة بكلام غامض • وقد تكون في احيان اخرى محفوظة يعبر عنها بدرجة تحت صوتية في حالة نعاسية قبل اليقظة كما ان مصدرها في بعض الاجهزة خارج نطاق الوعي الطبيعي معلوم لدى الفرد الذي يعاني منها •

وقد استخدم مختلف الباحثين الاصطلاحات للتعبير عن اشاعات التصويرات الذهنية في الخارج فاطلق فرويد على الصور الحلمية « الشارع الملكي المؤدي الى اللاوعي » •• وقد عبر عنها سير فرانسيس كالتون Sir Francis Galton ١٨٨٣ م بأنها « وعاء الحضور في ذهني الذي يكون فيه الوعي التام آخذ المبادأة » وبجانبه « وعاء معكوس هو ما دون الوعي مباشرة » وقد شرح كالتون عملية التفكير الابداعي على طريقة هذين الوعائين حيث يتصل جزء من الذهن بالجزء الآخر كأنه يتصل بشخص آخر • كما تقارن المعاني الرمزية والخبرات البصرية المتلقاة مع القديمة ورأى ان الرجل الديني الذي كرس ذهنه للافكار المقدسة سوف لا يجد غرابة في اية فكرة خارقة •• فهو يجد ان هذه الافكار تنتقل في الوعاء المقلوب الى وعاء الوعي :

فرؤيته وافكاره واقواله تسمع كلها بطريقة غالبا ما وصفها الاشخاص الورعون في كل الديانات •

ويبدو ان النوم وحالته المجاورة بضمنها خبرات الفرد النعاسية تساعد الى حد كبير على مرور مثل هذه التصويرات الذهنية • وسوف نرى في الفصل القادم حالات التنويم المغناطيسي التي قال عنها وليم جيمس « ان لها اواصر عديدة مع النوم الاعتيادي » كما قال بأمكانية وقوعنا جميعا تحت تأثيرها في نومنا الاعتيادي • وتحتاج عملية المعادلة بين الحالات التي يمكن اجراؤها صناعيا وحالات النوم الاعتيادية المزيد من البحث والتقصي ، ليس عن طريق المراقبة فقط وانما بطرق التسجيل الفسلجية المناسبة • ومع هذا قدم جيمس ملاحظة قيمة قال فيها : يستطيع المنوم ان يبقي النائم في حالة متوسطة بين اليقظة والنوم : يكون فيها النائم مهيئا لان يعبر الى مرحلة النوم ببساطة • وتقبع الكثير من الظواهر المهمة بين التصويرات الذهنية والتنويم المغناطيسي تمثل مجالا خصبا للرواد والباحثين كي يمخروا عبابها • وتشتمل هذه الظواهر على الاحلام التي يحفزها التنويم المغناطيسي ، اخيلة التنويم المغناطيسي واختلافات صورة الجسم الذهنية الكثيرة والتصورات الذهنية المرافقة لها • وقد دعت جميع هذه الظواهر العلامة جيمس الى النظر « في تغيرات الشخصية العميقة ، الافعال اللاارادية والشعور المزدوج ، او ما يسمى بالشخصية الثانية ومترادفاتها من اغشية التنويم المغناطيسي » •

الفصـــل الثـــامن

النوام والتنويم المغناطيسي

Hypnotism and Hypnosis

H.C. Warren   هـ • س وارين

حالة صناعية ، تشبه النوم عادة ، لكنها تختلف عنه فسلجيا ، وتمتـــاز بقابلية عالية على الايحاء •

لقد كان جيمس بريـد James Braid اول من استخدم مصطلحات النوام والتنويـم المغناطيسي في عام ١٨٤٢ م • ورغم كتابـة انتوان مسمير Anton Mesmer كتـاب اكتشـاف التنويـم المغناطيسي في الحيوانـات The discovery of Animal Magnetism الاسم الذي ابتدعه لهذه العملية وهو (المسمارية Mesmerism) لكنه لم يتوفق في اكتشاف هذا الفن ، ولم يكن اول من اشار اليه حيث كان لدى المصريين القدماء والاغريق معلومات عن هـذا الفن •

وكان يعيش في القرن الذي سبق مسمير • رجل ريفي يدعى فالنتـين كريتراك Valentine Greatrakes اسـتطاع معالجـة عـدة امراض (هستيرية الاصل دون شك) عن طريق علاجه بالضرب • وقلما كان يتلقـى كريتراك اجور معالجته ، كما أنه استطاع ان يشفي الاشخاص الذين يؤمنون بطريقته هذه والذين يشكون بها • وكان يمارس علاجه ثلاثة أيام في الاسبوع، وكان من العلل التي استطاع ان يشفيها هي العمى والشلل •

وقد اتاه في احدى المرات بحار ضخم يمشي مترنحا مستعينا بعكازات وقال انه استطاع ان يمشي عشرة اميال بعد العـلاج • وكان في بريطانيا وفي معظم اجزاء اوربا اعتقـاد متوارث بالشـفاء الملكي Royal Healing وقد اختلفت الاتجاهات في هذا المجال حيث لم تؤمن به اليزابيث الاولى على

---

(١) نوام Hypnosis :ـ حالة شبيهة بالنوم لكنها ليست بالنوم الحقيقي بل حالة ايحاء شديد بالنوم يكون فيها الشخص برغم نومه الصناعي الوهمي في حالة تركيز ذهني الى نواح معينة ويمكنه ان يتحدث الى الطبيب ويجيب على اسئلته ، ويخرج الكثير مما كان يخفيه في يقظته ، والكثير مما على هامش الشعور Subconsious وتسمى العملية أو هذه الظاهرة ظاهرة التنويم (او التنويم المغناطيسي) Hypnotism وقـد شـاع استخدامها في القرن الماضي وبداية القرن الحالي ، واشتهرت بها مدرسة نانسي Nancy في جنوب فرنسا .
الموسوعة المختصرة في علم النفس ، الدكتور وليم الخولي .

عكس جيمس الاول الذي آمن بالخوارق ، كما حافظ كل من تشارلز الاول وتشارلز الثاني على هذا التراث وعالجا ما يقارب الخمسمائة مريض • وفي فترة كروموليان وغياب الملك ازداد الطلب على كريتراك ووضعت معظم طرقه تحت الاختبار • فعندما « خدر » يد أحد المرضى وغرز دبوسا في اللحم ، لم يشعر ذلك الرجل بالالم مطلقا • ثم ضرب اليد مرة اخرى ، وغرز الدبوس مرة ثانية فصرخ الرجل من الالم •

لقد اصبحت ظاهرة التخدير فيما بعد كظاهرة شائعة في عروض التنويم وتجاربه • وقال وليم جيمس عام ١٨٩٠ م انه خلال التخدير « يكون الحس في الجزء المخدر على شكل شعور ثانوي مهيأ لان يتيقظ بضربه ويبدو ان التخدير الذي يمكن استحداثه في حالات التنويم المغناطيسي والتخدير الذي يتولد ذاتيا نتيجة عصاب الهستريا متشابهان في كثير من الجوانب •

وقد يبدو من الصعب أن نتطرق الى ظاهرة النوام بتفصيل دون أن نتطرق الى قابلية الانسان على الايحاء • لقد عرف العالم النفسي كانترل (Cantril) عملية الايحاء Suggestion بانها « تقبل صيغة ذهنية دون تدخل عمليات النقد الفكرية التي تحصل عادة للافكار المدركة « بفتح الراء » وقد ميز بعض علماء النفس انواعا متعددة من الايحاء • فقد ميز ايزنك Eysenck على سبيل المثال قابلية الايحاء الاولية Primary Suggestability التي تتناول الفعاليات الحركية عن قابلية الايحاء الثانوية Secondary Suggestability التي تتناول عمليات التخدير والاخيلة السلبية والايجابية التي تنتج من خلال التنويم المغناطيسي • وهناك دليل قوي يؤكد أن قابلية الايحاء Suggestability وقابلية التنويم المغناطيسي Hypnotizability ليستا سمتين مستقلتين •

لقد تطورت الدراسة العلمية للتنويم المغناطيسي عبر السنين • وقد لخص عملية التطور هذه رولاند شور Roland Shor عام ١٩٧٢ م • حيث اتى انطوان مسمير (١٧٣٤ ــ ١٨١٥ م) بنظريته عن التنويم المغناطيسي في الحيوانات ، ثم تلاه المركيز بيوزيكير Puyseger عام (١٥٧١ ــ ١٨٢٥ م) وفكرته التي تنص على حالات سير النائم الصناعية التي يقوم بها المنوم تبعا لرغبة المنوم • ثم اتت ما يطلق عليها شور « مرحلة علم النفس البدائية » والتي تربط عمل بريد من جهة وابحاث مدرسة نانسي في فرنسا (ليبولد Liebault وبيرنهايم Bernheim) من جهة اخرى : وكان التفكير ينحصر في ذلك الوقت بعملية الايحاء وقابلية الشخص المنوم على تلقي الايحاء •

ثم تلتها « مرحلة علم النفس التالية » عندما بدأ شاركو عمله في باريس ١٨٧٨ م • وقد خلف شاركو اثنان من طلبته النابهين شاركاه اهتمامه بعصاب الهستريا والتنويم المغناطيسي هما : سيجموند فرويد وبيير جانيه • وقد افاد فرويد في البداية من عملية التنويم المغناطيسي لكنه تركها فيما بعد ليمارس عملية تداعي الكلمات الحر التي اوجدها كطريقة للعلاج • وكنتيجة لذلك اصبح التحليل النفسي عديم العلاقة نسبيا بالتنويم المغناطيسي وابحاثه •• وقد شاع استعمال التنويم المغناطيسي في مرحلة علم النفس المبكرة كطريقة لعلاج الآم العمليات المبرح • حيث نشر اسديل Esdaile عام ١٥٨٠ م تقارير وافية عن هذه الجراحة من خلال عمله في الهند • كما استعمل جون اليوتسون John Elliotson نفس الطريقة في الجراحة عندما كان يعمل في جامعة لندن • ومع تقدم التخدير العام وتطوره والتأثير الذي مارسه التحليل النفسي في احباط التنويم المغناطيسي ، اصبحت طرق التنويم المغناطيسي غير ذات فائدة عملية في مثل هذه العمليات •

وقد انتعش التنويم المغناطيسي في الفترة الاخيرة ، نتيجة الاهتمام الذي لقيه والابحاث المهمة التي اجريت عليه • وقد تصدى لهذه الابحاث عمالقة علم

النفس مثل كلارك هول Clark Hull واورن Orne وشور نفسه Shor وباربر Barber وهلكارد Hilgard .

وهنا لابد من الاشارة الى بحوث باربر واتباعه في هذا المجال • حيث يمثل باربر احد كبار العقول العلمية في حقل علم النفس ، لقد انتقد باربر الدراسات السريرية والتجارب السابقة على طول الخط •• ومن ضمنها تجربة اللوح الجسمي « حيث يوحى للشخص المنوم ان جسمه صلب كلوح ويوضع على كرسيين رأسه على الاول واقدامه على الثاني • فقدم باربر الدليل على أن ٨٠٪ من الاشخاص الاعتياديين يستطيعون القيام بهذه العملية دون تنويم مغناطيسي بعد ان يوحى لهم بأن اجسامهم صلبة كلوح خشبي • كما انه انتقد وشكك بالأدعاء القائل بالنكوص العمري Age-regression اثناء التنويم المغناطيسي ، كما شكك باحلام التنويم المغناطيسي والاخيلة التي تنتجها عملية التنويم المغناطيسي وكذلك التخدير الذي ينتجه •

لقد ركز تحليل باربر لعملية التنويم المغناطيسي على مسألتين هما : السلوك الناتج والمتغيرات الانية • وما يجب ان يدرس في السلوك الناتج عن التنويم المغناطيسي ، هي استجابات الايحاء ، وتقارير الشخص عن انه منوم والمظهر التنويمي • وما يجب أن يدرس في المتغيرات الانية : هو :

اولا : متغيرات الشخص نفسه ـ الاتجاهات ، التوقعات ، دوافع الشخص• ثانيا : متغيرات تعليمات الايحاء وتتضمن طريقة الكلام والنغمة الصوتية للتعليمات والايحاء المباشر والاسئلة اللاحقة • وما سبق ليس بسيطا ويتعلق بتعقيد ظاهرة التنويم المغناطيسي نفسها •

وتتغير الحالة النفسية للشخص بايحاء المنوم (وقد لاحظت بشغف كيف سكر احد المنومين بقدح من الماء بعد أن اوحى له المنوم بانه كحول قوي التركيز) • كما قد يعمل بعض الاعمال التي تطلب منه من خلال الايحاء دون

معارضة . وقد اشار وليم جميس الى التغيير الملحـوظ في الخواص والذي يلعب دورا « بارزا » في التنويم المغناطيسي امام جمع من المتفرجين . فقد يغير الشخص نفسه تبعا للايحاء الى طفل صغير او فتاة جميلة تتهيأ لحفلة ، او يصبح نابليون او مجرد حيوان . وقد اعجب جيمس بهذا التغيير كما انه لم يقتنـع بامكانية تفسيره على انه نوع من الخداع او الزيف ، او كما يدعوه النظريون المحدثون على انه « تمثيل » .

كما قدم ملتون اركسون Milton Erikson عـام ١٩٣٩ م بعض التجارب التي ثبتت بوضوح تغير الخواص . حيث أخبر السيد بلانك المنوم في احدى هذه التجارب انه لم يعد السيد بلانك وانما الدكتور د . ولتعقيد الامور اكثر قيل له ان الدكتور د الحاضر في هذه الجلسة سيصبح السيد بلانك . وقد اثبتت هذه الطريقة فعاليتها . فعندما استيقظ ، سئل من قبل السيد بلانـك الزائف (الدكتور د حقيقة) كما لو يكون هو الدكتور د ، فاعطى تقريرا وافيا عن نفسه على انه الدكتور د (لقد افاد من المحادثات السابقة مع الدكتور د فاستخدم المعلومات التي افاد منها في تمثيل شخصية الدكتور د :

لقد دخن بنفس طريقة الدكتور د ، ونفس اتجاهاته وطريقته في الكلام) .

وعندما سئل عن زوجته ، اجاب اجابات طبيعية ، وعندما سئل عن اطفاله اجاب بحرج « ليس لدينا اطفال حتى الان » . وقد لاقى المعالج صعوبـة في تنويمه ثانية لاعادته الى شخصيته الحقيقية . حيث مارس مقاومة تجاه التنويم المغناطيسي شبيهة بالمقاومة التي مارسها الدكتور د عند تعرضه للتنويم سابقا .

لقد انقسم دارسو الحقل العلمي المهتم بالتنويم المغناطيسي الى قسمين ، وقد افتـرض سوتكليف Sutcliffe عام ١٩٦٠ م مصطلحين : الاول سريعو التصديـق Credulous والثاني الشكاكون Susptical تمييزا لهذين الفريقين المختلفين . ويؤكد سريعو التصديق على حقيقة وواقعية ظواهر التنويم المغناطيسي ، كما يؤكدون على وجود اختلافات معينة بين هذه

الظواهر التي يمكــن انتاجها بوسائــل اخــرى • بينما يناقش الباحثــون الشكاكون هذه الظواهر ويدعون ان هناك اتفاقا مسبقا بين المنوم والمنوم ، ويمثل كل منهما دوره بدقة ليظهر امام الناس على انه حقيقة • وضمــن كبار باحثي علم النفس الذين ينضمون الى فريق سريعي التصديق هما هلكرد وقبله ماكدوكيل • ويتمثل رأي الشكاكين بنظرية اشتهرت في الاربعينات وكان لها تأثير كبير في ذلك الوقــت • حيث يقــول ر • و • وايت R. W. White يتحدد واجب الشخص المنوم بالقيام بدور تمثيلي ـ ويقوم بتحديد هذا الدور التمثيلي الشخص المنوم ـ وهو في محاولته سلوك دور الشخص المنوم سوف يسلكه بالتأكيد كما يفهمه •

ولهذا يكون سلوكــه ذا هدف محــدد • وتشبه نظرية لعب الادوار التمثيلية هذه الى حد بعيد الاختبارات الحذرة • ولهذا يبدو من انجاز الاشياء المتفق عليها ان بامكاننا انتاج تأثيرات تنويمية كثيرة بطرق أخرى ، ولكن بعد أن نبذل جهدا كبيرا ، اذا رغبنا في ذلك • ولكــن يجب علينــا ان نتيقن بأن شواهد الآف السنين تثبت ان النوام ما هي الا حالة نفسية متغيرة ومختلفة عن حالة الانسان النفسية الطبيعية • ويجب على العلم ان يقوم نقاط التشابه ونقاط الخلاف • فاذا كان هناك تشابه واضح بين تمثيل الادوار والسلوك التنويمي ، فهناك نقاط اختلاف ايضا • وتبدو نقاط الاختلاف هذه مهمة ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار الظواهر التي تنفرد بها حالة التنويم المغناطيسي والتي تستحق المزيد من البحث والاستقصاء واستطيع القول بعبارة أخرى ان رأى سريعي الاقتناع ارصن علميا وموضوعيا ولكن بدرجة قليلة من موقف الشكاكين • وبتخصيص اكثر اعتمادا على ابحاث هلكرد المهمة والآخرين نستطيع القول : ان العلاقة بين التنويم المغناطيسي والانشطار جديرة بأن نعيد فيها النظر •

بقيت العلاقة بين التنويم المغناطيسي والانشطار من الالغاز التي تستحق الحل ، ولكن تبقى مشاكل البحث في هذا المجال هائلة ومستعصية • لقد حلل

رولاند شور عام ١٩٧٣ م المشاكل التي تواجه الباحثين العلميين في التنويم المغناطيسي (ورغم ان زملاءه كانوا يتهمونه بأنه يميل الى سريعي الاقتناع لكن هذه لم تكن عقبته الرئيسية) لقد قال شور بوجود صراع اساسي في داخل الباحث العلمي بين واجبات المنوم وواجبات العالم .

فهو كعالم يجب عليه أن يكون متجردا من نتائج بحثه ، وهو كمنوم يجب عليه أن يكون متحمسا ومتفائلا ويمتلك حاسة التوصيل كي ينتج ظاهرة التنويم باسرع وقت .

ومن الممكن أن نستشهد بمحاولات اجريت لانتاج سلوك جرمي بواسطة التنويم المغناطيسي عند اشخاص يحترمون القوانين ويطيعونها . وهل ممكن تحقيق ذلك أم لا ؟ قال بعض الباحثين « نعم » وقال اخرون « لا » . وقال الاولون مهما كانت عدد مرات الفشل فهي لا تستطيع أن تمحو محاولة ناجحة واحدة . وهؤلاء الذين فشلوا (رغم انهم المع العلماء الشكاكين) ببساطة منومون غير اكفاء .

واذا اخذنا كلا الفريقين من اقوال سوتكليف وتحليل شور نجد هناك اسبابا مقنعة بأن حدود ومديات التنويم المغناطيسي مبالغ فيها . هل تتمكن أن تنوم الفرد ضد ارادته ؟ وهل يمكن أن ينوم دون أن يعرف انه سينوم ؟ وحتى من جانب المنوم غير المتميز نسبيا اجيب معتمدا على خبرتي «نعم» حيث شاهدت أحدى تجارب الاخرين التي نوم فيها أحد الاشخاص الواقفين وراء الشخص المراد تنويمه دون علم المنوم ايضا . ويبقى السؤال الاخر : هل يمكن انتاج افعال جرمية بواسطة التنويم ؟ كالانتحار مثلا ؟ وهنا ايضا نجد بعض الباحثين يجيبون بنعم غير مشروطة .

لقد كانت تجارب ل . و . رولاند L.W. Rowland في نهاية الثلاثينات، مثيرة بشكل غريب وتستحق منا وقفة في هذا المجال . حيث اقنع الاشخاص الخاضعين لتجربة من تجاربه باجراء محاولات قوية ومتكررة للوصول الى

صندوق يحتوي على افعى مجلجلة[1] rattle snake (وكان هناك حاجز زجاجي شفاف كوقاية) ٠

فاستيقظ احد الاشخاص حال رؤيته الافعى ، بينما كان اثنان اخران في غاية السعادة وهما ينفذان التعليمات ، كما حاول احـدهما اجتياز الحاجـز الزجاجي ٠ وتضمنت تجربته الاخرى امكانية انتاج سـلوك شرير ومخرب بواسطة التنويم المغناطيسي ٠ فعرض على الاشخاص النتائج المخربة لحامض الكبريتيك المركز على قطعة من الخارصين ، ثم نوم اشخاصه وامرهم ان يصبوا حامض الكبريتيك المركز على وجوههم « ووضع حاجز زجاجي دون علم هؤلاء الاشخاص » ٠ وقد قام الشخصان بالعمل رغم تردد احدهما في البداية ٠

لقد درست في السنوات الاخيرة ، امكانية وقوة القائم بالتجربة على حث الاشخاص غير المنومين مغناطيسيا على القيام باعمال غير اجتماعية تحت تأثير اوامره الاستبدادية ٠ واشهر هذه التجارب على الاطلاق هي تجارب ستانلي ملكرام Stanley **Milgram** حيث استطاع ملكرام ان يحث شخصا غير منوم مغناطيسيا على القيام باعطاء صعقات كهربائية متزايدة وعديدة الى أحد الضحايا وقد استعمل الخداع في هذه الحالة حيث لا توجد صعقات كهربائية في الحقيقة ، ولكن الضحية يمثل كما لو أن هناك صعقات حقيقية ٠ وقد احتج الاشخاص الذين يقومون باعطا ءالصعقات ٠٠ وبدت علامات غضبهم واضحة على هذه الاوامر ، لكن معظمهم اطاع هذه الاوامر تحت تأثير السلطة الحازمة للقائم بالتجربة ٠ وقد نفذ ستة وعشرون شخصا من بين اربعين الاوامر الى اعلى قوة لهذه الصعقات ٠ ورغم تناقض هذه التجارب مع ما وجده رولاند اجـد تجارب رولاند مقنعة ٠ ولكن يجب أن نضع هذه النتائج نصب اعيننا عندما يناقش بعض الاشخاص مسألة التأثير المحدود للشخص المنوم على المنوم ٠

---

(١) افعى اذا لسعت سمع لها صوت كصوت الجرس . (المعرب)

واذا اخذنا بنظر الاعتبار الافعال الاخـرى غير الاجتماعية ، وجدنا ان تجارب و . ر . ويلز R.W. Wells تثبت امكانية حث السرقة عن طريق التنويم المغناطيسي . وقد قام بعض الباحثين بهذه التجارب لكنهم فشلوا .. فناقش ويلز القضية بقوله « الفشل لا يعني الا الفشل » .

ان السقوط مرات عديدة لا يمحو نجاحا واحدا . وهؤلاء الذين ينجحون هم الناجحون . اما الفشل فقد يحصل لعدم توفر الظروف الملائمة او ربمـا لعدم امتلاك المنوم الكفاءة .

وانا اقول ، تحتاج نتائج تنويمية معينة الى شروط معينة كي نستطيع احداثها . حيث يمتاز اشخاص معينون بقابلية تنويمية كبيرة ، بينما يحتـاج اخرون الى تدريب او برمجة كالكومبيوتر قبل ان نستطيع تنويميهم والحصول على حوادث تنويمية معينة ، كما يختلف المنومون في خبرتهم ـ يقول ليبولت رائد التنويم العظيم في مدرسة نانس وباعث الحياةفيمدرسة شاركو الباريسية. انه استطاع ان ينوم ٩٠٪ من الاشخاص الذين حاول تنويميهم . ويقـول برنهايم Bernhiem أحد اتباعه ، ان الذي لم يتعلم ان ينوم ٨٠٪ من الذين يحاول تنويمهم فانه غير متقن للصنعة وقد قال بعض الباحثين في حقل التنويم المغناطيسي انهم استطاعوا ان يصلوا الى درجة ١٠٠٪ من الاشخاص الذيـن حاولوا تنويمهم ، لكن هذا لا يعني انهم استطاعوا تنويمهم الى درجة مـن العمق يستطيعون معها ان ينتجوا ظواهر معينة كالاخيلة وسير النائم التنويمي، وهنا يبدو انهم يحتاجون المزيد من التدريب .

وهناك تجربة اخرى غير مربحة في هذا المجال ، حيث كان احد الاشخاص شكاكا متعبا لا يؤمن بالتنويم المغناطيسي . فنوم مغناطيسيا ووضعت يداه الواحدة فوق الاخرى واخبر بالتنويم المغناطيسي انه لا يستطيع ان يبعد يديه الواحدة عن الاخرى ، ووضع شريط مشتعل بين يديه ، وأخذ يحترق ببطء ،

ولم يسمح له بابعاد يديه الواحدة عن الاخرى الا بعد ان احترقتا حرقا مؤلما ، وقد اقنعته هذه التجربة بواقعية ظاهرة التنويم المغناطيسي • ونحن لا نريد ان نعيد هذه التجربة بكاملها •• لكنني اعترف انني افضل اعادة قسم منها •

فاعدنا هذه التجربة قبل عدة سنوات وسمحنا بفك ارتباط اليدين قبل وصول اللهيب اليهما • وقد لاحظت عدم وجود الدليل الذي يقنعني باستطاعة المريض ان يفك يديه بدون سماح المنوم له بذلك ، وفي ظروف ملائمة لهذه العملية تكون قوة المنوم ذات تأثير فعال •

وهناك ادلة كثيرة تثبت عدم شعور المنوم بالالم والتي تدحض النظريات القائلة بأن التنويم المغناطيسي ما هو الا مجرد تمثيل • وسوف اذكر بعض العمليات الكبرى التي اجريت تحت عدم الحس بالالم حالة التنويم • فقد كتب كورملس Courmelles عام ١٨٩١ م في الفترة التي شاعت فيها مثل هذه العمليات ، بعض المعلومات عن التنويم الفرنسي ، كما ذكر عمليات بتر الذراع او الساق التي كانت تجرى تحت التنويم المغناطيسي • وقد ذكر هلكارد ١٩٧٥ م بصدد قابلية الاشخاص للخضوع لعملية التنويم المغناطيسي أن ١٠ ــ ٢٠٪ من الاشخاص يمتلكون القابلية على ان يصلوا الى حالة تنويم عميق يشبه الى حد كبير التخدير العام ، وبهذا يمكن اجراء العملية دون استخدام ادوية تخدير • وقد كانت بحوث هلكارد الحديثة (تفضل رأيا انشطاريا بتحليل التخدير التنويمي) مقنعة • حيث وجد في هذه التجارب عدم شعور جزء من الشخصية بالالم ، بينما يشعر به الجزء الاخر ــ يكون كشعور مصاحب (كمراقب مختفٍ) ــ ويعبر عن قوة الالم عن طريق الكتابة اللاارادية (وسوف تتناول هذه التجارب بشكل تفصيلي لاحقا) •

لابد لنا ان نأخذ بنظر الاعتبار ظاهرة اخرى مهمة هي ظاهرة الايحاء بعد التنويم Post-hypnotic Suggestion التي لعبت دورا مهما في التغيير الحاصل بالخواص في تجربة السيد بلانك • حيث اعطي الشخص عندما

كان منوما تعليمات معينة ، تتضمن قيامه بعمل معين بعد ان يرى اشارة معينة .
وقد شاركت في جزء من هذه التجارب حيث طلب من الشخص ان يذهب الى آلة البيان ويعزف النشيد الوطني حالما يرى الشخص الفاحص يستخرج منديلا من جيبه . وقد اتبع الشخص هذه التعليمات بدقة رغم انه كان ناسيا انه تلقى هذه التعليمات في عملية التنويم المغناطيسي . وهناك أمر مهم وشيق في هذه الحالات ، وهو تناسي الشخص المنوم عند استيقاظه العمل الذي بلغ به وينشغل باشياء اخرى لحين صدور الاشارة ، وكمال قال وليم جيمس في ان الايحاء « يظهر الى السطح قبل الوقت المحدد بقليل » . لقد اعتبر جيمس الايحاء بعد التنويم عبارة عن انتاج تجريبي للحالات الاخرى للشخصية . وقال ان الوعي الذي يتلقى ويحتفظ بهذه المعلومات «ينشطر عن بقية ذهن الشخص» . واشار الى الباحثين الذين حاولوا التطرق الى هذه الحالة الثانية من الشخصية عن طريق اللويحة الروحية[1] وكان اشهرهم كورني Gurney عندما قال :
يفصح الاشخاص الجيدون بالتنويم المغناطيسي وفي الكتابة اللاارادية عن طريق هذه اللويحة بالكثير من المعلومات عن فترة ما بعد التنويم المغناطيسي كما أن من الممكن ان تفرغ هذه المعلومات عن طريق الاستجواب في الفترة التي تسبق الصحوة النهائية من حالات التنويم المغناطيسي بالرغم من وجود حالة فقدان الذاكـرة .

لقد استخدم معظم الباحثين طريقة التنويم المغناطيسي كطريقة للحصول على معلومات لا يستطيع الشخص الادلاء بها في حالة وعيه التام .

لقد استخدم وليم ماكدوكيل التنويم المغناطيسي في الحرب العالمية الاولى. حيث عالج العصاب وبعض حالات الحرب الطارئة والتي تكون هستيرية في اساسها اكثر من كونها عضوية ، كفقدان الذاكرة والعمى والصم والتي يتـم

---

(1) اللويحة Planchette لوحة صغيرة قائمة على عجلتين وقلم عمودي يعتقد انها تكتب آلياً عند لمسها الاصابع . (المعرب)

الشخصية ويقوم بسلوك غير طبيعي وقد يكون ضد ماهواجتماعي ثم تعقبه حالة
لقد اكتشف ولبرك Wolberg اخيرا (آريتي Ariete عام ١٩٧٥ م)
امكانية دخول مرضى الهستريا في حالة من النشوة في جلسات التنويم
المغناطيسي كما قد تحدث حالات الهيام التي يسيطر فيها جزء من اجزاء
الشخصية ويقوم بسلوك غير طبيعي وقد يكون ضد اجتماعي ثم تعقبه حالة
من حالات فقدان الذاكرة . وكما قالها وليبرك : قد يستطيع الشخص « أن
يحفز اجزاء الشخصية التي انشطرت عن المجرى العام للشخصية الرئيسية » .

وقد نجد العكس في حالات الهيام المنتجة صناعيا ، التي قد تميط اللثام
عن شخصية اكثر طبيعية من شخصية الفرد الحقيقية .

لقد قدم جانيه نفسه في عام ١٩٠٧ م حالة مارسلين Marceline
التي ادخلت الى المستشفى في حالة من الوهن والاعياء الشديد نصنفها اليوم
ضمن حالات القهم او اباء الطعام Anorexia Nervosa حيث كانت لا
تستطيع تناول الطعام مطلقا ، وهي في حالة نحول شديد ، واذا حاولت تناول
الطعام تتقيأ . وكان نظرها وسمعها رديئين جدا . كما كانت لا تحس بالالم
في معظم مناطق جسمها ، وغير قادرة على التبول بصورة طبيعية . وقال جانييه
معقبا « الشيء الوحيد الذي يجعلنا نؤمن بأنها حية هو عملية التنفس » .
فحاول معها جانييه العلاج بالتنويم المغناطيسي . وقد تقبلت الشخصية المنومة
الطعام تتقيأ . وكان نظرها وسمعها رديئين جدا . كما كانت لا تحس بالالم
استطاعت ان تستعيد جزءا من قوتها بعد سلسلة من جلسات التنويم المغناطيسي
وكانت لا تتذكر شيئا عن ما يجري في جلسات التنويم المغناطيسي ، وعندما
تستيقظ ترجع الى شخصيتها الاعتيادية (غير قادرة على التحرك ، سادرة ،
شبه عمياء ولا تستطيع التبول) .

وقد رأها ابواها يوما وهي منومة فاقتنعا بشفائها واخذاها الى
المنزل ، وعندما استيقظت من التنويم رجعت الى حالتها الاولى

فأعاداها الى بيير جانييه • الذي قرر أن يرجعها الى حالتها « الصناعيـة » واستمرت هذه الحالة تحت علاج جانييه خمسة عشر عاما • وكانت مارسلين تتردد الى جانييه الذي ينومها ويدعها تعود الى شخصيتها الثانية الواعيـة والمتفاعلة مع المحيط • (لقد ماتت هذه المريضة بعد ذلك متأثرة بمرض التدرن)

وقد اطلعت شخصيا على حالة من هذا النوع ، كان مصيرها اسعد من الاولى • حيث ذهبت المريضة الى أحد الاطباء النفسانيين الذين اعرفهم بحالة من الصمم الهستيري ، وكان سمعها طبيعيا بعد تنويمها مغناطيسيا وقد ارتكب الطبيب النفساني خطأ بعد أن بعثها الى البيت وهي في حالة تنويم وبدأ يفكر : ان هذه الشخصية الثانية اكفأ كثيرا من الشخصية الاعتيادية في مواجهة الحياة• ثم تقدم بالعلاج كي يحل الثانية محل الاولى ثم شرح القضية مع المريضة مبينا لها انه غير ضروري في العملية مشيرا الى انها تستطيع ان تفعل ذلك باتبـاع التنويم المغناطيسي الذاتي antohypnosis كي تستطيع ان ترجع سمعها بأن تضع نفسها في الشخصية التنويمية • فاشتغلت عملا جزئيا استطاعت فيه ان تبقى صباحا في البيت كي تعود نفسها على الحالة التي تسمع فيها جيدا • وقد استطاع بتأثير العلاج ان يحـل الشخصية الثانية المنومـة الاكثر صحة من الشخصية الاولى المضطربة • وكانت النتائج مشجعة •

كما قد تتضمن جلسة التنويم في احيان كثيرة عرض اخيلـة سلبية او ايجابية • حيث يدرك المريض في الاخيلة الايجابية شيئا غير موجود في المكان • اما في الاخيلة السلبية فيفشل المريض في ادراك جزء من المحيط الموجود •

حيث استعمل ايركسون Erikson جهازا طنانا[1] للمساعدة في انتاج حالة التنويم • وقد اخبر الشخصان انهما اصمان ، فلم يعودا يسمعان الطنان ولم يسمعاه الا عندما رفع الصمم التنويمي • وقد يعطي الشـخص في احيان كثيرة ايحاءا خاطئا على أن أحد الحاضرين قد غادر الغرفة •

فيستجيب الشخص لهذا الايحاء ويعامل الشخص على انه غير موجود • وتبدو مثل هذه الظواهر مألوفة في حالات التنويم المغناطيسي التي تجرى امام النظارة • لقد شرح وليم جيمس ظاهرة اخرى تثبت هذه الملاحظة فاذا صنعنا دائرة على ورقة وطلب من الشخص المنوم أن لا يدركها ، فسوف لن يدركها • وبينما نبقي الشخص غير ناظر للورقة ، ونحيط الدائرة الاولى بدوائر اخرى ، فسوف يؤشرها المنوم واحدة بعد الاخرى • ولكنه يستمر في اهمال الدائرة الاولى بينما يبقى قادرا على تمييز الدائرة الاولى بدقة كبيرة عن الدوائر الاخرى • وبينما تضاف هذه الدوائر الى الورقة ، يدرك هو بطريقة او باخرى ويميزها كي يعرف ايها يجب عليه اهمالها •

لقد استقطبت هذه الانماط السلوكية المتناقضة اهتمام العديد من الباحثين وكانت محور تجارب كثيرة في حقل الاخيلة السلبية • وسوف تتناول هنا الموضوع مع اشارة خاصة الى تجربة ماكدوكيل « الطوابع الخمسة » التي أبهرتني كأمتع وأعقد بحث محرض للفكر في حقل علم النفس على مدى العصور •

الفصـــل التاســـع

النـــوام وتجـــربـــة الطـــوابع الخمســـة

Hypnosis and the "Five stamps" Experiment

« لا يمكن أن يفسر التناقض بين رؤية الطوابع وعـــدم رؤيتها ، الا بافتراض الشخص كشخصية مقسمة ، يرى أحد أجزائها الطابعين ويمنع بقيـــة الاجزاء من رؤيتهما » •

ـــ وليم ماكدوكيل ـــ

قلا نلاحظ ظاهرة الأخيلة السلبية في التجارب التي اجـراها ستينبرك Stenberg عام ١٩٥٦ م على غاز اوكسيد النتروز (الغاز المضحك) Nitrous oxide حيث ذكر أحد الخاضعين لهذه التجارب ، حادثة اختفاء المنضدة فجأة فبقيت الورقة والقلم في الهواء • ثم ذكر فيما بعد اختفاء الجزء العلوي من جسم الرجل الذي كان يقف في الغرفة ، وبقيت ساقاه فقط ، كما استطاع أن يرى الحائط الذي كان وراء جسم ذلك الرجل بوضوح • وعلى العموم ، تعتبر ظاهرة الاخيلة السلبية كحالة نادرة في حالات خارجه عن نطاق التنويم المغناطيسي • فقد يفشل الشخص غالبا في ادراك شخص ما موجود في الغرفة تحت تأثير الايحاء كما لاحظنا أن الشخص قد يبدي استعدادا للادراك يجعله يتجاهل الشيء الذي يريد الآ يدركه •

وقد درس العالم مارتن ظاهرة السلوك المتناقض هذه عام ١٦٩٢ م مقارنا الاشخاص المنومين مع اشخاص طلب منهم ان يسلكوا سلوك المنومين فلاحظ اختلافا بينا في سلوكهم لقد اعطي هؤلاء الاشخاص اخيلة سلبية لكرسي في الغرفة ، فاصطدم الاشخاص غير المنومين بالكرسي مفترضين انهم لا يرونه ، بعكس الاشخاص المنومين الذين استطاعوا ، اجتيازه وتحاشيه ••

وقد ذكروا فيما بعد انهم لم يروا الكرسي •• لكنهم رأوا مكانا فارغا ،، وقد وصف أحد الاشخاص المنومين هذا المكان بأنه اكثر فراغا نوعا ما مـن الفراغات الاخرى وقد استنتج اورن من هذه التجـارب مقدرة الاشـخاص المنومين على ادراك وعدم ادراك الكرسي في نفس الوقت • فهم شاعرون به في بعض مستويات الوعي فقط• وقد تؤدي بنا مثل هذه التجارب الى الدخول في عالم مدهش من التناقضات • وتبدأ القصة في عام ١٩٢٦ م عندما قدم وليم ماكدوكيل William MacDongall تجربته المسماة تجربة الطوابع الخمسة **Five stamps Experiment**

حيث وضع ماكدوكيل خمسة طوابع غير مستعملة من نوع واحد امام شخص منوم مغناطيسيا • ثم اشار الى طابعين وقال انهما سوف يختفيان عندما ينظر الشخص مرة ثانية اليهما • وسأل الشخص أن يشير الى الطوابع التي يراها مرة ثانية فأشار الى الثلاثة التالية متجاهلا الاثنين المؤشرين • ثم حجب ماكدوكيل الرؤية عن الشخص وبدل موضع الطوابع ، ثم سأله أن يبين الطوابع التي يراها ، فأيها سوف يراه الشخص هذه المرة ؟ هل سوف يستجيب للموقع فقط ؟ بأن يهمل الطوابع التي احتلت موقع الطابعين المشار اليهما سابقا • ام انه سوف يهمل الطابعين السابقين عينهما رغم تغيير موقعهما ؟ لقد ذكر ماكدوكيل استمرار الشخص على اهمال الطابعين السابقين رغم تغيير موقعهما • وهذا يعني أن هذين الطابعين لا يدركان بطريقة معينة فقط وانما يميزان عن البقية ايضا • فاذا لم يدركهما الشخص فكيف يؤشرهما كي يهملهما ؟ وقد استمر الشخص في اهمال هذين الطابعين وعدم ادراكهما بعد يقظته من التنويم فاستعمل ماكدوكيل اصبع الشخص في تلمس حافتهما فاستطاع الشخص بعد هذه العملية ان يراهما كظلال اولا ثم بكامل الوانهما فيما بعد • وقد فسر ماكدوكيل تجربته هذه بمبدأ الانشطار فقال : اننا لا يمكن ان نتكلم عن الشخص بـ (ب) فقط كشخصية متكاملة • ولكنه عبارة عن ب١ ، ب٢ ، ويمثل كل منهما قسما وظيفيا منفصلا •

وبعد مضي ثلاثين عاما على التجربة الاولى •• استهوتنا اعادتها (انا وهنري تون Henry Tonn) وقد اعدناها في عام ١٩٦٧ م • بعد اجراء بعض التعديلات حيث اشتمل اهتمامنا الاخيلة الايجابية والسلبية على حد سواء • وقد استخدمنا في هذه التجربة طالبين جامعيين امريكيين عمر كل منهما ٢٠ عاما ومعدل ذكائهما فوق المتوسط • واستخدمنا خمسة طوابع متداولة من نفس النوع تحمل جميعها صورة جورج واشنطون وسوف اتكلم عن استجابتهما بعد تغيير موقع الطوابع فقط ، كي نستطيع توضيح استجابة

الشكل رغم تغيير الموقع حيث لم نكن مهتمين بسلوك الاشخاص في عملية التنويم المغناطيسي عموما ، بقدر ما كنا مهتمين بامكانية واعادة وتطوير تجربة ماكدوكيل . حيث تتضمن هذه العملية جهازين مختلفين للادراك في الشخص الواحد . الاول يدرك الاشياء حسيا والثاني يفشل ان يدرك حسيا . وقد فشلنا في اعادة تجربة ماكدوكيل مع الشخص الاول حيث استجاب للموقع فقط ورأى الطابعين اللذين سبق له عدم رؤيتهما عندما تغير موقعهما . فحاولنا عرض اشياء اخرى اسهل تمييزا كعلب السكائر وقطع الشطرنج والنقود . وقد استخدمنا في تجربة النقود عملة السنت وكانت القطعتان المؤشرتان اكثر بريقا ولمعانا من الاخريات وتبدو مختلفة تماما ،فاستطعنا ان نحصل على اخيلة سلبية.

كان الاهتمام الاساسي بتجربتنا الاولى هي فترة ما بعد التنويم ، حيث عانى الفرد بعد استيقاظه من صعوبة كبيرة في رؤية هاتين القطعتين . فأخذنا القطعتين وألقيناهما أرضا فسمع الشخص صوت ارتطامهما بالارض لكنه لم يراهما . ثم بدأنا تحريك القطعتين حوله .. فسأل «هل تتمتعان بتحريك الاشياء الفارغة ؟ ووضعنا اصبع الشخص فوق احدى القطعتين ـ لكنه لم يكن كما في تجربة ماكدوكيل ـ فحتى اللمس كان غير كاف له .. حيث قال « شيء يلتصق ولكن لا يوجد شيء ... أنه مجرد فراغ » واخيرا وبعد جهد جهيد ، استطعنا أن نعيد له قابلية نظر وتمييز هاتين القطعتين . وقد دهش الفرد « حيث استطاع ان يراهما تدريجيا .. فظهرت مشوشة اولا ثم بدأت تتضح » . ولم نستطع ان نحصل على معلومات من الشخص اثناء التجربة لاننا اوحينا له بفترة فقدان الذاكرة التي تعقب التنويم .

وحاولنا في التجربة الثانية ، ان نعلم الفرد الظواهر الاسهل ثم الاصعب كي يستطيع تمييز الاشياء . واستطعنا ان نعلمه كيف يتذكر بدقة كل ما حصل لـه .

العرض الاول :ـ

أستخدمت فيه خمس قطع نقدية فئة سنت •• ثلاث منها قاتمة واثنتان اخيلة سلبية للبيدقين فاستمر عدم ادراكهما حتى بعد تبديل مواقعهما ، كما استمرت عدم رؤيتهما حتى بعد التنويم •

العرض الثاني :ـ

أستخدمت فيه خمس قطع نقدية فئة سنت •• ثلاث منها قائمة واثنتان لماعتان ومتميزتان وقد اســتمر الاشــخاص في عدم ادراكهم لهاتين القطعتين رغم تغيير مواقعهما ، وهذا يعني أن اخيلة سلبية قد أنتجت •

العرض الثالث :ـ

استخدمت فيه اوراق لعب ، ثلاث سوداء واثنتان حمراوان وقد استمر الافراد في عدم ادراكهما للاوراق الحمراء رغم تغيير مواقعهما وهذا يعني ان ظاهرة الاخيلة السلبية قد انتجت أيضا •

العرض الرابع :ـ

عدنا الى تجربة الطوابع التي تحمل صورة جورج واشنطون فأشرنـا الطابعين المعنيين باوراق صغيرة بيضاء في احدى جهاتها • فحصلت ظاهرة الاخيلة السلبية حتى بعد تغيير موقع الطابعين •

العرض الخامس :ـ

عدنا الى تجربة ماكدوكيل الاصلية ، حيث استخدمنا الطوابع الخمسة دون اوراق بيضاء •• ففشل الاشخاص في اهمالهما بعد تغيير مواقعها • فكان الشخص يهمل الطابعين اللذين يحتلان نفس الموقع •

العرض السادس :ـ

قررنا اجراء بعض التعديلات في هذه المرحلة .. فحاولنا ان ننتج اخيلة ايجابية اضافة الى الاخيلة السلبية . فاستخدمنا اوراق اللعب ثانية . حيث وضعنا الورقتين الحمراوين في الموقعين الاول والثاني ، وتركنا المواقع الثالث والرابع والخامس خالية . ثم طلبنا من الشخص أن يبين الاوراق التي يراها. فأشار الشخص الى الموقع الثالث والرابع والخامس وقد استطاع بعبـارة اخرى أن يؤشر الاماكن الثلاثة الخالية من الاوراق .

كما سمى هذه الاوراق بأسمائها الصحيحة التي سبق له ان رآها في المرة السابقة . واهمل الورقتين الحمراوين اللتين كانتا موجودتين فعلا . وقد اعدنا هذا العرض وحصلنا على نفس النتيجة .

العرض السابع :ـ

بدأنا بعرض خمس قطع نقدية معها الاثنتان البراقتان ثم اضفنا صفا آخر من القطع النقدية الخمس تحت الصف الاول ، ثم صفا ثالثا . وكانـت النتائج تتكرر في كل مرة . حيث رأى الشخص في المرة الاولى ثلاث قطع وفي المرة الثانية ثمان قطع وفي المرة الثالثة ثلاث عشرة قطعة واستمر في عدم رؤيته للقطعتين البراقتين رغم اضافة القطع الجديدة التي لم تستخدم سابقا . وكان الغرض من عرضنا هذا ، لارضاء انفسنا بأن رؤية القطعتين حاصلة لاجل عدم رؤيتهما . حيث انه لم ولن يقدر التمييز بمجرد ادراك القطع الباقية (والتـي اضيفت اليها قطع جديدة) . وبعد هذا التدريب عدنا الى تجربة الطوابـع الخمسة .

العرض الثامن :ــ

وهو الجزء الحاسم من التجربة . حيث عرضت على الشخص خمسة طوابع بدون فروق واضحة (ما عدا فروق بسيطة في التثقيب الذي حولها) تصلح لتمييزها . وطلب منه ان ينظر اليها بدقة . ثم عزلت الطوابع التي في الموقع الثالث والخامس.وبعد أن منع الشخص من رؤية الطوابع غيرنا موقعي الطابعين المعزولين الى الموقع الاول والرابع . وقد استطاع الشخص عدم ادراكهما في الموقعين الجديدين ،حيث اشار الى المواقع الثاني والثالث والخامس مهملا الطابعين المعزولين في مكانيهما الجديدين الاول والرابع..وهكذا استطعنا هنا ان نعيد تجربة ماكدوكيل رغم احتياجنا الى فترة تدريب على التمييز . ثم اعدنا التجربة في الحال ، ورغم اننا حصلنا فيهذه المرة على تنائجايجابية جزئية، اذ استجاب الشخص لاحد الطوابع بالموقع واستجاب للاخر باهماله في مكانه الجديد ، وقد تمخضت الاعادة الثالثة عن فشل الشخص في اهمال الطابعين في موقعهما الجديد ، حيث استجاب الفرد للموقع الاول فقط . لكننا حصلنا على استجابة كاملة في عرض آخر حيث استطاع الشخص اهمال الطابعين في موقعهما الجديد .

العرض التاسع :ــ

لقد درسنا استجابة الفرد الايجابية بمنتهى التفصيل . وتضمنت هذه العملية انجاز واجبات صعبة ومعقدة . (وتجدر الاشارة هنا الى اننا استخدمنا في العرض الثامن وما تلاه من عروض نفس الطوابع الصعبة ، مع عزل طابعين مختلفين في كل مرة) وهنا تقدمنا لاضافة الاخيلة السلبية الى الاخيلة الايجابية

١ ــ وضعنا الطابعين المعزولين في الموقعين الاول والخامس ، وبقية الطوابع في المواقع الثاني والثالث والرابع . ورفعنا الطوابع الثاني والثالث والرابع ، وسألنا الشخص ان يحدد الطوابع التي يراها . فأشار الى المواقع الثلاثة الخالية مهملا الطابعين الموجودين في الموقعين الاول والخامس .

٢ ــ وضعنا الطابعين المعزولين في الموقع الاول والخامس • واعدنا العرض بابقاء الطابع المعزول في الموقع الاول ، ووضع الطابع غير المعزول في الموقع الخامس • وتركنا الاماكن الثاني والثالث والرابع خالية فرأى الشخص الرابع الذي يحتل الموقع الخامس (والذي كان مشغولا سابقا بطابع معزول) واشار الى الاماكن الخالية واهمل الطابع الموجود في الموقع الاول •

٣ ــ وضعنا الطابعين المعزولين في الموقع الاول والثالث ووضعنا طابعا آخر في الموقع الخامس فاشار الشخص الى المواقع الثاني والرابع والخامس •

٤ ــ وضعنا الطوابع المعزولة في الموقعين الرابع والخامس وطابع آخر في الموقع الاول • فأشار الشخص الى الموقع الاول والمواقع الخالية في الثاني والثالث واهمل الرابع والخامس •

لقد كانت أستجابات الشخص الخارجية في تجربتنا هذه مدهشة حيث اثبت قابليته على ممارسة الاخيلة بصورة صحيحة منفذا الاخيلة السلبية والايجابية بدقة • وقد تتبع التبديل المستمر والمعقد للحافز بدقة (وقد حدثت ثلاثة انواع من الاستجابات :

الاول : الطوابع التي يراها الفاحص يراها الشخص ، ثم الطوابع التي لا يراها الفاحص يراها الشخص ثم الطوابع التي يراها الفاحص لا يراها الشخص• وكانت قابليته في التمييز كبيرة جدا •

وتحظى تجربة الشخص الذاتية وتقريره عن حالته الداخلية اثناء التنويم باهتمام واسع ، حيث تؤخذ هذه المعلومات من الشخص بعد ايقاظه من عملية التنويم المغناطيسي ، وقد اعطى جميع الاشخاص دليلا واضحا على انهم لم يروا الطوابع اثناء نومهم ، ما عدا استثناء ممتعا واحدا حدث في العرض الثامن عندما اعطى الشخص استجابة ممزوجة باخيلة سلبية وايجابية ، حيث قال « كنت اظن انني ابدو خاطئا » واضاف « كان هناك طابع يكمن في ذهني لكنه لم يكن

موجودا في الواقع •• وكان يبدو غير موجود هناك حيث رفعته انت لكنه بقي موجودا •• والبقية كانت واضحة بعد ذلك •• حيث رفعتهم من هناك لكنهم بقوا موجودين « ويمكن ان نضيف هنا اننا لم نرفع الطوابع المعزولة ابدا من المشهد • وكانت الاستجابة « على أن الطوابع قد رفعت » هي استجابة العزل فقط • وكان الجزء الاول من التجربة (التدريبي) قد انتج اخيلة سلبية مشابهة• ففي العرض الثالث على سبيل المثال استطاع الشخص ان يسمي الاوراق بصورة صحيحة •

« اخبرتني أن الاوراق الديناريه قدذهبت وأنا ارى الظلال ، لقد رفعتهما بعيدا » وقال في عرض القطع النقدية (ان الاماكن التي كانت فيها القطع اللماعة اصبحت خاوية) وبعد العرض الثاني قال « ان الاماكن غير ممتلئة ، ولكنها اماكن خالية » وهذه الاماكن الخالية هي الاماكن التي احتلتها القطع المعزولة • وقد دل استبيان الاشخاص بعد عملية التنويم دلالة واضحة على ماكنا نتوقعه من سلوك هؤلاء الاشخاص اثناء العملية • حيث كان المرافق الذاتي للايحاء بالاخيلة السلبية أما «مكانا فارغا» او «ان الفاحص قد رفع الاشياء من المكان»•

لقد كتب ماكدوكيل شارحا التجربة الاصيلة • « يستطيع أي شخص اعتيادي ان يميز واحدا او اثنين من الطوابع عن بقية الطوابع » وهذا ما حدث فعلا بتجربتنا مع الشخص المنوم • وقد علق المنوم تلقائيا على ان الطوابع المعزولة كانت تختلف في كل مرة عن الاخرى ، وهذا ما يتفق مع تجربتنا • نحضر طوابع مختلفة قمنا برفع الاوراق من حوافي هذه الطوابع المعزولة ، وقد عزلنا من الطوابع الخمسة طابعين مختلفين في كل مرة ، مع وجود قاعدة بسيطة للعزل هي الاختلاف البسيط في تثقيب الحوافي •• وقد شرح الشخص كيفية تمييزه للطوابع بطريقة قصها من الورقة الاصيلة حيث قال ان للاول حافة مستديرة وللثاني زائدة عند حافته وللثالث قاعدة مربعة • وقد قال ماكدوكيل

يستطيع أي شخص (غير منوم) ان يجرى مثل هذه التفريقات • وقد وافق هنرى تون على اجراء تجربة تبحث مقولة ماكدوكيل ، وقد اجرينا هذه التجربة في جامعة مكسيكو الجديدة •

لقد استخدمنا في تجربتنا هذه اشخاصا غير منومين ، واستخدمنا طوابع صعبة كالتي استخدمناها في تجربة الاشخاص المنومين واقول بصراحة انني لا استطيع شخصيا ان اميز بين تلك الطوابع وتحتاج هذه الطوابع كما في طوابع التجربة الاصلية (ذات الخمس سنتات وعليها صورة جورج واشنطون) الى ملاحظة دقيقة كي نستطيع تمييزها • وقد سئل الاشخاص المتكونون من خمسة طلاب ذكور اعمارهم بين ١٩ ــ ٢٠ سنة وفتاة واحدة عمرها ثماني عشرة سنة، ان يراقبوا الطوابع بدقة دون تنويم ثم تبع ذلك التجربة الحقيقية • حيث طلب من الاشخاص تعيين الاماكن الفارغة المشغولة بالطوابع المعزولة • وقد استطاع الاشخاص في مرتين من مجموع عشرين مرة تمييز الطوابع الصحيحة ، وقد اعقبت هاتين المحاولتين الناجحتين محاولتان فاشلتان • مما يدل على أن هاتين المحاولتين اعتمدتا على الصدفة • وان استبيان اشخاص المقارنة ممتع للغاية ، فقد امتنع شخص عن التصديق بامكانية تمييز هذه الطوابع بعضها عن بعض • كما لم يحاول الاخر ببساطة ، واستطاع ثالث تمييزها لكنه لم يستطيع تمييزها عندما غيرت مواقعها • وقد قال اربعة اشخاص انهم استطاعوا تمييز الطوابع لكنهم لا يستطيعون ان يحددوا الدوافع التي جعلتهم يميزون بينها ويشبه هذا الاداء ما قام به الاشخاص المنومون في تجربتنا الاصلية الثانية • وقد تمنى احد الاشخاص ان يؤدي دراسته بنفس قوة التركيز التي استطاع وهو منوم ان يستخدمها لتمييز الطوابع الخمسة •

وتؤيد دراستنا هذه كما ايدت دراسة ماكدوكيل الاصلية الرأي الانشطاري لحالات التنويم المغناطيسي • ولعل من الجدير بالذكر القول اننا غير مهتمين وليس لدينا علاقة بطريقة تفكير الفرد في عملية التنويم المغناطيسي فالفروق

الفردية في قابلية التنويم المغناطيسي معروفة لدى الجميع ، وقد درست بصورة مفصلة ، كما ينحصر اهتمامنا في معرفة ما اذا كنا نستطيع ان ننوم الفرد الى درجة من العمق تجعله قادرا على اعادة تجربة ماكدوكيل الاصليـة وبعبارة اخرى : فيما اذا كان ممكنا ، ان نبين احتواء الفرد على جزئي شخصية منفصلين؟ وهذا ما يمكننا عمله ولكن بعد فترة من التدريب ، وفي حالتنا هذه كما في حالة ماكدوكيل كان من الضروري على جزء من الشخصية ان يرى ويميز ، حتى يتمكن الجزء الاخر من التمييز « عدم الرؤية » ان الجهاز الادراكي الحسي « س ١ » قد ادرك : والجهاز الادراكي الحسي « س ٢ » لم يدرك • كما تؤيد الظواهر الاضافية من الاخيلة الموجبـة والسالبـة وطرقها ، التعليل الانشطاري لهذه الظواهر وقد شرحنا الظواهر الاخرى للتجربة ، والتي لها علاقة بالطريقة والتعليل في اماكن اخرى (ماكليروتون عام ١٩٦٧ ، ماكلـير ١٩٦٨) •

تتضمن تجربة ماكدوكيل واعادتنا لها الادراك الحسي البصري • ولقد اجريت في السـنوات الاخيرة بعض التجارب الموازية الاهمية التي قام بها ى ، ر ، هلكرد E.R. Hilgard واهمها التجارب التي تتناول حس الالم • وقد اشار العالم الكندي دونالد هيب الى هذه التجارب في مسحه النفسي الذي قام به فقال « انها اهم تيار متطور في علم النفس حيث تمتلك اهمية قصوى في فهم الذهن الذي يصعب ادراك كنهه » •

وتمثل تجربة هلكارد « المراقب المختفي Hidden observer النظير لتجربة ماكدوكيل « الطوابع الخمسة » حيث انهما يتناولان جزئـين ادراكيين مختلفين من الشخصية • كما يمثلان النظير للحالة الذاتية التي تدعى الشعور المصاحب Co-consciousness ولعل من المفيد ان نتذكر اننا لو اخذنا استبيان الشعور المصاحب لسالي بيجامب مأخذ الجد • لعرفنا الكثير

عن الحياة الحلمية والاحلام عدة سنوات قبل كيلتمان Kleitman ولحسن الحظ (وكما قال هيب في تقويمه) ان العالم العلمي يصغي اليوم اصغاءا جيدا الى هلكارد .

لقد تطرق هلكارد نفسه عند حديثه عن الاستخدامات الجراحية للتنويم المغناطيسي الى اعمال دوراندى كروس Durand de Gros الاولى في عام ١٨٦٨ م ونظريته القائلة (بتعدد طبقات الشعور
Multiple layer of consciousness

فرغم عدم احساس المريض بالالم اثناء العمليات الجراحية فانه يعاني من الالم في احد اجزاء شخصيته Subego وقد يحصل التخدير الذاتي في مرضى الهستريا بدون تنويم كما هو معروف .

لقد كتب وليم جيمس عن مثل هؤلاء المرضى قائلا : « ان الحس في هذه الاجزاء المخدرة موجود ، لكنه موجود كشعور مصاحب » واضاف ان جزء الشخصية هذا «مسْتعَد لان يضرب ويخرج الى حيز الوعي بطرق غريبة وكثيرة» (جميس ١٨٩٠ م) . لقد اجرى كابلان Kaplan سنة ١٩٦٠ م تجربة تعطي دليلا دامغا على صحة هذه النظرة .. حيث اخبر شخصا بعد التنويم ان يده اليسرى اصبحت لا تحس الالم وأن يده اليمنى ستمارس الكتابة اللاارادية المستمرة . وقد وخزت اليد اليسرى بابرة فكتبت اليد اليمنى « لا تمارس هذا يااوك ، انك تؤلمني » وبعد ذلك بعدة دقائق وجه للشخص القائم بالتجربة سؤالا « متى ستبدأ بالتجربة ؟ » وقد علل كابلان هذه الحوادث المتناقضة كما فعل دى كروس في افتراضه لوجود طبقات الشعور ، فالشخص يشعر بالالم بطريقة او باخرى ويعبر هذا الشعور المصاحب عن نفسه عن طريق الكتابة اللاارادية .

وقد درس هلكارد هذه الظاهرة بين عامي ١٩٧٣ ـــ ١٩٧٥ م بالتفصيل. فقد انتج في سلسلة من التجارب الما في يد مريض بعد ان غطسها بالماء • ولم يعرب أي من هؤلاء الاشخاص عن الالم بطريقة مباشرة • حيث كان هلكرد قد بنى في اشخاصه « مراقبا مختفيا » • حيث ينشطر هذا الجزء من الشخصية عن الوعي ويعبر عن الالم عن طريق الكتابة اللاارادية •

وهو يعطي تقريرا عن مقدار الالم الكمي كما بينا سابقا ونلاحظ هنـــا مرة اخرى التناظر الكبير بين ما يحصل تلقائيا في الهستريا وهذه الحالة الصناعية حيث يحس المريض بالالم في الهستريا ولا يحسه • وقد شاع استخدام اختبار « قل نعم عندما تشعر ولا عندما لا تشعر » في حالات تخدير الهستريا • وتدل كل استجابة بـ « لا » على التناقض كما في تجربة كابلان وتجربة هلكارد •

وقد اشار هلكارد الى « الانشطار بين ادراكين » في تعليله للنتائج التي توصل اليها من خلال تجربته • ففي التجربة يحس « الادراك أ » بالالم ويعبر عنه من خلال الكتابة اللاارادية « للمراقب المختفي » •

بينما يفشل « الادراك ب » في حس الالم • ويعمل المراقب المختفي في هذه الحالات الدور الذي لعبته سالي كشعور مصاحب يعرف كل تفصيلات الاحداث والوقائع • وكما رأينا سابقا ، لا تفرح ولا تغبط كل الشخصيات الاساسية بمعرفة شعورها المصاحب الذي يكمن فيها •

وقد سأل هلكرد اشخاصه عن ذلك وكانت ردود فعلهم مختلفة فقـــد امتعض احدهم من « المراقب المختفي » الذي كان ينظر باستعلاء وسخريـــة للاعمال التي يقوم بها الفرد مخادعا نفسه • كما كان اخر راضيا لانه يمتلك انجيلا « حارسا » له لحمايته من الفشل في تقويم المعلومات بصورة صحيحة • ومن المهم أن نذكر هنا ملاحظة هلكرد التي تضمنت عدم اعتبـــار « المراقب

المختفي » كدلالة على النكوص او الاداء الفكري الاقل من الطبيعي فهو يستخدم نفس قابلية الفرد الفكرية واللغوية كما اثبت انه يستطيع ان يحسب مقدار الالم الكمي بصورة كاملة •

لقد امتلك هلكارد نظرة جديدة من خلال تجاربه هذه وتجاربه الاخرى العديدة في هذا المجال عن ظاهرة التنويم • كما ان دعوته من اجل نظرة جديدة الى الانشطار تستحق التقدير • لقد كان هلكرد حذرا من كلا نظرتي سريعي التصديق ورأي تمثيل الادوار • كما ان اشخاصه ـ كشعور مختفٍ ـ يؤيدون نظرته الانشطارية عن التنويم المغناطيسي وكما عبر احدهم « هناك ، نفسي الاولى ، نفسي الثانية ، ونفسي الثالثة » نفسي الاولى عندما أنوم ، ونفسي الثانية عندما أنوم والاحظ ونفسي الثالثة عندما أستيقظ (هلكارد ١٩٧٧ م) • وهذه هي النقطة الاساسية التي توضح نظرة جيمس وماكدوكيل عن الانشطار التنويمي • وقد قال هلكرد نفسه ان الانشطار او على الاقل الانشطار الحديث له استخدامات كثيرة في علم النفس عموما • وقد صرح كما فعل من قبله مورتن برنس وكما فعلت انا في هذا الكتاب ، على ان هناك أنواعا بسيطة في الانشطار تساعدنا في تعميق فهمنا للشخصية الانسانية الطبيعية •

الفصـــل العـاشـر

عـودة الـى الانشـطار
Dissociation Revisited

لقد اهملت ونسيت نظريـة الانشطار دون أن تتعرض لنقد شاف ، بعكس موضوعات علم النفس الاخرى التـي كان لها يومها ثم أهملت ثم عادت من جديـد .

ي ، ر ، هلكرد

قد تعطينا نظرية الانشطار المهملة التفسير العصري للكثير من الظواهر النفسية • حيث تفترض الابحاث في هذا المجال وجـود روابط بين اجهـزة الشخصية الثانوية التي تتخللها حواجز فقدان الذاكرة • وقد تساعدنا هـذه الفرضية في ايجاد تصنيف معقد للسلوك النفسي الذي كان محور اهتمامنـا دائما • وقد اهمل التيار الرئيس في علم النفس هذه الطريقة وطرق تحليلهـا وبالنتيجة اخذ يضخم الفروق بين المرضي والسوي •

وقد نشأ ولعي بالانشطار من دراستي للصور الذهنية ، وخصوصـا التصويرات الذهنية اللاارادية في الاحلام والصور النعاسية • حيث جعلتني صفاتها (استقلاليتها وذاتيتها الملحوظة واصالتها) اؤمن بأنها تحتاج الى فحص انشطاري دقيق • لقد تكلم هلكرد (رائد النظرية الانشطارية) في هذا المجال عن اجهزة الشخصية التحتية Subordinate Systems والتي تكون ملائمة لمختلف الادوار التي لا ترتبط بعضها ببعض • ومن الممكن بنظرة التعرف على هذه الاجهزة المعزولة كأنماط مترابطة نسبيا في السلوك ، ويحتوي كل منها من التعقيد ما يكفي لتمثيل التنظيم الداخلي ويفصل حاجز فقدان الذاكرة بين هذه الاجهزة كما انه يمنع اتحادها • ورغم اننا قد نلاحظ « الامتلاك » الروحي بشخصية غريبة عن الشخص لا تكون حالة فقدان الذاكرة في مثـل هذه الحالات تامة دائما (كما اكد مورتن برنس) •

وقد استطاع هلكرد ان يكشف عن الانشطارت الصغيرة في حياتنا اليومية كالافعال اللاارادية والافكار القسرية •

وقد لاحظنا اهتمام علم النفس التجريبي المتزايد بما يدعى حالة التعود State dependance حيث اجريت العديد من البحـوث والتجارب على الادوية المهلوسة والادوية الاخرى وتأثيراتها •

كما اصبحت دراسة الحالة النفسية المتغيرة عموما ذات اهتمام كبير • كما تقدم علم النفس المجتمعات المقارن Cross-Cultural Psychology

فاهتم بالمقارنة بين طريقة تفكير المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية • وقد رأينا كيف عللت عائلة الفتاة الاسيوية سوزان • المصابة بتعدد الشخصية انها حالة امتلاك الارواح الشريرة لهذه الفتاة • وكيف اختلف هذا التعليل عن تعليل طبيبها النفساني المعالج الذي حاول تجاوز الضغوط الاجتماعية والبحث عن طريق نظرية السبب والمسبب عن تعليل الحوادث الذاتية لهذه الفتاة •

وتوجد اليوم فئة قليلة في اوربا تؤمن بأن العرافة البلورية والكتابة اللاارادية واحلام التجلي عبارة عن ظواهر خارقة لا تمت بصلة الى العلم الطبيعي • لقد اصبحت حالات الهستريا التحويلية التي عالجها كل من شاركو وجانييه وفرويد قليلة الان في اوربا • لكننا اذا تجاوزنا نظرتنا الضيقة الى اوربا ونظرنا الى العالم ككل نلاحظ انها لا زالت شائعة في بقاع كثيرة من العالم • كما ان افول نجم الاديان التقليدية دعا او ساعد على اخذ هذه الظواهر الغامضة بصدر ارحب كما دعا الى مناقشتها علميا ، مما اثر على العالم الغربي بشكل ملحوظ فقد نلاحظ في الامراض النفسية الصعبة اعتقاد بعض المرضى بأن اصواتهم ليست عائدة لهم بقدر ما هي دليل على انهم ممتلكون بأرواح غريبة أخرى • وكلنا يعرف كم هو بسيط علينا أن نفقد التمييز بين الصورة الذهنية والهلاوس الحقيقية تحت تأثير الارهاق الشديد ، النعاس الامتناع الحسي ، والادوية المهلوسة وهناك تدرجات كثيرة للتجارب الذاتية وسوف تتحدد في كل محاولة لتصنيفها بمصطلحاتنا ولغتنا ومفردتنا اللغوية •

لقد استحدث علماء النفس التجريبيون الاهتمام بالظواهر الانشطارية عند تناولهم لحالات التعود • وقد شرحنا حالة التعود عند ما تناولنا ولكى كولنز وروايته مونستون ورأينا كيف تأثر كولنز بأبحاث الدكتور اليوتستون على سير النائم التنويمي في انتاج حبكة قصته • حيث تأخذ لودنام Laudanun زمام الامر وهي جزء من الشخصية الرئيسية فرانكلين بلاك والتي تعاني من

فقدان ذاكرة لاعمال لودنام في اثناء يقظتها وعندما تأخذ لودنام الزمام تظهر الشخصية الثانية . وقد كتب برنارد هارت قائلا « تبدو مختلف الوظائف العقلية مرتبة بأجهزة وظيفية مختلفة عندما تدار عتلة الكير الى طرف من الاطراف » هارت ١٩٣٩ م . وقد فسر كولنز اعمال فرانكلين بلانك بنفس الطريقة عن طريق التفاعل والتجاذب بين جزئي الشخصية مع وجود حاجز فقدان الذاكرة بينهما .

لقد ادخلت الدراسة التجريبية لحالة التعود بعض مشاكلها لدراستها في المختبر . حيث تركز التجربة على السلوك الانشطاري في جهاز الذاكرة تحت تأثير الادوية ، وعندما تناولنا النوم ، اليقظة والحالات النعاسية المقارنة لهما اعطينا أحداثا مشابهة . ويمكننا اعطاء نظير اخر للانشطار : حيث انه يشبه التوقف على محطة اذاعية معينة في راديو ثم الانتقال الى الاخرى التي ستمحو الاولى نهائيا . ويمكننا سماع الاثنين اذا كانت مساحة المحطة في العقرب كبيرة في الحالات النعاسية وفي الحالات الذاتية في الشعور المصاحب كأيف بلاك وسالي بيجامب وفيكى دورسيت ، وكما لاحظنا في تجربة المراقب المختفي كيف استطاع هلكارد ان يستحدث ظواهر مشابهه مختبريا .

وكبديل لنظرية التحليل النفسي : للاوعي ، ربما نجنى بعض الفوائد عن طريق اعطائنا اهمية اكبر لاجهزة الشخصية الثانوية والروابط التي تربطها . كما نلاحظ غالبا حتى في التحليل النفسي عدم تضمن العلاج اعادة كل الذاكرة المفقودة بقدر ما يتضمن اعادة الروابط المفقودة حيث تكون الذاكرة والتصورات الذهنية والدوافع المشتركة واعية وشعورية ، والمهم فيها جميعا علاقتها الواحدة بالاخرى . ويمكننا ملاحظة الادوار المتعاقبة لاجزاء الشخصية في مريض يعاني من ذهان الفصام (شيزوفرينيا) . بينما نلاحظ في الشخصية الطبيعية ان الروابط هي التي تكمن في « اللاوعي » وليس اجزاء الشخصية الحقيقية .

لقد كان معظم الباحثين يؤمنون بأن الهلاوس (الاخيلة) ما هي الا افكار وصور تعرض على الشعور من الخارج (بلوليز ١٩٣٢ م) وقد تكون هذه الهلاوس في بعض الاحيان حميدة وفي احيان اخرى شريرة ومهددة • على عكس مورتن برنس الذي يعتبر الهلاوس عبارة عن ظهور افكار وصور الى حيز الوعي من تيار حياة عقلية اخرى • ويتبع كلا التيارين خطين مستقيمين متوازيين قد يتقاطعان في بعض الاحيان ، وتتوضح عملية التقاطع هذه في حالات تعدد الشخصية • لقد اتت ايف وايت كي تتعالج من الهلاوس كانت ايف بلاك راضية بها • وقد اكدت شخصية B4 في انذارها الموجه الى سالي (في حالة بيجامب) ضرورة ايقاف هذه الصور وعدم عرضها • وقد استطاعت احدى الشخصيات في حالات متعددة ان تبقى يقظة بينما تنام الاخريات وبهذا تستطيع الشخصية اليقظة ان تعرض افكارها على شكل « شعور مصاحب » عن طريق احلام النائم •

وقد نلاحظ اندماج ملحوظ بشكل لا يقبل الشك بين ظواهر الحياة الاعتيادية كالتفكير ومحاولتنا تذكر بعض الحوادث ، صوت الضمير ، الصور الذهنية على سبيل المثال والظواهر التي يمكن تشخيصها كهلاوس • وتكون هذه الحالة شائعة الحدوث خصوصا بما يدعى « بالمرضى النفسيين » وقد لاحظت تحدث الكثير من المرضى وبضمنهم مرضى الشيزوفرينيا عن صورهم النعاسية التي تبدو مشابهة للكثير من الصور النعاسية التي اراها شخصيا والتي يراها الاخرون • وقد يوضح هؤلاء المرضى الذهانيون هذه التجارب النعاسية احيانا كما افعل انا • وقد لاحظت بينما كنت اتحدث الى المرضى ان الاشياء التي رأوها تحدث غالبا في الليل • وقد حدثتني احدى المريضات كمثال من عديدين عن الوجوه الحاقدة والمهددة التي راتها في المستشفى وهي تشبه الى حد بعيد « منظر الوجوه في الظلام » التي غالبا ما نشاهده في تجاربنا النعاسية • وقد اخبرتني في مرة اخرى انها رأت « حيوانا ثدييا شبيها

بالفقمة Walrus ونمرا » جاءا وجلسا فوق سريرها وتحدث مثل هذه التصويرات الذهنية النعاسية في الحياة الاعتيادية غالبا • وليس لدى سبب مقنع في اعتبار هذه الظواهر ذهانية • وقد ذكر زملائي الذين اصبحوا معالجين سريريين انهم غالبا ما سمعوا الكلام عن « الهلاوس » في ملاحظات المرضى الراقدين في المستشفيات العقلية والتي هي ليست سوى صور ذهنية نعاسية • كما رأيت الكثيرين ممن طلبوا مساعدة الطبيب النفسي وكانوا يعتقدون انهم كانوا مصابين بالهلاوس وهم لا يعانون الا من صور ذهنية نعاسية • لا يبدو من السهل بأي حال من الاحوال بل قد يبدو من المستحيل ان نضع فروقا واضحة بين الهلاوس والظواهر الكثيرة المتعلقة بها • فعندما نلاحظ شخصا يحتفظ بمذكرات لهلاوسه ، تصبح خاصية امتلاك هذا الشخص للبصيرة في هذه الخبرات الذاتية خاصية غير مقنعة للتمييز كما ان هناك عدة حالات مثل الامتناع الحسي وتجارب العقاقير المهلوسة التي يؤدي فيها ضغط المواقف الى انتاج من الهلاوس في الكثير من الناس الاسوياء • وتتماشى الهلاوس الظرفية ولا تشذ مطلقا عن الحياة العقلية الطبيعية • وقد وجد كالتون Galton في دراسته الرائدة عن الصور الذهنية دليلا دامغا على ان التغيير الكمي هو الذي يؤدي الى تحول الصور الذهنية الى هلاوس ، وقد تضمنت البحوث الموسعة في هذا المجال مثل بحث سجويك الموسوم (احصاء الهلاوس Census of Halllucination) الذي تمخض عن ان ما لا يقل عن ١٠٪ من الاشخاص قد مارسوا الهلاوس في فترة من فترات حياتهم ، وقد استطاعت هذه الدراسة العزل بين الصور الذهنية النعاسية والهلاوس •

كما ثبت ان ما يدعى بالهلاوس المتحركة Motoring Hallucination شائع وموجود في حالات الارهاق ، حيث اخبرني احد الاشخاص « انه غالبا ما كان ينحرف في مسيره متجنبا الاشخاص والكلاب التي لم تكن موجودة » حيث يصبح من العسير علينا تميز الهلاوس الحقيقية والصور الذهنية النعاسية

في حالات اضطراب الوعي كالحالات النعاسية • وبالمقابل يخلط معظم الناس بين صورهم الذهنية النعاسية والحقيقية عندما يستيقظون •

فتصبح العلامات التفريقية متعذرة في مثل هذه الحالات • ونقول بحزن أن تعبيراتنا اللغوية عاجزة عن التعبير عن هذه الفروق هذه الصور التي تحتفظ بالكثير من السيطرة الذاتية الخارجة عن الشعور والوعي ماكرة بشكل خاص، وتتمثل بصورة رئيسية في التجارب التي من الممكن ان نصنفها ضمن الهلاوس•

ويجب ان نضع ببالنا دائما ان هناك فرقا واضحا بين الانشطار الكتلي Molar Dissociation في حالات تعدد الشخصية وبين الانشطار الجزيئي Molecular Dissociation الذي يحصل في حالات ذهان الفصام (الشيزوفرينيا) • حيث لا تنشطر شخصية المريض الفصامي الى اجزاء متعددة من الشخصية وانما تتحطم الى اشلاء لا تعد ولا تحصى • فتعمل الافكار والحواجز والصور الذهنية والعواطف المشبوبة بدون أي تقييد او كبت • وتكون سيطرة جهاز الانا المركزي ضعيفة ان لم تكن معدومة • وربما تكون لدى الفرد في اولى مراحل المرض معرفة استبطانية بما يجرى في داخله من فقدان السيطرة ، فقد تظهر الافكار في الوعي لتقاطعه كأنها اشياء « أدخلت من الخارج » الى الذهن بقوى شريرة وخارجية ، فيبدو للمراقب الخارجي ان سلوك الفرد مشوش وغير مبرر •

وكنتيجة لهذا الضياع الاستبطاني الذي يمر به المريض ، اما ان تتغطى الانا الضعيفة او تظهر محاولات لتعليل هذه العمليات اللاارادية • وتؤدى هذه الاخيرة الى الاوهام Delusion كأوهام الاضطهاد واوهام الخضوع تحت سيطرة خارجية • فيتكلم بعض المرضى بهذر عن اوهامهم الاضطهادية وغيرها من الاوهام ، على عكس بعض المرضى الذين تمتصهم هذه العمليات اللاارادية فيكونون غير راغبين او غير قادرين على الاتصال بالاخرين والمحيط • ويشبه معظم المرضى شخصية فرانز كافكا الرئيسية « ك » في روايته « المحاكمة »

The Trial حيث تروى هذه القصة كابوسا ليليا يرى فيه البطل نفسه يقارع قوى ليس لديه سيطرة عليها •• وحوادث لا يستطيع فهمها • ونجد حدوث احداث « المحاكمة » واحداث « القلعة » Castle (قصته الاخرى) دونما سبب ظاهر • حيث تلاحظ الشخصية الرئيسة في قصة القلعة اشياء غير معللة وغير متوقعة تحدث وراء ابواب مختلف الغرف ، كما تجد ابواب الغرف موصدة دونها في معظم الاحيان كما تعاني هذه الشخصية من عدم التواصل الزمني في الذهن •

عندما استحدث ايوجين بلولر Engene Bluler مصطلح الذهان الفصامي Schizophrenia كان متأثر بابحاث بيير جانيه في حقل الانشطار وقد علق بلولر نفسه على الفرق بين الانشطار في عصاب الهستريا الذي اهتم به جانيه وانشطار مرض الذهان الفصامي فقال : يكون الانشطار الحاصل في الذهان الفصامي غير خاضع لقانون ، كما انه أسوأ بكثير مما يحصل في انشطار الهستريا •• حيث تنقسم شخصية المريض الفصامي الى اقسام لا نهاية لها مقارنة بالانشطار في الهستريا • فلا نتعامل في هذه الحالة مع عدة اجزاء في الشخصية وانما نتعامل مع عدد كبير من المكونات النفسية الكثيرة • وقد استخدم كارل مينكر Karl Menninger كلمة (اشلاء) لوصف اجزاء المكونات النفسية الناتجة عن انشطار ذهان الفصام • ولم يجد مينكر صعوبة في قبول كل من الهلاوس والاوهام في ضوء هذا التعبير فكتب « انها مجموعة افكار مع عواطفها المرافقة لها اصبحت منشطرة عن الشخصية الرئيسة » وقد افترض علاقة هذه الافكار بالشخصية الرئيسة كعلاقة الارض بالقمر • دعنا نشرح هذا التناظر • ففي النظام المتكون في جسم سماوي وتابع واحد ، يستطيع كل من الارض والقمر ان يمثلا شخصية مزدوجة في هذا النظام •

ومن الممكن ان يمثل المريخ Mars بتوابعه الثلاثة شخصية بيجامب الثلاثية • وتستطيع الكواكب الخارجية مثل المشتري Jupiter بتوابعه

الثمانية ان يمثل الشخصيات المتعددة التي انشطرت اليها شخصية سيبل او شخصية ايف • وهنا يتبادر الى ذهننا السؤال التالي : ماذا عن اضمحلال شخصية المريض الذهاني ؟ وتؤكد احصاءات الحزام الكوني على وجود ٤٠٠٠٠ ــ ١٠٠٠٠٠ قطعة صغيرة تتحرك كلها عشوائيا ، حسب قوانين لم نستطع ان نفهمها لحد الان •

ومن المؤكد وجود تشابه بين الانشطار الكتلي والانشطار الجزئي • وقد نجد في بعض الاحيان بعض الحالات التي تقع على خط التماس بين الاثنين ويكون من الصعب علينا تمييزها ووضعها في أي من الانشطارين •

واعتقد شخصيا اننا اذا درسنا حالات عدم التواصل الزمني في الذهن في شخصيات كافكا وفترات فقدان الذاكرة المتكررة في حالات تعدد الشخصية نستطيع بعد ذلك ان نتوصل الى فهم اعمق للظواهر المحيرة التي تكمن في هذا الذهان (الشيزوفرينيا) • فقد يسمى بعض مرضى الشيزوفرينيا هلاوسهم الصوتية ويعطيها صفات خارقة كما يفعل بعض اشخاص تعدد الشخصية تماما • وهناك العديد من مظاهر الانشطار البسيطة التي تحدث في الحياة اليومية الطبيعية والتي غالبا ما ترتبط او تظهر مع حصول الصور الذهنية ، التي تحدث بصورة متساوية في مرضى الذهان وعصاب الهستريا • ولا استطيع الخوض هنا في غمار المشاكل المتعذرة في ذهان الفصام بأي تفصيل • ولكن يبدو ان هناك بعض الترابط بين هذا الفصام والانشطار الكتلي الذي تناولته في هذا الكتاب رغم ان هذه العلاقة معقدة بعض الشيء ولكن من الممكن الافادة منها •

ان للتشخيص افضلياته ومدارسه ولغاته المتعددة • ويبدو من المفيد في اطار هذا الاختيار الشخصي للمصطلحات تفحص حالات فرويد Freud وبروير Breuer لمبكرة حيث يعتبر كتابهما « دراسات في عصاب الهستريا

Studies in Hysteria عام ١٨٩٣ ـ ١٨٩٥ م » من الكتب المهمة دون شك • قدما فيه اربع حالات من أهم الحالات التي عالجها فرويد ، وحالة لبروير ومناقشة نظرية لكليهما • خارجه عن محور هؤلاء المرضى (الذين شخصوا على انهم مصابون بعصاب الهستريا) حيث كانت المناقشة حول تطور حركة التحليل النفسي •

لقد استقطب التحليل النفسي منذ مراحله المبكرة الاهتمام الصحي بالفرد والتوق العميق والمستمر حول ما يمكن ان يجرى من خطأ في حياة هذا الفرد• ولهذا ظهر فرريد وبروير من خلال كتابهما وابحاثهما غير مهتمين بالكشف عن ظاهرة الهستريا • حيث يكمن محور اهتمامهما في ايجاد طريقة مثلى لعلاجها • وكان ابتكار بروير العظيم في علاج هذه الحالات هو طريقة العلاج بالتفريغ Catharsis « الكلام باسهاب عن المشكلة » وكان لمريضة فرويد الزابيث فون ر • Elizabeth Von R. علاقة مباشرة بهذه الطريقة « حيث كانت تقاوم التنويم المغناطيسي لكنها كانت مستعدة للدخول في عملية التفريغ بكامل وعيها ويقظتها » • وكانت انا و Anna O المريضة التي استشارت بروير عام ١٨٨٠ م وكان عمرها احدى وعشرين سنة شاكية له من هلاوسها ، ممتعة للغاية• وكان لعصابها هذا علاقة بالفترة التي انعزلت فيها من اجل تمريض ابيها المريض •• الذي توفى في السنة السابقة •• وقد عرضت هذه الحالة عدة مرات على مر السنين من قبل الكتاب كدليل يدعم التحليل النفسي وقد قال ألن باركر Allen Berg-r في عام ١٩٧٢ م بعد ان اعاد فحص الملاحظات الاولية لهذه الحالة ، انها بسطت (ربما بعد فهم عميق) بدرجة كبيرة • وتبدو هذه الطريقة بسيطة الى درجة كبيرة ، حيث يستطيع كل منا ان يتكلم ويتكلم كي يشفى •

لقد طور فرويد عملية التفريغ **Catharsis** فأصبحت قاعدة اساسية في طريقة تداعى الكلمات الحر Free-association method

في التحليل النفسي حالما ترك عملية التنويم المغناطيسي التي كان يستخدمها بروير فاتجه الاهتمام الى علاج التحليل النفسي بعيدا عن علاج التنويم المغناطيسي ووصف ظواهر الهستريا . فكتب جانييه عن طرق فرويد في العلاج قائلا « ان ما اطلقت عليه الانشطار النفسي . عمده فرويد تحت اسم التفريغ » (ماكدوكيل ١٩٢٦ م) . وقد اطلق فرويد على الظاهرة المتعلقة بالتفريغ اسم التنفيس Abreaction (التفريغ عن حوادث محزنة ومؤلمة سابقة) ورغم استخدام جانييه اصطلاحا مخالفا لهذه الظاهرة كان لديه الكثير كي يقوله عنها . وقد تضمنت الحالات التي عالجها حالة (ايرين) التي استطاعت التفريج عن حادثة موت امها عن طرق حالات التجوال الليلي ، كما تضمنت طفلة صغيرة تدعى (را Ra) عوملت بقسوة من قبل رب عمل صارم ، فعملت بجد وكانت تتذكر دائما المشاهد التي عاشتها وقسوتها .

لقد استطاع ايرنست جونس Ernest Jones ١٩٥٣ عند كتابته السيرة فرويد التعرف على انا و Anna O وكانت تدعى بيرثا بابنهيم Bertha Pappenhiem ابنة عائلة فينيسية غنية . وهي شابة ذكية مثقفة كتبت فيما بعد قصصا قصارا ومسرحيات كما كانت باحثة اجتماعية قيمة ومتميزة . ونستطيع من مصادر مختلفة ان نجمع معلومات كاملة عن هذه الحالة .

وقال بروير « هناك حالتان متميزتان من الوعي موجودتان في تلك الحالة .. (انهما) تتبادلان الادوار بسرعة وبدون انذار » (بروير وفرويد) . وكانت احدى هاتين الشخصيتين حزينة ، وذات ضمير حي ، بينما تبدو الثانية مضطربة، متهيجة ، وتتعرض دائما لهلاوس مخيفة . وقد تضمنت تقارير آل باركر حقائق ممتعة : لقد عاشت الشخصية الثانية ثلاثمائة وخمسة وستين يوما بالتحديد قبل الشخصية الاولى ، حيث كانت تهلوس الحوادث التي حدثت يوما بيوم

قبل ولادتها ولمدة سنة كاملة • وقد تضمن تقرير بروير عن الحالة عام ١٨٨٢ م بعض الحقائق التفصيلية عن ما كانت تدعوه انا نفسها بظاهرة نسيان الزمن Time Missing • وكان عدم التواصل الزمني في الذهن مشابها كثيرا لحالات تعدد الشخصية • فقد كانت تستيقظ مثلا في الليل وتجلس في سريرها لترى انها لا زالت مرتدية جواربها • ولم يكن لديها ذاكرة واضحة عن كيفية حدوث مثل هذه الاحداث • وقد كرر بروير الاشارة الى انها كانت تنسى الزمن كما ذكر عبارات كانت تقولها هي عن نفسها « الفجوة التي تكمن في سلسلة افكاري الواعية » (بروير وفرويد) ثم قالت عن شخصيتها الثانية بأنها (نفسها السيئة « وقد شبهها بروير » بحلم يمتاز بتخيلات وهلاوس تحوى على فجوات كبيرة في الذاكرة « لقد رأت انا في احدى المرات في يقظتها افعى سوداء تقترب من سرير ابيها » •• واضاف ان (فترات غيابها المهلوسة مملوءة بأشباح مرعبة كالجماجم والهياكل العظمية) (بروير وفرويد) •

وبعيدا عن هذه الهلاوس جميعا ، ظهرت انا كشخص كرس نفسه لما دعاها بروير « بأحلام اليقظة المعتادة Hubitual day dreaming » وهي عبارة عن هروب من الحياة الرتيبة التي تحياها وقد تكلمت انا نفسها عن « مسرحها الشخصي» (ألـ باركر عام ١٩٧٢) • وهناك تشابه كبير بين «نفس انا الرديئة» والشخصيات الثانية الاخرى (كسالي مثلا) التي تناولناها سابقا • وقد قال بروير عن هذه الشخصيات انها كسولة معارضة وذات طبيعة مرضية واضاف ان هذه الشخصيات هي نقيض الشخصيات الحقيقية • وعند تفحصنا تقارير بروير وحدها في كتاب بروير وفرويد أصبحنا نؤمن بسهولة استطاعة بروير اختيار الكتابة عن انا أ ، وعن انا ب • ويتفق هذا الاصطلاح كثيرا مع رأي الانشطاريين الذي يبدو مطابقا في هذه الحالة ، وقد قال كاتب سيرة فرويد بقناعة كاملة « انها كانت حالة لازدواج الشخصية كما اشار الى انها كانت تحوي حالتين متميزتين من الشعور احداهما كانت لطفل مشاكس ومزعج » (جونز ١٩٥٣م)•

وقد اوضح بروير اعمال انا في شخصيتها الثانية « عندما كانت تلقى بالوسادات ارضا وتقطع ازرار ملابسها • كما ذكر انها كانت تتكلم عن امتلاكها نفسين واحدة حقيقية واخرى شيطانية » وقد اجبرتها الثانية على ان تسلك سلوكا مشينا (بروير فرويد) •

ومن الطريف في دراسة فرويد للهستريا استعماله التشبيهات بصورة واسعة • فعند شرحه لداينميكية المرضى موضوع البحث استخدم التشبيه الكيمياوي • فقد اشار ان « المجموعة النفسية » التي « انشطرت » تلعب نفس دور البلورة « التي اذا لم تحصل فيها عملية التبلور لحد الان ، فسوف تبدأ الان بسهولة أعظم » • ونستطيع القول بعبارة اخرى : تبلور جزء الشخصية كما يتبلور المحلول الكيمياوي الذي تجاوز مرحلة الاشباع اذا وضع فيه بلورة ويبدو لنا الان جليا في ان مريضا كهذا صنف تحت تصنيف « تعدد الشخصية » ام لم يصنف ، فليس هناك الا اليسير جدا في الكلمات التي من الممكن ان يوصف بها • ويتوافق ما قاله فرويد تماما مع ما قاله وليم جيمس عن تطور الشخصية الثانية • كما انه يتطابق مع نظرة دستويوفسكي (التي عبر عنها على لسان ايفان كرومازوف) في كيفية تأثير ما دعاه فرويد لاحقا بالكبت Repression في تكوين تعدد الشخصيات هذا •

ان الصراع داخل الفرد (داخل النفس) هو الذي استطاع ان يقسم شخصية انا و Anna O كما كان نفسه (أي الصراع) السبب في تقسيم شخصية كرستين بيجامب وايف وايت وماري ارنولد ومى نايلور وماريا الاسبانية • وقد استخدم الباحثون اصطلاحات مختلفة لتعليل هذه الاحداث كما نرى في الحقل الادبي ، اين وجد فرانكشتاين مسخه واين وجد الدكتور جيكل مستر هايد • وقد رأينا كيف ترتبط هذه التغييرات بالعديد من العوامل وليست كنتيجة فقط لكبت الظل المرفوض ، حيث يظهر مختلفا تماما (جزء من شخصية تعرض خواصها) ولما كانت اهداف فرويد محصورة في

العلاج فقط . لهذا نراه يرفض تشجيع مثل هذه الخواص حيث ان الشخص نفسه يثير هذه الحوادث القديمة وليس شخصا اخر في داخله لقد اطلق جانييه على مثل هذه الحوادث تسمية مختلفة تماما لاهتمامه بظاهرة التنويم المغناطيسي الهستيري • حيث تشبه مريضة جانييه الى حد كبير مريضة بروير انا فهي نفست عن مكبوتاتها ايضا رغم ان جانييه يفضل ان يطلق على هذه الظاهرة «الافعال اللاارادية وسير النائم » ومهما كانت التسميات فقد استطاعت ايرين في حالة سير النائم وحالتها الانشطارية ان تتخلص عاطفيا من الاحداث المتعلقة بموت والدتها ، وقد بدت في معظم الاحيان قاسية وغير حساسة وسادرة الاحساس وكأن القضية لا تعنيها • ومع هذا تأخذ افعالها اللاارادية في بعض الاحيان (وكما يدعوها جانييه افكارها المتحررة) الزمام وتبدأ بأظهار الحوادث المكبوتة المزعجة • واذا استخدمنا مصطلحات فرويد في التنفيس او مصطلحات جانييه فان الاحداث تبدو متشابهه الى حد كبير • كما ان الفروق البسيطة بين كل من ايرين وانا يمكن تجاوزها بسهولة لاختلاف لغتيهما •

بقيت لدينا اشياء قليلة لا تشبه من قريب او بعيد الحياة النفسية • وتحتل التشبيهات مكانا حقيقيا في الشروح والنظريات العلمية ، ويبدو أن ملاحظة هارفي لفعالية وعمل المكبس والمضخة ساعدته كثيرا في فهم واكتشاف الدورة الدموية • كما ساعدت سلسلة الصخور المرجانية في المحيط الباسفيكي الجنوبي داروين في اكتشاف نظريته العامة في التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي • وكما قال العالم النفسي سبيرمان : هناك حدود للفكر الانساني الخلاق حيث نلاحظ مجموعة علاقات في حقل معين ثم نستخدم هذه العلاقات في حقل اخر وقد تنتج هذه الملاحظات الجديدة انظمة وقوانين جديدة •

ولا زلت ارى ان فكرة « الانشطار » القديمة والافكار المرتبطة بها « كالشعور المصاحب » و « تعدد الشخصية » واجهزة الشخصية الثانوية والانشطار الذي نلاحظه في حياتنا اليومية لا زالت تنبض بالحياة حتى اليوم •

وتستطيع ان تدلنا على فحص جديد لبعض الحالات النفسية التي اهملها التحليل النفسي . في اوج عظمتها بنوع من اعادة النظر الذي ادعو اليه ، كما زودانا بلغة جديدة نستطيع بواسطتها وصف الظواهر النفسية ، وقد أسيء استخدام هذه اللغة غالبا . كما تضمنت محاولات الاغراء لتجسيد (يجد معظمنا ان من الصعب ان نجسد الانا والهو والانا الاعلى بثلاثة اشخاص صغار داخل الدماغ) فكرة (اللاشعور unconscious) كأحدى الصور الذهنية الصلبة وغير القابلة للتلاشي لهذا نحتاج لتذكير انفسنا دائما بعدم وجود مكان لهذا التصور . وما هذه الاصطلاحات الا كلمات تستخدم لتسمية العمليات الذهنية المعقدة . انها كأداة في خدمة استعمالاتها ومتى ما حافظنا على عدم اساءة استعمالاتها فسوف تستمر بالعمل كأدوات للتحليل النفسي وكوسيلة للوصول الى فهم علمي . لقد استخدم كل من فرويد وبروير تشبيهات مختلفة عند شرحهما الدافع كأحد الاشياء المعقدة . حيث وجدت في كتاب دراسات في الهستريا وحده ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين تشبيها، وكان بعض هذه التشبيهات مجردا كتشبيهات جانبيه ومورتن برنس. فقد اشار فرويد وبروير في احد الاماكن الى شعب الوعي Defik of conscionsness على انه ممر ضيق يسمح للاحداث النفسية بالمرور الى حيز الوعي (حيث يقطعها ، كما هي كقطع صغيرة) .

وحين يفكر أي شخص منطقيا بالحياة الفعلية للاشعور سوف تجتاحه رغبة عارمة للضحك ويفكر بالقضية كحل للغز صيني . لقد شبه فرويد وبروير الطبيب النفساني وهو يعالج عصاب الهستريا كالطبيب الباطني وهو يحاول السيطرة على وباء . فاذا نجح في معالجته في منطقة معينة فسوف يتفشى في منطقة اخرى . وقد شبها الكبت في محاولتهما لشرحه بأنه كالجسم الغريب في النسيج الحي . وتأتي تشبيهات ــ اجهزة الانارة الكهربائية ، بناء العمارات المتعددة الطوابق والنقل الحي للصور التليفزيونية ــ وغيرها كثيرا خلال

الشرح • وقد اشار فرويد في شرحه ــ الى المدن المطمورة ، حركــات الفرس العجيبة في لعبة الشطرنج ــ فتح الابــواب وغيرها كثيرا ••• وقد اســتمر استعمال بعض استعارات فرويد لحد الان • واعتقد شخصيا بأن البعض قد اساء استخدام المفهوم السائد من ان الشخصية تطرد من الذهن • وقد تنطبق فرضية الكبت على انه نسيان كامل للحوادث ثم ظهورها الى السطح في الوعي (في خلال التنويم المغناطيسي) او التحليل النفسي على المرضى الهستريين وتبدو اقل اهمية بالنسبة لظواهر الحياة النفسية الاعتيادية وباقي المرضى الذين غالبا ما يكونون كاملي الوعي ويسيطرون على ذاكرتهم وعلى دوافعهم • ومشكلتهم اكبر بكثير من انهم لا يستطعون ان يربطوا بينهما • وتستحق فرضية الاجهزة العقلية المحكومة بالمنطق او بحواجز النسيان التي تفصلها ، والطرق التي يجب اتباعها لاعادة الربط ، اعادة النظر والفحص الدقيق •• وتبقى كل هذه الاقوال مجرد طريقة مسهبة للتعبير عنوجود تأملات واعادة نظر في الفكرة الاساسية « عودة الى الانشطار » •

الفصل الحادي عشر

الافعال اللاارادية
ولغة علم النفس

Automatism and the Language of Psychology

« انهم لا يمتلكون اذهانا واعية كما
نمتلك ، وهم ليس لديهم استبطان
بالتأكيد ... انهم مجرد قطع ذاتية
الحركة لا تعي ماذا تفعل »

جوليان جاينز

لقد ناقش جوليان جانيز في دراسته عن أصل الوعي عام ١٩٧٦ م فرضية التطور المتدرج والمستمر للذهن البشري ، وقال :

لقد حصل التغيير الجوهري بعد اكتشاف طريقة تسجيل الكلام • وظهر مع اللغة المكتوبة الشعور وقابلية الشعور الاستبطاني • ولكي يفرق بين الطريقة الكلامية والطريقة الكتابية التي يحتفظ بها كتراث ، اخـذ جاينز هوميروس والانبياء العبرانين كمثال ، فكان لدى الانبياء الذين تناولهم جاينز القليل كي يقولوه عن المستقبل ، حيث كانوا رجالا الهموا بالرسالة المقدسة التي نقلوها بأمانة الى الناس • وكانت استجابتهم لما يدعوه علم النفس الحديث اليـوم بالصورة الذهنية اللاارادية على أنها صوت الله الذي يخاطبهم • وقد سلك الاغريق ومحاربو طروادة نفس السلوك في الياذة هوميروس • وقد تأثر جاينز بغياب المحاجبة الفكرية والدوافع الشخصية والقابلية الشخصية الاستبطانية في هذه « القطع الذاتية الحركة » وقال : ان احساسي يؤكد لي ان حرب طراودة كانت تدار بالاخيلة (الهلاوس) • ولو اعدنا النظر الكرة بعد الاخرى الى نتائج الدوافع الانسانية فسوف نراها تتجسد في هوميروس (في بطل ملحمته)

كممثل الله في الارض • ويريد هؤلاء الاشخاص المقدسون الطاعة من الاخرين، كما تفعل اصوات المرضى الذهانيين المحدثين بالضبط كما انها تترك مجالا ضيقا لامكانية التحليل الذاتي self analysis .

وقد اطلق جانيز على عقلية هوميروس « الذهن ذو المجلسين التشريعيين bicameral mind » وتحتل نظريته القائلة : بان الوعي الاستبطاني لا يمكن ان يظهر الا من خلال تلاشي هذه الطريقة في رؤية الاشياء اهمية قصوى في دراسة الانشطار • خصوصا بعد ان ندرك امكانية وجود الذهن ذي المجلسين التشريعيين في بعض الاشخاص اليوم • ومن الاشياء الكثيرة التي تفحصها جاينز هي عملية نمو وتطور اللغة من خلال الابتسامة الى الرمز ثم الى قياس التمثيل وتعتمد طريقة كلامنا وتفكيرنا عن الحياة العقلية بدرجة كبيرة على طريقة الاستعارة من خبرتنا الجسدية : فمثلا نرى الاشياء بأعيننا ، لكننا نرى ايضا قضية نناقشها ، فنتبنى تفكيرا جديدا وبعد ان نصارع « الغموض » نصل الى ايضاحات جديدة • وقد امتلأ تاريخ علم النفس بالنظائر المتشابهات وكان افلاطون اول من شبه الشخصية بالبناء الهرمي للسلطة[1] Hierarchy كما لم يكن فرويد اخر من استخدم هذه التشبيهات •

اما اليوم فعندنا الكثير من الاجهزة التي من الممكن استخدامها في التشبيهات كالتلفاز ، التصوير الفوتغرافي ، الاجهزة الالكتروبية ، الفيزياء النووية •

وقد تساعدنا كل هذه الاجهزة وغيرها في وصف انفسنا بشكل دقيق وحيوي • كما اننا نستطيع ان نسمي ونصف وربما نستطيع ان نشرح حتى في كلامنا اليومي احسن بكثير مما كان يفعل ابطال هوميروس في حياتهم او عنها • (وقد بدت الاوديسة The Odyssey اكثر دعما لنظرية جاينز ، حيث شاهدنا وعيا اعمق للدوافع الانسانية ، كما ان انشراخ الذهن ذي المجلسين التشريعيين بدا واضحا) •

لقد كتب مورتن برتس عن الدماغ على انه (وحدة معقدة من اجهزة متعددة تكون جميعها ما يدعى بالذهن •••• ويتكون هذا الذهن من مجموعة

من الاذهان الصغيرة يرتبط كل منها بوظيفته الخاصة واهتمامه الخاص ، وهدفه الخاص • ولا زلنا نشاهد حتى اليوم بعض المجتمعات والكثير من الاشخاص الذين يؤمنون بأن اسباب هذه الاذهان الصغيرة اسباب مقدسة •

وعلى كل ، ورغم ابحاث فرويد ويونك ومن جاء بعدهما • نرى الاشخاص الذين لم يتفاعلوا مع عملياتنا العقلية واجهزتها الصغيرة يحاولون دوما تجاهل « رسائلها » ••• وبهذا نكون اقزاما امام قبائل سينو التى تحاول ان تربي اطفالها من خلال تعليمهم من احلامهم •

واذا انطلقنا بنظرتنا من العلم وليس في الخوارق والغموض • فسوف يستطيع علم نفس الدوافع الانسانية Psychology of Motivation ان يقول لنا الكثير عن اذهاننا الصغيرة هذه • واود ان اشير هنا الى بحث الفيلسوف الاخلاقي المطران جوزيف بولتر Joseph Butler في القرن الثامن عشر واهتمامه الخاص بهذه العمليات العقلية • وقد رسم في كتابه « مواعظ في الطبيعة الانسانية Sermons on Human nature » في عام ١٧٢٩ م مخططا تناظريا بين مكونات الجنس الانساني ومكونات الشخصية الانسانية حيث يقول بوتلر : ان تركيبنا الداخلي كتركيب اجسامنا « ليس بسيطا وانما معقدا مركبا من مختلف العواطف ، الشهوات ، الانفعالات مع مسبباتها » ومجرد سرد هذه الاجزاء غير كاف ، حيث نحتاج الى دراسة وظائفها وعلاقتها بالتكوين العام • وقد استطاع بوتلر ان يقول قبل مدرسة الجشتالت النفسية بكثير ان تركيبا معقدا كالشخصية لا يعني مجرد جمع حسابي لاجزائها وانما عملية اعقد من ذلك بكثير •

---

(١) البناء الهرمي للسلطة : عدد من الاشخاص يتولون مسؤولية معينة يتدرجون في مسؤوليتهم عنها . (المعرب)

Conscience

الضمـــير

الحسي الاخلاقي

الحلـــم	الايثـــار
(Prudence)	Benevolence
Cool Self Love	(Altrism)

الشهوات والعواطف

ـ وجهه نظر بوتلر في الشخصية ودوافعها ـ

فالشخصية عند بوتلر هي سلطة هرميـــة التكويـــن يتحكم فيها الحس الاخلاقي الذي يدعى « الضمير » الذي يعمل بعلاقة وثيقة مع قسمين يقعان تحته هما الايثار والحلم • وتقع العواطف والشهوات في اســـفل هذه السلطة الهرمية (والتي تتمثل بمجموعة من المكونات ، اهمها الخـــوف والجوع) • ويجب ان لا نمزج بين العواطف والشهوات وبين الحلم ، حيث يكون هدف الخوف هو الهروب وهـــدف الجـــوع هو الطعام) : هـمـــا اما ان يعقا في صراع حاد وعنيف مع الحلم (ويشبه هذا القانون ما اطلق عليه فرويد فيمـــا بعد قانون الواقعية Reality principle • بينما يتحكم الحلم بالافعال الطويلة الامد والتي تختلف كليا عن اشباع الحاجات الانية (الجوع ، والخوف) وبهذا تحدى بوتلر نظرية الانوية[١] egoism ـ النظرية القائلة بأن كـــل التوصيل والسلوك انما يجرى في قعر نفس الفرد ـ منطلقا من ان هذه النظرية خاطئة نسبيا • كما دحض نظرية المتعة[٢] Hedonism القائلة بأن كل دوافع الانسان انما تنطلق بحثا عن اللذة وتجنبا للالم • حيث انه لم يكن واضحـــا للذهن ذي المجلسين التشريعيين كما هو واضح لدينا اليوم او كما هو الحال عند بوتلر من ان الغضب يؤدي الى محفزات متعددة وافعال مناقضة تماما لمتعة الشخص ولسعادة الشخص الطويلة الامد • ففي حالة الشهوات التي يتعلمها الفرد والادمان ، كالادمان على الكحول والتعود على التدخين والمخدرات ،

لقد كان مبدأ بوتلر الآني الى جانب مبدأ الحلم هو مبدأ الخير والايثار الذي يدفعنا للعمل على اسعاد الاخرين ، ولا يوجد صراع ضروري بين مبدأ الحلم ومبدأ الايثار ، بل على العكس من ذلك غالبا ما يكونان متوافقين . كما انه ليس ضروريا ان يكون الصراع مع الضمير مثبتا او غير مثبت للفعل على اعتبار انه صحيح او خاطىء . حيث شبه بوتلر العلاقة بين الضمير ومكونات الشخصية الاخرى كمدير المدرسة الجيد في مدرسة جيدة . فهو ، يستطيع ان يأخذ لنفسه اجازة قصيرة لمدة محدودة ، واثقا انه حين يعود سيرى كل شيء على ما هو ولا يوجد أي تقصير . وبعبارة اخرى : اعتبر بوتلر الفضائل الانسانية كتربة خصبة اخرى ممكن ان تترعرع عليها العادات ، ولكن هناك شواذ لهذه القاعدة (حيث ان الاشخاص الذين ندعوهم اليوم ضد اجتماعيين Psychopaths لا يمتلكون الضمير مطلقا) . وبعيدا عن هؤلاء وكقاعدة عامة ، فان معظم المواطنين العاديين لا يعانون من صراع الحوافز التي تأمرهم يوميا بسرقة الاطفال او بأهانة المواطنين الذين يلتقوهم ومن الواضح ان تحليل بولتر للشخصية ومكوناتها له تحديدات فهو لم يساعدنا مثلا في فهم الفاسد اخلاقيا Vicious او السادى Sadist او المتعصب Fanatic او ظاهرة تعذيب الذات Self-torment ، ولكنه القى الضوء وربما الضوء الساطع على السلوك الانساني الطبيعي ، لقد امتلك بوتلر فهما عميقا للطرق التي تتصارع بها دوافع الشخصية المختلفة وكيف ومتى تتعاون وكيف ومتى تتضاد . ولقد كان واعيا تماما كما كان فرويد من ان احد مكونات الشخصية قد يعمل بأقصى طاقة على حساب باقي المكونات ، فقد يعمل حب الذات الى الدرجة التي يطغى فيها على الضمير . كما قد نرى بعض الاشخاص عطوفين بغير تعقل او

(١) الانوية egoism : المذهب القائل بأن الفرد ومصالحه الذاتية اساس السلوك كله (المعرب)

(٢) مذهب المتعة Hedonism : مذهب يقول بأن اللذة او السعادة هي الخير الاوحد او الرئيسي في الحياة . (المعرب)

ربما بعنف . وقد يتخـذ بعضهم موقفـا اطلقت عليه أنا فرويد فيما بعـد بالاشكال المرضية « للايثار الاستسلامي Altristic surrender »
وفي النهاية يجب ان نأخذ مسؤولية رعاية انفسنا بجدية حتى عندما يكـون الاخرون واعين .

ورغم هذا ، لم يكن بوتلر بأي حال من الاحوال اول من تفهم مكونات الشخصية وظاهرة الدوافع الانسانية المتعددة . فقد افصح العديد من الكتاب قبله عن حقائق مؤلمة . حيث لم تمنع تضحية هاملت وايثاره من قتل الملك اثناء سوف تكون لها الاسبقية ليس على المتعة الشخصية فقط وانما على حياة الفرد ككل . لقد اخذ التمييز الذي وضحه فرويد بين مبدأ اللذة (اشباع الحافـز الآني) ومبدأ الواقعية جزءً كبيرا من تعقيدات الدوافع المتعددة .
الصلاة ، لكن الذي صنعه هو كرهه الشديد للملك فهو يعلم ان الاشخاص الذين يموتون اثناء الصلاة يذهبون الى الجنة . فلم يكن هاملت مترددا ، بل كان خبيثا .... ومستعدا للانتظار حتى ينغمس الملك في الشر والخطايا وعندها سوف يضمن له العقاب في الآخرة ايضا . لقد اغوى روميو الصيدلي الفقير بالفلوس كي يبيعه السم . وعندما وافق هذا الصيدلي الفقير على بيع السم قـال :

(انه فقري الذي تحرك وليس ارادتي) . لقد وافق تحت ضغط وحكم العوز المطلق ، اما « ضمير » بوتلر فانه تلقى العقاب جانبا .

لقد صادق فرويد في السنوات التالية مصادقة قوية الحجة على مبـدأ الدوافع المتعددة ، لكن نظريته في التحليل النفسي تمتاز بنقاط ضعف مدهشة . حيث اثار الكسندر شاند Alexander Shand السكرتير الاول لمجمع علم النفس البريطاني British Psychological society نقدا جوهريا يستحق اعادته هنا لعدم استطاعة حركة التحليل النفسي الاجابة عليه حتى الان . حيث قال شاند : لم يظهر التحليل النفسي وصفا كافيا للحياة العاطفية للانسان ، حيث اخفق في التمييز بين العواطف emotions والوجدان العاطفي Sentiments

ويرى شاند ان الوجدان العاطفي هو عبارة عن عادات معقدة من العواطف تسمح لمجموعة من الاستجابات تجاه الشيء موضوع البحث • فمثلا الغضب والكره هي عواطف مثالية ، بينما الحب والكره هي عبارة عن وجدان عاطفي مثالي • فنحن نستطيع ان نشعر بالغضب الشديد تجاه شخص نحبه وبدون ان نفقد الوجدان العاطفي الاصلي •

وفي الوقت الذي صاغ فيه كل من شاند وماكدوكيل فرضية الوجدان العاطفي ، ظهرت فرضية العقدة Complex في اوروبا • وقد استخدم هذا المصطلح (أي العقدة) لوصف مجموعة افكار مرتبطة ببعضها عاطفيا • وقد تعامل بعض علماء النفس مع هذين المصطلحين على اساس انهما مترادفان • وقد ظهر في عام ١٩٢٢ م ملخصا عن المجمع النفسي البريطاني في مانشستر كان هدفه تفحص الهيكل العاطفي للنفس البشرية • وقد خصص في بحثه هذا تقرير ما اذا كان علم النفس يحتاج كلا المصطلحين أم لا •• وقد أثبت ، الملخص انه يحتاجهما معا •

ما هي العقدة ؟ قال أ ، ج تانسلي A.G. Tansley احد معدي هذا الملخص • يستخدم هذا المصطلح كثيرا في العلم عندما نتعامل مع عدة اشياء كمجموعة مترابطة : حيث يتكلم الجغرافي عن عقدة الجبل Mountian Complex وكان يونك Jung اول من استخدم هذا المصطلح في علم النفس ، عندما استخدمه ليصف (مجموعة افكار ترتبط ببعضها عاطفيا) كالحب او الايمان العقائدي • ووصف مايرز Mayers العقد بأنها تتميز [1] بالدهشة وعدم قبولها للتعليل ولا يمكن التنبؤ بها) • وقد استطاع بعض معدي هذا الملخص ان يجدوا عقدا مرتبطة مع الوجدان العاطفي المكبوت، وعقدا اخرى غير مرتبطة به ، وكان بحث البروفسور ت ،هـ ، بير T.H. Pear رئيس قسم علم النفس في جامعة مانشستر من امتع واهم البحوث التي قدمت في هذا المجال •

حيث قال : نحتاج كلا المصطلحين « العقدة » و « الوجدان العاطفي » لوصف الجوانب المنظمة والجوانب غير المنظمة في الحياة العاطفية المعتـادة • ورفض قبول العقدة على انها وجدان عاطفي مكبوت • لان معظم وجداننا العاطفي لا يحتوي على اي درجة ولو صغيرة من الكبت مثلا تتناسى بسرعة اخطاء مـن نحب ، كما اننا تتناسى بنفس السرعة فضائل من نكره ، ويحدث الشيء نفسه بالنسبة للمعتقدات الدينية والسياسية بالضبط كما يحصل للاشخاص • وقد افاد بيير في عدة مترادفات كي يستطيع بواسطتها ان يشرح فكرته • فقـارن الوجدان العاطفي بالحدائق المرتبة التي يعتني بها حدائقيون ماهرون • كمـا شبهها بالمؤلفات الموسيقية مقارنا اياها بالاصوات العشوائية وهو تشبيه جيد•• حيث يختلف بعض الناس اختلافا بينا عن اناس اخرين في تفضيلهم العاطفـي لانواع مختلفة من الموسيقى وبهذا ينشأ تنافر عاطفي بين هاتين الجماعتين • كما قارن بيير الوجداني العاطفي بلوحة ازرار كهربائية مرتبة ترتيبا جيدا • كما ذكّر الحاضرين بامكانية تدهور الحدائق الجميلة ولوحة الازرار الكهربائية المرتبة • فقد يتحول الوجدان العاطفي الى عقدة ، ذات اسلاك حياتية خطرة (مع فرق جهد قابل للانفجار العاطفي) منتشرة في جميع الاماكن • فما ينشأ كره بسيط للقطط قد يتطور الى عقدة من تلك القطط • وما ينشأ كحب للوطن قد يتحول الى افكار قسرية وطنية وما ينشأ كحب لله او لمبدأ سياسي قد ينقلب الى هوس •

وفي رأي شاند هناك اربع عواطف اساسية هي : المتعة Joy الحـزن Sorrow الخـوف Fear والغضب anger ، ويحتاج الوجـدان العاطفي الموجب كالحب والاحترام لمستوى معين من الاستجابات المتعاطفة حيث يحس الشخص بالمتعة بوجود الشخص المحبوب ، والندم لفراقه والخوف عند توقع حادث خطير له ، والغضب في الدفاع عنه ويحتاج الوجدان السالب الى

العكس • ومن الطبيعي ان تكون افعالنا اكثر تعقيدا من تفاعلنا ، فقد نتردد في قول او فعل عمل معين مثلا رغم اننا نحس اننا يجب ان نفعله لاسباب اخلاقية او شعور بالذنب • وقد قال سيريل برت بعد فرويد : **ان كل وجداننا العاطفي** متناقضة وجدانيا Ambivalen : فقد يتعقد الحب الى استياء او امتعاض مختف بقوة تبقى الحب هو المتغلب • كما ان استجابتنا للناس الذين نكرههم متناقضة ايضا وكان هذا التناقض الوجداني ولا يزال هدفا مفضلا للظرفاء وهواه الطرف ، فقد احتوت امثال لارووكفوكلد **Maxims of La Rochefoucauld** ما يلي :ـ

« في الحوادث المؤسفة لاعز اصدقائنا نجد دائما اشياء جميعها مؤسفة » واذا « حكمنا على الحب بتأثيراته المتعارف عليها سوف نشاهد انه يشبه الكره اكثر مما يشبه الصداقة » ومما تقدم نلاحظ اصدار برت للكثير من التعميمات ، لكننا سوف نلاحظ بلا شك ان الوجدان العاطفي لا يكون نقيا ابدا •

وتبدو الشخصية الانسانية الى حد كبير كمجموعة من العادات العاطفية الحاوية على الوجدان والعقد • حيث نمتلك حبنا وكرهنا العاطفي للاشخاص، كما نمتلك معتقداتنا الدينية والسياسية والاجتماعية المفضلة ، كما نمتلك وجداننا الاخلاقي ، كما اننا نمتلك وجداننا المقيم لذاتنا • وقد اكد ماكدوكيل بالخصوص على وجداننا المقيم لذاتنا كعامل موحد للشخصية الانسانية • وتمثل هذه العادات العاطفية مصادر مهمة لقوة الدوافع • وكما نعرف من خلال ملاحظتنا للاشخاص الذين نتعامل معهم ان عاداتهم العاطفية هي العامل الرئيسي في تحديد سلوكهم ، كما انها العامل المؤثر على تفاعلنا معهم ، وتمثل المساحة الاساسية التي من الممكن ان يضغط عليها • فقد نستغيث بايثار شخص معين او نستغيث بحلمه او بضميره ولكننا نستغيث بتحيزه ايضا • وغالبا ما نتعامل مع جهاز معين من الشخصية وليس الشخصية كلها • وقد اشار برنارد هارت الى الاقسام المحكومة بالمنطق في الشخصية التي تحمي عاداتنا العاطفية من الصراع خارج نطاق الشواهد • كما كتب ايوجين بلولر **Eugene Bluler**

« قد تتخذ العقد اجزاء الشخصية كمراتع لها مع نوع من عدم الاعتماد او الاحتكام الى الشخصية ككل » (بلولر ١٩١٦) . وقد تأخذ عادة عاطفية متفاقمة زمام الشخصية وتسيطر على الشخصية الرئيسية ، واذا حصل هذا ، ربما تؤمن ٥٠٪ أننا نتعامل مع شخص مختلف تماما عن الاول وقد تصبح هذه العادات العاطفية اللاارادية القوية في غاية الخطورة عندما تتخذ شكلا اخلاقيا .

دعنا نبتعد عن هذه النهايات المظلمة لفترة قصيرة وننظر الى الظواهر الاكثر طبيعية التي اطلق عليها مورتن برنس (اللغة اللاارادية Language automatism والتي تنتظم فيها اللغة في « مجموعة مقاطع او صيغ بهدف ان تصبح ذاتية كأدوات ، طيعه بهدف التعبير عن الافكار » .

ويحصل هذا باستمرار عندما نسأل عن حادثة معينة بذاتها عدة مرات.كما يجب علينا ان نعلم أن شخصا واحدا على الاقل سوف يدعنا نجن بآرائه وقصصه عن التنبؤ . ويتراوح التفاعل مع هذا النوع غير المؤذي نسبيا من التكرار في الاصغاء المتردد من خلال الامتناع عن الاصغاء المصمم الى حد الطيران الجسدي الحقيقي . ومع هذا فان عدم الصبر الناتج عن هذه الحالة قد يؤدي الى الجريمة . في الاحوال المنزلية الاعتيادية . ان العواطف اللاارادية هي السبب الجذري في الصراع بين رجل واخر ، كما أنها تستطيع ان تؤدي الى صراع في داخل الفرد نفسه . ففي حالة بيجامب كانت شخصية ب ١ ، ب ٤ غير متفقتين نهائيا وتحس سالى بالاحتقار لكلتيهما . وكان كره ايف لزوج ايف وايت شديدا وكرها لطفل ايف وايت مقترنا بحوافز لارتكاب جريمة قتله . وقد نجد كره الشخص لنفسه في حالات سوية غير قليلة رغم انها نادرا ما تظهر نفسها كعلاقة بين جزئين من شخصية الفرد نفسه .

وقد جلب وليم جيمس الاهتمام الى قوة الدوافع من خلال بحثه في نواحي العادات العاطفية الانسانية . فكتب يقول « ان الاشياء التي تبدو لنا حارة اليوم ، سوف تبدو لنا غدا باردة » ويرى جيمس ان الاجزاء « الحارة » من

الشخصية « هي مراكز الطاقة الداينميكية » وقد تكون هذه الحرارة دائمية في جزء من اجزاء الشخصية ... فاذا حصل تغيير في الاتجاه الديني ندعوه هدايه Conversion . وقد استخدم معظم الكتاب المحدثين هذه الظاهرة في اطار سياسي . وربما في التحول الى الشيوعية بصورة ملحوظة . وحسب ما يقول ارثر كوستلر Arthur Koestler : ان حرارة الفعل السياسي والنشوة الذهنية Intellectud Rapture التي يحس بها المتحول تجعله يرى اضواء جديدة تغمر المكان في كل الاتجاهات (كوستلر ١٩٥٤) واشار الى ان ترتيبا جديدا قد حصل للعواطف الوجدانية .

بدا فيه العالم كقطع تائهه في احجية الصور المقطوعة[١] . فهو حالما تحول شعر انه ارتبط بنظام فكري يستطيع ان يعلل كل الاشياء ويشفي كل العلل . فهو استطاع ان يجتاز صراعه النفسي الداخلي (قفز من حلقة فكرية مفتوحة الى حلقة فكرية مغلقة) .

وقد جرى اهتمام واسع في هذا المجال في السنوات الاخيرة . فاتجهت معظم الابحاث لابتداع الاساليب التي تحدث هذا النوع من التحويل Conversion في الوجدان العاطفي عن طريق غسل الدماغ Brain washing واذا أخذنا مثالا واحدا على مثل هذه الحالات ... نرى ان علماء النفس الذين ناقشوا السجناء الذين تعاونوا مع سجانيهم في الحرب الكورية ، تبينوا ان ولاءهم الاصلي قد تلاشى عن طريق المكافأت والعقاب . وتمثل عملية بناء شخصية جديدة لاغراض سياسية . الجانب المظلم من السؤال المطروح : ماذا يستطيع العلاج ان يقدم لحالات تعدد الشخصية ؟

ويمكننا استخدام نفس القوانين والسبل بشكل واسع للحصول على نتائج مختلفة تماما وبنجاح محقق . فقد استطعنا القضاء على سالى والى الابد في حالة بيجامب . ثم وجدنا شخصية ب ١ و ب ٤ ولا تختلف هذه العلمية عما

---

(١) احجيه مؤلفه من قطع خشبية صغيرة يتعين على المرء ان يرتبها بحيث تشكل صورة ما . (المعرب)

وصفه كوستلر في تحويله (حيث كان كوستلر يعرب باستبطان قوي جدا عن كرهه الشديد لنفسه السابقة) • ويكون هؤلاء المتحولون متعصبين بشكل سيء •• حيث قال كوستلر : (سوف تنشب المعركة الاخيرة بين الماركسيين والماركسيين السابقين) ويعرف الاشخاص الذين لديهم خبرة عن المتحولين ماذا تعني هذه العبارة بالضبط • وقد تتخذ بعض اجزاء الشخصية حالة مستقرة مرضيا • وما الذهان الذي ندعوه (بالبارانويا Paranoia) الا من الامثلة القليلة على هذه الحالة •وتعتبر حالة دانيال ماكناتن Daniel McNaghten احدى اشهر هذه الحالات • حيث حوكم ماكناتن في عام ١٩٤٣ م لقتله ادوارد دارمون Edward Drummond السكرتير الخاص للسير روبرت بييل Sir Robert Peel متوهما انه السير روبرت بيل حين قتله • وقد ظهر ماكناتن في قاعة المحكمة كانسان جليل وموقر ويسلك سلوكا مطيعا للقانون كأي مواطن محترم ، ولكنه مع هذا كان مقهورا بفرضية اضطهاده من قبل الكنيسة الكاثوليكية • لقد ناصر سير روبرت بييل اسباب تحرير ايرلندا • ولهذا كان هو وحزب المحافظين في نظر ماكناتن كجزء من حركة التآمر ، لقد كان مشوشا عاطفيا وهو يراقب احداث يوم الجريمة • وتعتبر قضيته التي تمخضت عن قوانين ماكناتن ليست مهمة تاريخيا وشرعيا فقط بل انها مهمة لعلماء النفس ايضا حيث تزودنا بمصدر قد يساعدنا على فهم المظاهر البسيطة لجزء الشخصية المستقر مرضيا •

ويمكننا ان نتكلم الكثير مع مريض ذهاني من هذا النوع قبل ان نكتشف لبه المريض • حيث يحتوي معظم الاشخاص على جزء من شخصيته مصابه ببرانويا صغيرة Mini-Paranoia في تحمسها وفي عواطفها الوجدانية وباقي عاداتها العاطفية • لقد كان لدى واطسون رائد المدرسة السلوكية الكثير عن هذه الحالات في شرحه للشخصية واضطراباتها (١٩١٩ م) • فاقترح على المعالجين ان يتوغلوا في دراسة الجوانب الفاسدة من حياة الشخص العقلية وكيف استطاع ان يتكيف مع الفشل السابق • واشار الى العامل الموازن

Balancing factor (وتشمل مكونات الشخصية اجزاء كثيرة تمتد من الاخلاص العقائدي وتنتهي بروح الدعابة) الذي يمكن الفرد من التكييف بعد الفشل والاخطاء السابقة •

ان كلمة (بارانويا Paranoia) تعني الشخصية التي تحتوي على مكونات حساسة جدا وغير مرتبة وغير قادرة على ان تتكيف او تنضبط • وسوف يكون مثل هذا الشخص منعزلا يفتقد الاصدقاء والمشاغل التي تستطيع ان تخفف من خوفه المستطير من العالم •

وتمثل حالة لانويل تورى Lionel Torry حالة ممتعة اخرى من هذا النوع ولكنها اقل شهرة من الاولى • حيث ارتكب تورى جريمة قتل في شارع ولنكتون Wellington في نيوزيلندا New Zeland وكانت ضحته عجوزا صينيا • فحيرت هذه القضيةالشرطة النيوزلاندية لغياب الدافع الجرمي• فذهب تورى الى مركز الشرطة في اليوم التالي • ليعترف الى الضابط المندهش بأنه هو الذي ارتكب الجريمة في محاولة لتحدي قانون البلاد • فحكمت المحكمة على تورى بأنه مجرم لاثباتات قوية تدينه • ولرحمة السماء اكتشفوا انه غير مسؤول عن جريمته (حيث كان يعاني من جنون سببه كرهه الشديد لسياسة خلط السكان الانكليز مع الغرباء) (نيوزيلندا ٢١ــ١١ــ١٩٠٥) • ولم يحكم عليه بالموت ، ولكنه قضى حياته متنقلا في مصحة عقلية الى اخرى في نيوزيلندا • انتورى يمثل مثالا كاملا للاسلاك الحياتية الخطرة • وعرفنا فيما بعد ان تورى قد خدم في الشرطة الخيالة في جنوب افريقيا وجرح في معركة ماتبيل ، ويبدو أن بذور عقدة العرق Racial Complex قد نمت عنده في احدى لحظات تلك الجريمة • والتي ظهرت فيما بعد الى الحد الذي جعله يرتكب جريمة قتل انسان متحضر وذكي •

ان التمييز بين (الوهم Delusion والاعتقاد Belief صعب كصعوبة رسم الخط البياني الذي يفصل بين الاخيلة (الهلاوس) والصور الذهنية الاخرى وقد يكون الاعتقاد الثابت مرضيا غير شامل للشخصية ككل ،

وربما يكون قد قفل في الجزء المحكوم بالمنطق logic teight Compartment
وينفرد العقل البشري بخاصية تقسيم الافكار Compartmentalization
وقد اطلق عليها فرويد (العزل Isolateion) • ونرى هذه الخاصية في
احسن حالاتها في عدل الحاكم وموضوعية العالم • لكننا غالبا ما نراها بشكل
اقل سرورا في الحياة الاعتيادية التي يبدو انها لا تخلو من عدم الحساسية التي
لا يمكن تجاوزها ، عندما لا نستطيع ان نوفر كل الاشياء لكل الرجال • وقد
تكلم كلكلي Chleckly في كتابه (قناع سلامة العقل The Mask of Sainty
الصادر عام ١٩٤١ م عن عملية تقسيم الافكار وعلاقتها بما
تحمله الشخصية الطبيعية من تحمس •• فأطلق عليه الانشطار فقط وتستطيع
افكارنا المتحمسة العيش حتى اذا كانت مناقضة لشخصياتنا تماما • واستنتج
ان التحمس انما ينعزل عن التفكير الاعتيادي الواعي والبصيرة المنطقية ، وهذا
يعني ان عملية الانشطار قد حدثت وهذا ما يتوافق مع الجنس الانساني
بصورة عامة وما ازدواج الشخصية وتعدد الشخصية الا حالات مكبرة لهذه
العمليــة •

وسوف اتناول في الفصل الاخير (تناقض الافكار Ambitendency
كما اطلق عليه عالم النفس هنرى موراى Henry Murray وهي اتجاهات
شخصية متناقضة قد نراها في شخص واحد • ومن الممكن ان نأخذ مثالين من
مقال واحد نشر في جريدة الصندي تايمز (٦ اب ١٩٧٨ م) • حيث تحمل
احدى الرسائل وصف د • هـ • لورنس D.H. Lawrence لشخصية
السير اوزبث ستويل Sir Osbert Sitwell « عيناه شجاعتان وخائفتان
في نفس الوقت ، متأكدة وغير واثقة •• وهي تحمل طبيعته •• انه غالبا ما
يكون متعجرفا ومتكبرا ••• متواضعا وغير آبه بذاته في الوقت نفسه ،•••
وهو غالبا ما يكون رعديدا •• » كما قال اخر ان الكسندر بوب يستطيع ان
يتبنى فكرتين متناقضتين تماما لنفس الموضوع • وقد استجاب في احدى المرات
لمأساة اصابت شابين بأن كتب مرثاتين الاولى دينية والثانية الحاديه •

لقد رأينا الاهتمام العلمي والادبي لظاهرة الانشطار في بداية القرن الحالي فقد جلب كتاب الينبركر Ellenberger الموسوم (اكتشاف اللاوعي The discovery of uncounsciousness عام ١٩٧٠ م) الاهتمام الى ظهور موضه ادبية عنيت في تلك الفترة بالوصف الدقيق للوجوه المختلفة في الشخصية الانسانية .. وأدوار هذه الوجوه . وقد خصص في هذا المجال مارسيل بروست Marcel Proust واهتمامه بالحقيقة القائلة (من الممكن أن تتكون الشخصية من انوات[1] Cage مختلفة رغم انها تتجاوز فيما بينها . وقال الينبركر . يزودنا التنويم المغناطيسي بالمثال الذي ينقسم فيه الذهن الانساني الى زوج من الانا . كما فضل في شرحه لتعدد الشخصية الفرضية القائلة : بأن الشخصية كالقالب الذي تنطلق منه جميع مكوناتها وتميز نفسها خارجه . كما ناقش السؤال القائل : ماذا يحدث حالما نعطي الاسماء لبعض الظواهر ؟ ففي هذه الحالة قد تظهر اجهزة الشخصية الثانوية حالا ولكنها قد تتأثر بالايحاء وقد يكبرها الباحثون وربما تظهر اصلب عودا من خلال التجسيد . لقد تبنى الينبركر ملاحظة جانبيه القائلة (حالما تعمد الشخصية اللاواعية تظهر سماتها النفسية بشكل اكثر وضوحا وتحديدا) .

وقد لاحظنا سابقا كيف يسمى ويشخص المريض ذو الاخيلة اصوات اخيلته . كما ذكرنا الينبركر ، ان الشخص الذي يحتفظ بمذكرات لفترة طويلة قد يتطور الى شخص مزدوج الشخصية Dual personality لقد اهتم الينبركر بدراسة العلائق بين الشخصية الطبيعية وبين ما اطلق عليه هو «نموذج تعدد النفسيات Poly psychism » والذي اعتقد انه موضوع يستحق البحث .

وبين حالات تناقض الافكار ، نكون نحن البشر معرضين لتغيير المزاج والوجدانوقد زودنا المكتشفالعظيم سير رتشارد بورتنSir Richard Burton

---

(١) انوات : جمع انا (المعرب)

الذي عـاش في القـرن التاسـع عشـر ببحـوث اسـتبطانية مفيدة لهذه الظاهرة . حيث رحل بنا في كتابه الحج الى مكة والمدينة
Pilgrimage to El Medina and Mecca
الصادر عام ١٨٥٣ م في وعي ذلك المسافر المتفاني
فحدثنا عن ذلك المسافر الذي استقر بعد رحلة معينة ،واصبح اكثر الرجال رغبة في الاستقرار في المدينة ، ليتمتع بفوائد التحضر كالنوم الهادىء في سرير وثير والوجبات الغذائية المنتظمة ، ومرت الايام فحدث شيء ما ، شيء ما في داخله استطاع السيطرة عليه « حيث اراد الرجل ان يتجول في العالم واحس انـه يجب ان يفعل ذلك .. والا فانه سوف يموت » فقال بروتون عن نفسه : «بعد ان قضيت شهرا في الراحة في الاسكندرية .. احسست بقدوم العدو » .. ولهذا اكتأبت .

لقد كتب بروتون عن ظهور هذه الدوافع كما لو كانت تلقائية خارجه من ذاته ، لقد كانت ملاحظاته مدهشة .. لكننا يجب ان لا ندعه يهمل كليا تأثير الحوافز الخارجية . لقد زودنا ى . ب هولت E.B. Holt في كتابه المهدى الى مورتن برنس والمنشور عام ١٩٣١ م بتحليل طريف لتأثير الحوافز الخارجية في تغيير الدوافع . كما قال : يوجد العديد من المنغصات الصغيرة في المحيط (صوت سقوط الماء في مكان مجاور صخب وروائح المعامل والمدن) قد تؤثر كثيرا في الاشخاص الذين يعيشون بقربها ، وربما تصبح مع مرور الزمن ضرورية لصحتهم العقلية . وقد يؤدي عدم اهتمام الشخص بها في البداية الى افتقاد ملاحظاتها الواعية مع مرور الزمن ، ولكنه قد يتضجر لدرجة كبيرة عند غيابها في الايام اللاحقة بل قد يحدث غيابها اضطرابا في حياته النفسية .

فلا تضجر البحار عملية تلاطم الامواج بالسفينة ، وربما يضجر ويعاني اذا اجبر على ان يبقى على الشاطىء لفترة طويلة نسبيا . ومما لا شك فيه امتلاك الاسكندرية لبعض الحوافز الحسية التي ذكرت برتون بالرحلة الى مكة التي

تنتظره • كما نلاحظ الترابط المفاجيء بين اشراقة الشمس والنسمة الباردة الذي حفز قائد اليخت عند هولت وهو في غرفة السيطرة ففجر عنده ارادة ونشوة على الابحار لا تقاوم قد تجعله يقود يخته طوال اليوم بكفاءة عالية •

وقد تحصل تغييرات الدوافع هذه نتيجة حوافز حسية خارجية لا تحس بمقدار عظمتها في وقتها وانما نحس بها كاشياء عادية •

وقد ذكر فرويد حالة ممتعة في هذا الاطار ، وظهرت لاول وهله منسجمة مع ظاهرة التخاطر Tele pathy ، حيث جلس عالم النفس وزوجته يتغديان في احد المطاعم في نيويورك • وفجأة قال لها «انه يستغرب كيف يسافر الدكتور ر • الان الى بطرسبرك •• فنظرت اليه مندهشة وقالت : انها كانت على وشك التصريح بنفس القول •• ولم يستطيعا الا فيما بعد ان يفهما ان الرجل الذي كان يقابلهما على المنضدة الاخرى يشبه الدكتور ر • الى حد كبير • حيث استطاعت عملية الادراك الحسي قبل الواعي لهذا الرجل ان تحفز نفس سلسلة الافكار في ذهنيهما • وقد افاد كل من ادغار الن بو Edgar Ellen Poe وكونان دويل Conan Doyle من هذه الحوادث التخاطرية الكاذبة Bseudo-Telepathic فقدما مواقف استطاع فيها شخص عن طريق مواقف ترابط الافكار Association ان يدخل الى افكار شخص ثان ويقطع فكرة معينة بتعليق مناسب • ويجب علينا الحذر من تجاهل تأثير الادراك الحسي على ما يدعى بعمليات التفكير اللاارادي • ولابد لي هنا من الاشارة الى ملاحظاتي الخاصة •• فمرة كنت امشي فيها مع زميلة في علم النفس في احد شوارع ابردين ••• وفجأة قالت لي زميلتي انها وجدت نفسها فجأة تفكر بالغرفين الوردي[1] وسألت نفسها •• عن القوى الارضية التي استطاعت ان تضع هذه الفكرة في ذهنها • ثم استطعنا ان نجد حلا لهذا التفكير الغريب •

---

(١) الغرفين Griffin : حيوان خرافي نصفه نسر ونصفه اسد (المعرب)

حيث تذكرت انها قرأت منذ دقائق سابقة اعـلان « شركة تأمين العنقـاء[٢] الوعـي Phoenix Insurance Company وكان هذا الادراك على طـرف Margin of consciousness لكنه كان قويا لدرجة استطاع معها ان يحرك سلسلة من الافكار • ولابد لنا في حالات كهذه ان تتذكر ان السلوك الذي يبدو انه انطلق تلقائيا من الكائن الحي لابد انه تحفز بحافز بيئي مهما كان طريفا •

لقد اكد ج • ر • كانتور J.R. Kantor احـد كبار علمـاء النفس المشتغلين بعلاقة علم النفس بعلم الاقتصاد عام ١٩٢٠ م وجوب دراسة التفاعل المتبادل بين الكائن والبيئة ، كما اكد وجوب دراسة الحوافز والاستجابات • وقد ادرك علم نفس الشخصية الحديث الفوائد التي يقدمها هذا النوع من الدراسات •

وقد احتوى ملخص البحث النفسي في هذا المجـال الذي قام به بور Bower الامريكي ١٩٧٣ م وايكمار Ekelmmar السويدي عام ١٩٧٤م تأكيدا على معادلة (الشخص × الموقف) •وقد اثبتت هذه المعادلة انها اصلب كقاعدة للاستنتاج بكثير من الدراسات التي تتناول الفرد واختلاف المواقف كلا على حدى • وكان هنرى موراى Henry Murray احد المنظرين الاساسين لهذه النظرية (التي يدعمها اليوم علم النفس التجريبي) • ويرى موراى (خلف مورتن برنس كمدير لفرع علم النفس في جامعـة هارفرد) •• ان مشاكـل الشخصية تنشـأ من تفاعـل مجموعتين من القـوى • وتحتـل الدوافـع والحاجات (تعتبر اجزاء الشخصية كقوى داخلية للشخصية) احد الجوانب بينما القوى البيئية الجانب الاخر • وسوف احاول الالتزام برأي موراى في الفصل القادم •• عند تناولي لعملية توحيد الشخصية وعملية اضمحلالها •

---

(٢) العنقاء Phoenix : طائر خرافي ، زعم المصريون القدماء انه يعمر خمسة او ستة قرون ، وبعد ان يحرق نفسه ينبعث من رماده وهو اتم ما يكون شبابا وجمالا (المعرب)

الفصل الثاني عشر

الشخصية واجهزتها الثانوية

Personality and its Subsystems

من الممكن ان نطلق على الحاجات المتعاكسة (تناقض الافكار Ambitendency) ... فقد يتصرف المرء كنابليون في البيت ، بينما يكون في العمل مطيعا وخدوما .. وقد تتصارع الحاجات ضمن الشخصية الواحدة مما يؤدي الى مآزق روحية مرهقة .

Henry Murray هنري موراي

تؤخذ الشخصية لبعض الاغراض على انها وحدة متكاملة ، تتفاعل مع المحيط بكل مكوناتها • ويبدو من المفيد لاغراض اخرى ان نبحث مكونات الشخصية الاخرى ، وان تتفحص الحقيقة القائلة : ان هذه المكونات تنشط بفعل قوى بيئية معينة ، ويخلف الافراد هنا كما في أي مكان اخر • كما ان مقدار وحدة الشخصية (او ما أطلق عليه موراى الالتحام Conjunctivity يعتبر من المتغيرات المهمة في الشخصية السوية والمريضة على السواء • فقد يكون الوجدان الاعتيادي متغيرا من شخص الى اخر مما يؤدي الى صراع ليس بين الافراد فقط وانما في الشخص الواحد نفسه • وفي الوقت نفسه وكما اكد التحليل النفسي ، هناك طرق كثيرة لعملية خداع النفس Self-deception (وما الكبت الامثال واضح لها) مما يؤدي الى تشويش البصيرة بهذه الصراعات •

ويختلف الافراد كثيرا بمدى تأثر بصيرتهم بهذه الصراعات ولا يستطيع علماء النفس (حسب رأي موراى تقدير مدى هذا التأثير • حيث نحسب مثلا في اختبارات الشخصية المعدل ، ولكن يجب ان لا ندع مجالا لهذا المعدل ان يمحو « تناقض الافكار » •• فاذا نظرنا الى السير ريتشارد بروتون Sir Richard Bruton نراه مكتشفا عظيما للقبائل البنائية •• لكنه متحمس ايضا للتقدم والتحضر الحاصل في المدينة ، فاذا اخذنا معدل مثل هذا الرجل فسوف يضعه الخط البياني قريبا من المتوسط ، أي في مكان لم يكن

فيه يوما من الايام • (موراى ١٩٣٨) • وكان هدف موراى الاشارة الى تفاعل الدوافع الداخلية مع الدوافع الخارجية (الضغوط البيئية) • وما الدوافع الداخلية الرئيسة الا ذخيرة من الحاجات التي تتحفز بموقف محفز (بكسر الفاء) • والموقف المحفز هو (ذلك الجزء من البيئة الذي ينتبه اليه الكائن الحي ويتفاعل معه) • وقد تكون هذه التأثيرات ، مساعدة ، مفيدة ، ممتعة ، مهددة ••• الخ •

ونصنف نحن القوى البيئية بلغتنا اليومية على أن هذا « يؤلم » وذاك « يريح » وذلك « يزعج » والآخر « يمتع » • وقد قسم موراى هذه الضغوط عام ١٩٤٣ كأقسام واسعة هي الموجبة والسالبة والمتحركة والجامدة • كما اعطى بعض الاسماء لحاجات وضغوط معينة • فالاشخاص الذين يعانون من درجات ومواقف مختلفة من عنف الحاجة Need agression سوف يؤدى بهم هذا الى عنف الضغوط Press agression .

وقد يكون مفيدا ان نأخذ مثالا من علم نفس الاطفال • ورغم تعميم علماء النفس لبعض القضايا الا انهم يؤكدون على اختلاف الاشخاص بعضهم عن بعض في استجاباتهم ولا يشكل الاطفال استثناء لهذه القاعدة • وقد جلب سير سيريل برت الاهتمام لما (اطلق عليه موراى ضغط العقاب Press Punishment عند تصديه لشرح عقاب الاطفال • حيث قال :

هناك اطفال عوقبوا اكثر مما يجب ، وآخرون عوقبوا اقل مما يجب ، وآخرون تلقوا العقاب دونما سبب ، ويحتاج كل طفل الى معاملة خاصة تختلف عن الاخرين ، ويجب ان تعتمد على نوع العقاب السابق الذي كان يتلقاه ••

ولكي نوضح القضية بتعبيرات موراى نقول : قد يظهر على شخص معين تغلب السلوك العدائي حيث تفرض دوافعه سيطرته على الاخرين ، وقد يبدى آخر تغلبا لسلوك ضغط العقاب فيضبح في الطرف الثاني من الحلقة ويصبح منقادا لشخص من النوع الاول • وعندما نبدأ بدراسة الحاجات والضغوط نكون قد بدأنا نفهم الشخصية الانسانية •• فقد نجد في الحياة البلوغ مثلا شخصا يسلك في البيت سلوكا مخالفا تماما عنه في العمل ، لان ضغوط الموقفين مختلفة تماما زوجة مطيعة وخائفة ، ورب عمل مستأسد ، فيرى الشخص نفسه كشخصين مختلفين وقد نفيد من هذه الافكار اذا استخدمناها في مناقشتنا للظواهر التي مر شرحها في الفصول السابقة • لقد سبق وان اشرنا الى ان هناك الكثير من الظروف والضغوط التي تجعل الفرد يمارس الاخيلة التي لا يمارسها بدون هذه الظروف ، وتشمل هذه الظروف حالات التعرض للامتناع الحسي Sensory deprivation وتناول الادوية المهلوسة ، وقد يكون ضغط الامتناع عن النوم كافيا لانتاج مثل هذه الهلاوس اذا استمر لفترة طويلة • واذا اخذنا حالات الانسة بيجامب ومي تايلور المتعددة الشخصية نرى بوضوح امتلاك شخصياتهما المتعددة حاجات مختلفة • كما نرى بوضوح تجسيد حاجة العنف التي اشار اليها موراى في كل من ايف وايت وسيبل دورسيت • وربما يحتويان نوعا من الماشوسية بدرجة قليلة • ومن المفيد ان نشير الى حالة اخرى من حالات تعدد الشخصية اشار اليها ج • ى مارسيلى G.E. Marselli وهي اليـنـا Elena في ثلاثينات هذا القرن •• وفيها نرى جزئي شخصية متميزين الاولى تتكلم الفرنسية والثانية تتكلم الايطالية (تتكلم الفرنسية بلكنه ايطالية وبالعكس) • وقد لاحظ مارسيلى ان الشخصية الايطالية طبيعية تماما

•• فحاول ان يغلبها في علاجه • والممتع في هذه الحالة هو الضغط الذي مارسه المعالج في العلاج حيث طلب المعالج من المريضة قراءة مقاطع طويلة من دانتي بالايطالية • وتتذكر جيدا الخضوع الذي كانت تعاني منه شخصية سيبل دورسيت الاصلية نتيجة العقاب الجسدي الذي كانت تتلقاه من امها المضطربة• وقد نتج عن هذا الضغط نتيجتان ، الاولى هي شخصية سيبل الضعيفة ، والثانية هي ظهور شخصية جديدة اقوى واصلب من الاولى • وكان كل من بيكى ليووفيكي اكثر كفاءة للاعتناء بنفسيهما من سيبل نفسها • لقد رأينا كيف كانت دوافع فيكى (الام) قوية لرعاية الشخصية الطفلية (روثي) انها جسدت ما أطلق عليه موراى « حاجة رعاية الامومة Need nuturance » • كما كانت الضغوط الاجتماعية والعائلية وضغوط العلاقات الانسانية المعقدة السائدة في تلك المدينة هي موضوع الاوامر الصارمة التي كانت تتلقاها كل من مارسيا **Marcia** وفانيسا Vanessa • فكانتا مجبرتين على المرح والدعابة كي تستطيعا العيش •

لقد كانت معظم الحاجات ومقابلاتها من الضغوط التي وضعها موراى في قائمته مشتقة من لغة الحياة اليومية ، والقليل المتبقي منها استنتجه عن طريق الاشتقاق من صراع الحاجات مع الضغوط (في عملية قهر الفشل الذي يمارسه الانسان بالمحاولة مرة ثانية) • وما تبقى من تلك القائمة مأخوذ من تراث علم النفس ، لقداظهرت ماريا الاسبانية (الفصل الثالث) في شخصيتها الثانية الحاجة النرجسية N. narcissism والحاجة الاستعراضية N. exhibitionism اكثر مما كانت عليه في شخصيتها الاولى : لقد كانت الضغوط التي تعرضت لها في بداية حياتها كافية لان تحبطها وتمنعها من تحقيق ذاتها وتحقيق حاجاتها الجنسية • ولهذا اظهرت شخصية ثانية من نوع مختلف تماما لكي ترعى وتربى هذه الحاجات • ولهذا الغرض سوف افيد من قائمة موراى في الحاجات والضغوط في تحليل الانشطار واستعين ببعضها الاخر من عندي متى ما دعت الضرورة •

ومن الضروري ان تتذكر ان العلاج نفسه هو احد الضغوط التي تتعرض لها الشخصية • كما ان المعتقدات السائدة في مجتمع معين تؤثر بصورة او بأخرى لتنتج انواعا مختلفة من الضغوط فاذا اخذنا حالة هلين سمث (الفصل الخامس) كمثال • نرى تشكك عالم النفس الباحث في حالات تقمصها • ولكن لابد ان الرأي العام في جنيف قد لعب دورا كبيرا في تشجيعها حيث كان يرغب الاقتناع بخيالها هذا على انه حقيقة •

وتستطيع دراسة الضغوط الاجتماعية المختلفة ودورها في ظهور وتطور الحاجات الانسانية ان تعطينا الكثير عن مختلف ظواهر حالات تعدد الشخصية لقد بحث بعض علماء النفس عن تعليل حالات الذهان وعلاقتها بالظروف العائلية والبيئية • فقد يكون لمريض ذهان الفصام أبوان مصابين بذهان الفصام ايضا • وهذا لا يفسر حدوث الفصام كليا • ولكن لا يبدو ان هذا الضغط السلبي من الابوين سيساعد في تكوين وتطور الشخصية طبيعيا • ليس هناك كلمة مرادفة للضغوط الخارجية التي تنمي وتربي الحس بالاضطهاد ولهذا سوف اطلق عليها « ضغط الاضطهاد » "Paranoid Press" للسهولة •

وينشأ ضغط الاضطهاد نتيجة التعليل الخيالي اكثر مما ينشأ من تحليل الموقف الحقيقي بموضوعية • وربما قد ينشأ من ادراك حسي خاطيء • ولاجل الايضاح دعنا نلقي نظرة على تجربة سير فرانسيس كالتون Sir Francis Galton

اراد كالتون ان يرى فيما اذا كان يستطيع ان يجد كيف يشعر الاخرون بالحالات الاضطهادية فاستطاع ان يجرى تجربة على نفسه وهو يمشي في شوارع لندن • حيث تخيل ان كل من يراه في الطريق هو رقيب عليه •• وبعد ان مشى ميلا ونصفا ،وقف في موقف انتظار العربات ، وهناك وجد ان كل حصان يقف بجانبه يراقبه ، اما بأذان منتصبه ومتفتحة او متنكرا بزي اخر • وقال ان شعوره هذا استمر عدة ساعات ، كما شعر ان باستطاعته استعادته بسهولة • وقد يستطيع القاريء محاولة نفس التجربة على نفسه •• او القيام

بتجربة مشابهه وهي الجلوس في مطعم والقول الى الجماعة الذي يجلس فيها الشخص : ان النادل لا يريدنا ، فهو لم يأت لخدمتنا ، ماذا يحمل تجاهنا ؟ وقد اجريتها بنفسي ولاحظت تكون فكرة اضطهادية بسيطة في ذهني وفي ذهن الجماعة من خلال هذه الاحداث .

لقد حاول كالتون ان يربط بين احلام اليقظة والتصوير الذهني وبين الادراك الحسي للحقائق الموضوعية . فحاول ان يدخل في ذهن رجل وثني وينمي عاطفة تبجيل وتقديس وجداني للخمرة وقال انه نجح في ذلك . وقد قمت شخصيا بتجربة بسيطة لاثبات الضغوط التي تنتجها الاعتقادات الخرافية. حيث زحف سلم بصورة عرضية في ممر فكان حافزا بيئيا مهما لجميع المارة ان يدوروا من حوله ولم يستطع أي منهم أن يمشي من تحته . وكان عدد المارة كثيرا ولا يحوى المؤمنين بهذه الخرافات فقط وانما يحتوى اشخاصا لا يؤمنون بهذه الخرافات ويبدو هنا بوضوح ان لطبيعة اذهان هؤلاء الاشخاص ، وحالتهم الداخلية اهمية كبيرة . وربما تكون دراسة هذا السلوك الغريب تجاه هذا السلم الخرافي ذات فائدة اذا بحثنا موضوعه مع زمليين ذاهبين الى الامتحان او مع عروسين ذاهبين الى حفلة عرس .. وليس تفاعل الحاجة مع الضغط هو كل شيء . فهناك اشياء اخرى مهمة ايضا كبقية اجزاء الشخصية وتاريخها القديم وحالة الذهن الحاضرة وبماذا ينشغل الذهن الان .

ويمكننا تطبيق فكرة الحاجات والضغوط هذه على الملاحظات الممتعة التي قدمها ريفرز W.H.R. Rivers عند بحثه في عصاب الحرب في الحرب العالمية الاولى . حيث وجد حدوث نوعين من الامراض النفسية : هي الحالات التحويلية الهستيرية Conversion state of Histria وحالات القلق العصابي Anxiety state كما لاحظ ان الجنود غالبا ما يصابون بالهستريا بينما يصاب الضباط بالقلق . وقد اعزى ذلك الى اختلاف المواقف

التي يتعرض لها كل من هذين الصنفين من الرجـال • واذا استخدمنا اراء موراى : يكون الجنود معرضين لضغط شديد فهم مجبرون على اطاعة القوانين وتنفيذها حالا • ودون مناقشة •• ويرى هذا الضغط ويرعى قابلية الفرد على الايحـاء Suggestability وهي سمة ذات علاقة بالهستريا • وتعبر هذه الحاجات عن نفسها بأعراض جسدية كالعمى والصمم والشلل : وتقوم هذه الاعراض بتنفيذ هدف المريض •• وهو ابعاده عن ساحة الحرب •• ويكـون الضباط على العكس من ذلك فموقعهم وحالتهم لا تسمح لهم باظهار اي نوع من الخوف ، ولما لا يستطيعون ان يعربوا عن خوفهم هذا فسوف يكبت بالتأكيد • وتكون النتيجة الاصابة بالقلق العصابي اكثر من الاصابة بالهستريا •

ومن النظر الى عاطفة الخوف يكون مهما ان نلاحظ انها استمدت جذوتها من شيء اخر • وربما تكون هذه العوامل المأججة (بكسر الجيم الثانية) قليلة الصلة بالواقع ولكنها تؤثر تأثيرا كبيرا على نظرة الشخص في تلك اللحظة •

ويحتل التأكيد على الاختلاف بين نظرة الشخص للمحيط والمحيط كما هو جزءا مهما من نظرية موراي وما البيئة المدركة (بفتح الراء) الا تفاعـل الشخص مع محيطه الطبيعي • حيث يمتلك شخص معين تاريخا معينا وعواطف وجدانية وخصائص اخرى قد تدعه يخطيء في ادراكه الحسي وهذا ما دعى موراي للتمييز بين نوعين من الضغوط هي (الضغوط أ) (الحقيقة الموضوعية) والضغوط ب (الحقيقة المدركة) • ويعتمد الادراك الحسي كثيرا على الشخصية في توقعاتها وتعليلاتها واحتمالاتها ويعتمد كثيرا في خطأه على هذه المتغيرات • وقد اعتمد علماء النفس على الضغوط ب ، وبعبارة اخرى على سرد الشخص للمدركات ، رغم اننا نستطيع ان نتأكد من صحة ــ الضغوط ب ــ بمقارنتها بالمصادر الخارجية واذا عدنا الى العواطف ، نرى غضب بعض الاشخاص في احيان كثيرة من الاهانات والتقريع التي تبدو عديمة الاساس والصحة بالنسبة

للاشخاص المراقبين (غير ذوي العلاقة) المتواجدين في ذلك الموقف وبالعكس فقد راقبت اشخاصا كثيرين في مواقف خطره وهم غير شاعرين بها ولا يبدو عليهم الخــوف •

وكما رأينا سابقا ، قد يخاف الناس رغم عدم وجود شيء يدعو لذلك • فتوقعاتهم ، قلقهم ايمانهم بالخرافات اذا ما ارتبطت مع وحدتهم والجو المظلم وتخيلاتهم اصبحت كلها عوامل مهمد جدا في انتاج الضغوط ـ ب ـ الخوفية• لقد كان كالتون رحالة متمرسا اكتشف جزءا من افريقيا • وقد شرح في كتابه « فن السفر Art of Travel » ١٨٧٦ م الخطر الحقيقي والخطر الوهمي ، كما ادركها ساكن الخيمة والانسان البائت في العراء • فعندما يخيم الليل يحــاول ساكن الخيمة التأكد من صلاحية اوتادها ويحاول ان يغلق كل منافذها • بعكس الانسان الذي في العراء ، الذي يركض طبيعيا لينغمس في الظلمة للاطمئنان ، كما تفعل الحيوانات المتوحشة ويستطيع بعضنا اثبات صحة ملاحظة كالتون من خبرته الشخصية • كنت في نيوزيلندا القديمة في احدى الليالي عندما هبت عاصفة قوية •• فاشعلت المصابيح حولي في بداية الليل فأعطتني الشــعور بامان ثم نمت لاستيقظ بعدها في الليل ، فرأيت نفسي قد تكيفت على الظلمة وكانت مريحة وامينة بدون ضياء •

كان لكولستر Koestler عام ١٩٥٤ م اراءا ثاقبة في الطرق المشوقة التي يسيطر بها ذهننا على الضغوط البيئية • حيث عانى من الفقر والكفاف في حيفا ما يقارب السنة ، كان يرفض في مرحلة الجوع هذه دعوات الغداء معتذرا بانشغاله ، وعندما قبل دعوة مرة وجد نفسه مجبرا على الرفض في المرة الثانية• وقد علق كولستر علىغيابالتقارير التي يعرب فيها الانسان عن جوعه في التراث وقال : يجب على الانسان المتحضر ان يغطى جوعه بنفس المقدار الذي يجب فيه على الانسان العاري ان يغطي به جسده • فعندما تكون جائعا يؤدي مجرد تقديم الغداء لك الى تفكيرك تفكيرا اضطهاديا • وبعيدا عن كل شيء : هناك

قضية متعلقة بالمعنوية Morale يكون من السهل على الانسان ان يقبل هدية عندما تكون جيوبه مملوءة بالنقود ، لانه يمتلك في هذه الحالة القدرة على رد هذا العمل الطيب لكي تقوم شخصية فرد معين بواسطة سمات الشخصية فقط علينا ان نهمل بعض الدينيميكيات المهمة • حيث ينص احد اختبارات الشخصية على تقسيم الاشخاص في جدول من الانبساط/الانطواء ـ فنلاحظ ان هذا الجدول سيضع الشخص في مكان لم يكن متواجدا فيه واقعيا • وقد نشعر في اختبارات من هذا النوع رغبة الاشخاص بالقول (لكن هذا يعتمد على الظروف) • فتبدو لنا اهمية اخذ معادلة « موقف الشخص » باهتمام وقد يكون الضغط البيئي داعيا للانفتاح : فقد يدهش اكثر الانطوائين انغلاقا على نفسه زوجته في حفلة عرسه ، عندما يسمعها ارق كلمات الغزل •• وقد نجد في بعض المواقف النقيض حيث تصمت هذه المواقف اكثر الانبساطيين انفتاحا • اكثر • فقد يكون شخص معين انطوائيا جدا في موقف معين وانبساطيا في اخر •

لقد اجريت الدراسات عن كيفية تحول « حاجات » موراى الى عمل معين او الى احلام اليقظة وقد نجد علاقة طردية بين الاثنين في بعض الاحيان او عكسية في احيان اخرى وقد تنعدم العلاقة في احيان ثالثة • فقد لا تجد احلام اليقظة الشخص في حالات معينة كانجازات تصويراته الذهنية الجسيمة تعبيرا صغيرا عنها في الفعل العلني • وقد تلعب قابلية الفرد التخيلية جزء مهما في تطور الشخصية الثانوية في حالات تعدد الشخصية المثالية • كما تلعب دورها بصورة اقل في بعض الظواهر الانشطارية كالعرافة البلورية ، والكتابة اللاارادية والابداع الفني • وقد تكون هذه النشاطات عبارة عن تعويض Compensation عن العمل العلني غير الكافي • وقد اثبت لنا علم نفس الاعماق Depth Psycholog (التحليل النفسي ومشتقاته) عدم وصول الكثير من انشغالات البال العاطفية القوية الى حيز الادراك الواعي فهي مكبوته ، وربما تكون النواة لكثير من الظواهر الانشطارية الكبيرة والصغيرة كما رأينا • دعنا

نلقي نظرة ادق الى عواطفنا هذه .. فقد تأخذنا عاطفة الغضب في بعض الاحيان كليا وربما يكون تغلبها هذا كافيا لاسكات الدوافع التي اطلق عليها بوتلر الضمير ، الحلم ، الاثيار وقد وصف الكاتب الروماني هوراس Horace الغضب على انه جنون قصير ، كما اطلق عليه القديس اوغسطين St. Angustine على انه ثوب ضار كباقي العواطف ، ومع هذا لا ينشأ الغضب لوحده اذ انه يحفز بطريقة او بأخرى ، وينشأ هذا التحفيز من خلال الادراك الحسي للمواقف ، وهو من خلال « ضغوط ب » اكثر مما هو من خلال « ضغوط أ » .. لقد كان احد بحوثي المبكرة عن عاطفة الغضب anger والغيظ الشديد egos والسخط Indignation وقد استطعنا تمييز نوعين من الضغوط المنتجة للغضب . فقد ينشأ الغضب من احباط حاجتنا او ببعض التهديدات لشخصياتنا او للاشياء التي تحترمها هذه الشخصيات . ولهذا ميزت بين مواقف الحاجة (need situations) عن مواقف الشخصية (personality situation) . ويظهر ان هذين النوعين المختلفين من الضغوط ينتجان نوعين مختلفين من الغضب . ويكون غضب مواقف الحاجات سريع الاهتياج ، قصير الفترة وموجة لازالة العائق الذي يقف أمام اشباع الحاجة . ويكون غضب مواقف الشخصية على العكس من ذلك ، طويل الفترة هادئا في تحقيق الهدف ، وموجها للانتقام . ويظهر من هنا بوضوح ان غضب مواقف الحاجات اقل ضررا من غضب مواقف الشخصية .. فقد يقلب هذا الجنون المؤقت الشخص الطبيعي الى آلة خطرة ذاتية الحركة مؤقتا .

ويظهر غضب مواقف الشخصية مختلفا تماما . فهدمه الانتقام : فحالما نتأذى او نتألم ، تتولد لدينا رغبة في ايذاء وايلام غيرنا بنفس الصورة كأننا نحاول ان نعكس ما حصل لنا . وقد ينجز هذا العمل على حساب تروينا وحلمنا وقد يصل الى مرحلة خطيرة هي الافعال المدمرة (بكسر الميم) والمحطمة للشخص نفسه .

فعندما سنّ النبي موسى بايحاء من الله قانونه في القصاص (العين بالعين والسن بالسن) كان بلاشك (بداية العدالة الاجتماعية) حيث انه يضع على الاقل حدودا للتعبير عن غضب الانتقام . لقد جمع باري Parry امثلة لهذا النوع من الغضب الذي يقشعر له البدن في دراسته الموسومة عنف الشوارع Aggression on the Road التي نشرت في عام ١٩٦٨ م عن منطقة لم يشملها أي مسح من هذا النوع حيث قال احد السائقين انه صدم سيارته بسيارة الرجل المقابل : (وددت تحطيم وجهه .. لكنني اشعر بالاسف لتحطيم سيارتي ، لكن مغامرة كهذه تستحق مثل هذه التضحية) . وقد اعترف بعض الاشخاص على انهم اجبروا السيارات المقابلة على ترك الشارع لمجرد استهجانهم لها . وقد اعترف احدهم كيف انه اصطدم بسيارة اخرى من الخلف لايقافها ولكنه اعترف انه حطم مقدمةسيارته . ولا زلت شخصيا اشعر بالسخط المنتقم من ذلك السائق السكير الذي مر من امامي مسرعا وكاد يدعسني قبل ليلتين من كتابتي لهذه الكلمات .

ومن المظاهر الممتعة للعواطف الوجدانية السالبة كالكره والاحتقار وعواطفهما المتعلقة بهما كالغضب هي رغبتهما في الظهور بمظاهر اخلاقية لقد صاغ الكسندر شاند Allexander Shand عام ١٩١٤ م قانونا ممتعا يتعلق بأحد الاصول المهمة للتناقض الذاتي في السلوك الانساني . فتبعا لمبدأ الاخلاق النسبية ، فرغم امتلاكنا للقضايا الاخلاقية العامة القياسية (الضمير ، الانا الاعلى ، وجداننا الاخلاقي) نعمل استثناءات اخلاقية لاولئك الذين نكرههم او نحس بغضب تجاههم . وهناك . استثناءات قليلة لهذه الاحداث المأسوية الكثيرة وسوف اتناول مثالا واحدا على ذلك . فمثلا كيف تصرف اوليفر كرومويل Oliver Cromwell الملتزم اخلاقيا حد الهوس عندما قام جنده بذبح اكثر من ثلاثة الاف مواطن ايرلندي بعد واقعة دوركيد Dorghed ؟ فعلى عكس عاطفته الوجدانية الموجبة تجاه جنوده ، وحزنه على

اصاباتهم استجاب اخلاقيا . واشار الى قوة الله العادلة ، واستنكر كل الاعمال التي قام بها جنده كما قال : ان لا مكان لرحمة الاله لاولئك الاشرار الذين لطخوا ايديهم بالدماء البريئة .

فعندما يترافق الوجدان العاطفي القوى مع العاطفة الاخلاقية ويتحكم بسلوكنا ، يبدو ان نظاما مختلفا تماما يبدأ العمل معزولا تماما عن المبادىء كالضمير وحب الخير وحتى من السلوك المتعقل المحافظ على سلامة الذات . وقد اشارت احدى الدراسات الامريكية الى ان كل ١٠٠٠ شخص يضمون خمسة وعشرين يفضلون النشاطات الخطرة والعنيفة . وقد اعرب ١٠٪ من هؤلاء الامريكيين الذين ينتمون الى الطبقة الامريكية المتوسطة عن رغبتهم في الاشتراك في حملة مسلحة ضد الامريكيين الذين يعارضون سياسة الولايات المتحدة في حرب الفيتنام.والادهى في ذلك ان اكثر من ٤١٪ منهم يمتلك سلاحا بحوزته . وقد يتصور القارىء مدى الذعر الذي يمتلك المواطن العادي عندما يرى مسدسا بين يدي انسان غاضب مهما كان هذا الانسان محترما ومؤدبا في حالته الطبيعية . وتستطيع الاخلاق الفاضلة دعم الافعال المنطقية في الشخصية لحد بعيد .

لقد اقتنعت لاول مرة بمدى اهمية مبدأ شاند في الاخلاق النسبية عندما كنت أشاهد مباراة للمصارعة . لقد اطاع احد المصارعين القوانين ، بينما استخدم الاخر اساليب محرمة وممنوعة لم ينتبه اليها الحكم . وعندما اصبح المصارع الامين متمكنا في قبضته من المصارع الخبيث والمخادع واصبح الاخر تحت رحمته ، هب الجمهور واقفا على ارجله طالبا من المصارع الامين ان ينزل اشد الاذى وحتى الموت بالمصارع الاخر ، وقد شعرت شخصيا بصعوبة كبت رغبتي في انتصار المصارع الامين كمطلب للعدالة . وقد درس كل من الطبيب النفسي ج . ب ستون G.P. Stone وعالم الاجتماع ر . أ اولدبيرك R.A. Oldburg المصارعة واستطاعا ان يشخصا بدقة الخير من الشرير

فيها ويبدو مهما جدا بالنسبة للمصارع ان ينبى لنفسه سمعة جيدة كبطل أمين وظيف للمصارعة او ان يبقى مصارع احمق ونذل . وقد يشخص المصارع الخبيث نفسه بالالبسة التي يختارها والقناع الذي يلبسه ويحاول المشاهدون ان يتعجلوا نهاية المصارع الخبيث ليروا البطل الامين فوقه ، كما يفعل تماما الاطفال عند مشهادتهم للافلام الصامتة . انهم مترعون بوجدان عاطفي ايجابي تجاه المصارع الامين وسلبي تجاه الخبيث . رغم ان كليهما لم يسبب الازعاج لاحد من المشاهدين سابقا ويكونتواجد الحكم في اللعبة منقسما الى تطبيق القوانين واغفالها في الوقت نفسه (ستون واولد بيرك ١٩٦٧ م) .

وقد اجرينا استبيانا لمشاهدي هذه المباريات ، فتبين ان النساء المنحدرات من الطبقات الفقيرة اكثر الرواد عـددا . ويبدو ان النظارة ينظرون الى كل ما في عملية المصارعة على انه مسرحية اخلاقية ـ دراما تمثل الصراع بين الخير والشر بصورة مبسطة ـ .

ولا يقتصر الضغط الذي يحرك العاطفة وينشط الوجـدان والتحمس والعقد التي تكلمنا عنها على المواقف التي تمر بنا وجها لوجه . وقد اكدنا في مكان آخر (ماكلير ١٩٧٧ م) على وجوب التفريق (الادراك الحسي الاولى Primary Perception (ادراك الحادثة مباشـرة وبين الادراك الحسي الثانوي Secondary Perception (مشاهدة فلم ، رؤية صورة الاصغاء الى اذاعة) : حيث يكون وسط ثالث بين المدرك في الادراك الحسي الثانوي . ونمارس الادراك الحسي الثانوي كثيرا من خلال الكلمة المطبوعـة والاذاعة والتليفزيون والسينما ، مما يوسع مدى ادراكنا الحسي الى حد كبير . فمن الممكن ان نتعاطف مع حادثة لم نشاهدها مطلقا في مكان لم نصله وفي زمان لم نعشه . وقد يكون وجدانا عاطفيا ايجابيا لاشخاص لم نقابلهم مطلقا ، او لشخوص ادبية لم تعش في الواقع مطلقا . ولا تزال الدراسات جارية لحد الان عن تأثير الادراك الحسي الثانوي على الجريمة . ولا تزال معظم الاراء في هذا المجال موضع نقاش لحد الان ولم ترس على بر ويبدو ان تأثير الادراك الحسي

الثانوي من خلال الوسائط المختلفة في الانسان الحديث كتأثير تحطيم الذهن ذي المجلسين التشريعيين على الاقوام التي اعقبت هوميروس بقليل • لقد سجل الكتاب والفنانون قساوة الانسان ووحشيته على مدى العصور • كما رسمو للعالم منذ بدايته تقريبا لكننا نستطيع القول بعد ظهور الصحافة المصورة • ان جميع انحاء العالم اصبحت ملكنا واصبح التأثير العاطفي على الانسان لا يعد ولا يحصى •

لقد اخترع البطريق الورقي عام ١٩٧٥ م • وفي عام ١٩٣٩ م كان الراديو موجودا في ٧٥٪ من البيوت البريطانية • كما استطاع الامريكيون ان يسمعوا انباء الهجوم الغادر في الحرب العالمية الثانية • كما اعطى التليفزيون فكرة واضحة للرأي العام الغربي عن الحرب الفيتنامية كما استطاع ان ينقل الى الناس مقتل لي هارفي اوزولد Lee Harvey Oswald على يد جاكي روبى Jacky Ruby حيث شاهدها ملايين الناس • ولهذا اكتسب الادراك الحسي الثانوي اهميته اليوم كمصدر للمعلومات ومصدر للضغوط النفسية • حيث تستطيع هذه الاجهزة اليوم ان تحدث عواطف عنيفة وتخبرنا بأشياء كثيرة وتخدعنا وتدعنا نمارس احلام اليقظة او تقنعنا بارتكاب جريمة او تجعلنا قانطين او تدعنا نضحك ونبكي •

ترى ماذا عن انفسنا في خضم هذه الحوافز اللامتناهية ؟

قد يغفر للفرد في هذه الحالات تساؤله ، لماذا تتجزأ الشخصية الى اجزاء عديدة ؟ لقد حاول فرويد ان يأخذنا بعيدا عن حل الرموز والطلاسم والخرافات الى افق اكثر ارتباطا بالانسان وبالحياة الشخصية • ويجب ان نشير هنا الى النموذج المتعدد الشخصيات ، من اشارة موراى الى علاقة الانسان بالبيئة ، الى كل دراسات تعدد الشخصية واجهزتها الثانوية السوية والمرضية الى تراث الانشطاريين ، لابد لها ان تأخذ دورها الى جانب رأي حركة التحليل النفسي في صياغة مستقبل علم النفس الحديث •

الملحق

ان المصطلحات مهمة في هذه البقعة من علم النفس ، وبعض هذه المصطلحات هو من شرحي ، لكن معظمها مأخوذ من تراث مفردات علم النفس، لرغبتي الشديدة في تعديل بعض الاستعمالات الخاطئة مثلا : مساواة تجوال النائم بجميع الاحداث الليلية .

التنفيس Abreaction

التفريج العاطفي (من خلال التحليل النفسي أو طرق العلاج الاخرى) عن حادثة قديمة مشحونة بالعاطفة . ولا يكتفي المريض بالكلام العاطفي عن تلك الحوادث فقط ، وانما ينفس عنها باستعادة احداثها كاملة . وقد نلاحظ بعض التشابه بين التنفيش وتجوال النائم التلقائي Spontanous Somnambulism كما شرحه بيير جانييه .

صورة لاحقة (احساس عقب) After sensation After Image

استمرار الادراك الحسي (وغالبا ما تكون بصرية) بعد ابعاد الحافز الاصلي . مثلا : عند تعرضنا الى حافز احمر مضاء جيدا قد تتكون لدينا صورة لاحقة خضراء عن ذلك الحافز (اللون المتمم للون الاحمر في الطيف) .

الأنا المتغيرة Altered ego

ربما تكون الجزء المكبوت والمنبوذ من النفس ، وهي ما دعاها يونك (بالظل) .

الشخصية المتناوبة Alternating personality

السيطرة المؤقتة لجهاز ثانوي من الشخصية عليها لحين استلام جـزء ثانوي اخر من الشخصية على تلك الشخصية ، كما في حالة ب ١ ، ب ٤ في حالة الانسة بيجامب •

فقدان الذاكرة Amnesia

قد نرى حواجز فقدان الذاكرة هذه في حالات الهيام وحالات تعـدد الشخصية وقد تلعب دورا مهما فيالفقرة بعد التنويمية عازلة الشخصية التنويمية التي تلقت الايحاء عن الشخصية بعد التنويمية •

الكتابة اللاارادية Antomatic writing

هي الكتابة التي تحدث لا اراديا وخارج سيطرة الوعي ، وبدون عـلم الشخص بالاشياء المكتوبة حتى تظهر على الورق • وقد تظهر من بعض اجهزة الشخصية الثانوية (او ربما ذات مصادر خارقة) معتمدة على معتقدات الشخص الذي يمارسها •

التصور الذهني اللاارادي (الذاتي) Autonomous Imagery

هو التصور الذهني الذي يفتقد الفرد الذي يمارسـه السـيطرة على محتوياته وعلى بدايته ونهايته ، مثلا : تصور حلم مثالي ، الاخيلة والتجارب النعاسية • مقارنة بالتصور الذهني الارادي •

صورة جسم الفرد Autoscopic :-

١ ــ اخيلة صورة جسم الفرد : Autoscopic Hollucination :-

اخيلة الفرد عن صورة جسمه وهي نادرة •

٢ ــ تصور الفرد الذهني عن صورة جسمه Autoscopic Imagery :-

تخيل الفرد عن صورة جسمه وهي ظاهرة شائعة •

صورة الجسم الذهنية Body Image :-

تصور الفرد عن صورة جسمه كجسم يشغل حيزا من الفراغ • مع تصور علاقة اعضائه ببعضها • وقد تحدث التغيرات في صورة الجسم الذهنية هذه في الحالات النعاسية ومع الادوية المهلوسة • وقـد تنتج عن طريق التنويـم المغناطيسي • وقد تختلف صورة الجسم الذهنية في اجهزة الشخصية الثانوية في الحجم ، ولون الشعر وحتى في الجنس •

الشعور المصاحب Co-conscionsness

مصطلح أطلقة فورتن برنس على الشخصية الثانوية العالمـة بالجهـاز الثانوي للشخصية المسيطر على الكائن في تلك اللحظة • حيث نرى أن سالي كانت تمثل شعورا مصاحبا للشخصيات ب ١ ، ب ٤ في حالة الانسة بيجامب رغم انهما ، كانتا غير عالمتين بها •

العقـدة Complex :

مصطلح اطلقه يونك واتباعه ، لتعريف مجموعة من الافكار المشحونة عاطفيا • وقد استخدمت مدرسة التحليل النفسي هذا المصطلح كما استخدمه بعض علماء النفس الانكليز مثل برنارد هارت كمرادف للوجدان العاطفـي Sentimet • وقد ميز ريفرز Rivers العقـد التي تحتـوي على « وجدان عاطفي مكبوت » لكن ت • هـ بيير أكـد الاختـلاف الكبير بين العقدة والوجدان العاطفي •

التصور الذهني الارادي Controlled Imagery :

التصور الذهني الذي يمتلك الفرد سيطرة على محتوياته وبدايته ونهايته بعكس التصور الذهني اللاارادي •

العاطفة المنشطرة : Dissociated emotions

عاطفة عائمة تكون العاطفة فيها هي الشعور الاولي والشيء او الموقف المرتبط بها هو الثانوي ، مثلا : في تجربة الادوية المهلوسة . قد يمارس الشخص الهلاوس وهو في حالة مكتئبة . ورغم ان حالة الاكتئاب هي الاولية قد يحاول الشخص ان يعزى حالة الاكتئاب الى الاخيلة التي مارسها .

الانشطار : Dissociation

اجهزة ثانوية أو أقسام من الشخصية تعلن حالة طلاقها عن بعضها ، محطمة العلائق فيما بينها ومحتفظة بحواجز فقدان الذاكرة فيما بينها في الاماكن التي يفترض ان تكون مرتبطة ، وقد تفسر بعض الظواهر كنواحٍ عديدة من الاحلام ، والالهام الفني ، وما يدعي البعض بانه امتلاك روحي او تنويم مغناطيسي كلها الى ظاهرة الانشطار .

التجوال الليلي المتغلب : Dominant Somnambulism

حالة التجوال الليلي الذي تأخذ فيه الشخصية الثانوية زمام الشخصية الاولية (جانييه) . وقد يحدث تغلب مشابه في حالة الهيام ، والتنويم المغناطيسي وتعدد الشخصية .

الجسم الحالم : Dream body

مصطلح محايد استخدمه فان ايدن كي يصف النظير الحالم لصورة الجسم الذهنية . متجنبا المصطلحات الخرافية مثل « الجسم الوهمي » .

تجربة السقوط : Falling exprience

لم اجد مصطلحا مشابها في تراث علم النفس . ففضلت ان اختار هذا المصطلح لوصف حالة الخداع الحسي من السقوط التي يحس بها الفرد في الفترة النعاسية وصعوده الى اعلى عند يقظته .

الهيـــام : Fugue

طيران من شخصية معينة الى اخرى (وغالبا ما تحفز الفرد للسفر الى مكان آخر) ويرافقها فقدان الذاكرة للشخصية الاولى كما في انسل بورون المبجل •

الاخيلــة : Hallucination

تجربة تخيلية قد تكون سمعية او بصرية او في حاسة اخرى ، وهـــي معرضة لان تخلط مع الادراك الحسي الحقيقي • وغالبا ما نميز بين الاخيلة والاخيلة الكاذبة • ففي الاخيرة تكون البصيرة موجودة ضمن المصدر الذاتي لهذه التجربة • وغالبا ما تكون الاخيلة الذاتية سمعية اما الاخيلة البصرية فيمكن انتاجها بالتجارب المختبرية •

المراقب المختفي : Hidden observer

شعور مصاحب منتج (بفتح التاء) مختبريا (انتجه هلكرد في تجاربه عن الالم) والذي لديه القابلية على الاتصال الاستبطاني عن الكتابة اللاارادية•

التصورات الذهنية النعاسية Hypnogogic Imagery

تصورات ذهنية في مختلف الحواس ، وتمتاز بانها ذاتية السيطرة وقد تكون في بعض الاحيان حيوية كالاخيلية ، ويمارسها الفرد في حالة النعاس قبل النوم • وقد صنفت الى صنفين :

١) التصورات الذهنية المعلومة perseverative حيث يكون الاصل الحسي لهذه التصورات موجودا وواضحا في خبرة الشخص السابقة •

٢) التصورات الذهنية المجهولة Impersonal : وفيها يكون من الصعب علينا ان نجد الاصل الحسي لتجارب المريض النعاسية من خبراته السابقة، وتكون هذه التصورات ذات طابع غريب •

التصورات الذهنية ما قبل اليقظة Hypnopumpic Imagery

تصورات في مختلف الحواس ، تعبر عن استمرار الحيـاة الحلمية في اليقظة ، وغالبا ما يحصل الالتباس بينها وبين المدركات الحسية الحقيقية •

النـوام Hypnosis :

حالة نفسية متغيرة تنتج عن طريق التنويم المغناطيسي وتمتاز بالظواهـر الحسية والحركية وظواهر الذاكرة غير الطبيعية ، وتشبه هذه الظواهر الى حد بعيد ما يحدث ذاتيا في عصاب الهستريا •• وغالبا ما يفسر كلاهما بمصطلحات انشطار الشخصية •

الرحام (الهستريا) Image :

(ليس لها علاقة بحالات الاغماء التي تنتاب الهستيريين) : وأهم ما تمتاز به هذه الحالات هو الاعراض الجسدية التي تنتاب المريض كالعمـى والصمم والشلل وفقدان الذاكرة دون وجود سبب عضـوي • وتعتبر حالات تعـدد الشخصية من حالات الهستريا النادرة • وقد تضمنت ابحاث بلولر وفرويـد المبكرة حالة من هذا النوع •

صـورة

تجربة ذاتية مرتبطة بالتذكر او التفكير او التخيـل ، وهي عبارة عـن استنساخ جزئي بشيء من الواقعية لتجربة بصرية او سمعية او لاية حاسـة اخرى سابقة • ومع هذا ، تحتوي الصور على جانب خلاق رغم احتفاظهـا بالجانب الاستنساخي ويظهر هذا الجانب بوضوح في صور التخيل وبوضوح أقل في صور الذاكرة •

الرفيق التخيلي : Imaginative Playmates

ظاهرة تحدث في الطفولة ، حيث نرى ظهور شخص غير موجود مقابل للطفل في العابه (طفل آخر او حيوان) ويعتقد الطفل انه حقيقي جدا • ورغم ان هذا الرفيق التخيلي مزعج في البيت (ويحتاج الى الاختفاء من حياة الطفل) الا انه طبيعي جدا في الحياة العقلية الطبيعية • وقد يحدث في احيان قليلة ان يبقى هذا الرفيق التخيلي حتى مرحلة البلوغ • وقد رأينا كيف ظهرت بعض اجهزة الشخصية الثانوية في حالات تعدد الشخصية مشابهة لهذا الرفيق التخيلي •

الصورة التخيلية : Imagination Image

عبارة عن صورة ذهنية نرى من الصعب او من المستحيل علينا ان نجد اصلها في الادراك الحسي السابق للفرد •ويفترض ان تمثل هذه الصور مكونات بعكس صور الذاكرة •

الاحلام البيضاء : Lucid dreams

الاحلام التي يكون الفرد فيها عالما بانه نائم وانه يحلم • بعكس الاحلام ما قبل البيضاء التي يكون فيها الفرد غير متأكد من انه نائم ام يقظ •

صورة الذاكرة : Memory Image

صورة ذهنية نستطيع ايجاد اصلها في الادراك الحسي السابق للفرد •

المسكالين : Mescaline

دواء منتج للاخيلية (الهلاوس) يشبه السلوسيبين Psilocybin وال ل • س • د • .L.S.D وقد يحدث صورا ذهنية ذاتية ، اضطرابات التصور لاعضاء الجسم • عدم التواصل الزمني في الذهن وغرابة التفكير • وهو نباتي الاصل مستخرج من فطر ينمو في المكسيك والمكسيك الجديدة • وقد حضر المسكالين في المختبر وشاع استعماله في التجارب •

تعدد الشخصية : Multiple personality

وجود (اما كشخصيات متناوبة او كشعور مصاحب) اجهزة الشخصية الثانوية ، متجسدة كشخصيات منفصلة الخواص • (وعندما تكون اجهزة الشخصية الثانوية مقتصرة على اثنين فقط تدعى بازدواج الشخصية Dual personality

الحاجـة Need

مصطلح اطلقه موراى Murry على الدوافع كقوى كامنة داخل الكائن ، وخصوصا الدوافع التي تميز الشخصية وتساعد على تفريقها عن شخصيات الاخرين ، على عكس الضغط Press الذي يعتبر كقوى المحيط المؤثرة على الكائن ، وهكذا يبدو للتناقض بين حاجة العنف وضغط العنـف •

الاخيلة السالبة Negative Hallucination

خبرات يكون فيها الفرد غير مدرك لجزء مختار من المحيط ، كمثال على هذه الحالة تجارب تينبرك والغاز المضحك والتي فيها توقف الفرد عن ادراك المنضدة الجالس عليها •

خبرات خارج الجسم الحقيقي out of the body experience

قد يذكر بعض الناس خلال النوم تكوّن انطباع ذاتي لديهم ان الجسم الحالم Dream body يترك جسمهم الحقيقي • وقد تحدث هذه الاحداث في حالات اليقظة • ويعتبر هذا الاصطلاح محايدا ، فهو يصلح للتعليلات الواقعية والخرافية التي تعلل هذه الظاهرة •

استمرار (الزمان) Perseveration

عملية استمرار لعملية عقلية دون سيطرة الارادة الواعية ورغم ما يبذل من جهود للسيطرة عليها مثلا : النغمة تستمر تدور في رأس شخص متعب ،، او استمرار احداث اليوم في الذهن التي ترافق حالات الارق ، او تزود المواد الخام للتصورات النعاسية •

الرهـــاب : Phobia

عادة عاطفية ، تعبر عن خوف غير مبرر من شيء او من موقف مثل الخوف من الاماكن المكشوفة •

الاحلام ما قبل البيضاء -: pre-lucid dreams

الحلم الذي يفكر فيه النائم انه قد يكون نائما او انه قد يكون يحلم ، بعكس الاحلام البيضاء التي يعلم فيها الشخص انه يحلم ويكون متأكدا من ذلك •

قوى الضغط : Press forces

الضغوط الموجهه في المحيط الى الفرد والتي تُحدث لديه الاستجابات (موراى) • مقارنة بحاجات موراى التي تمثل القوى الخارجه من الشخصية نفسها •

عالم النفس في الادب Psychologist in Literature

مصطلح أطلقته أنا على الشخصية الادبية التي من خلالها يعرض الكاتب فهمه للظواهر النفسية • والامثلة كثيرة على هذه الشخصية مثل بعض شخوص ابسن ، وشخصية الاحمق في الملك لير وشخصية ايفـان كرومازوف عنـد دستويوفسكي •

مبدأ الاخلاق النسبية Relative Ethics Principle

مبدأ شاند القائل بأن كل وجدان عاطفي يحاول ان ينشىء اخلاقه النسبية ويسمح هذا المبدأ بوجود استثناءات ضد الاشياء التي يكون تجاهها الفـرد وجدانا عاطفيا سالبا ومع الاشياء التي يكون تجاهها الفرد وجدانا عاطفيـا موجبا ، مثل : عواطف الحب ، والاعداء في الحرب ، حيث نجد اننا قد تحررنا من الكبت الاخلاقي الاعتيادي •

الاستظهار البعيد : Remote viewing

قابلية يدعي بعض الافراد امتلاكها حيث يستطيعون ادراك بعض المشاهد او الحوادث البعيدة بطريقة استبصارية • ولم تسفر نتائج التجارب في هـذا المجال عن اثباتات قوية لهذه الظاهرة ، حيث تبين ان بعض التلميحات قد تنقل الى الشخص الخاضع للتجربة عفويا من خلال القائمين بهذه التجارب •

الكبـت : Repression

مصطلح اطلقه فرويد على ظاهرة النسيان والتي تتضمـن مرور بعض الحوادث خارج الوعي كنتيجة لدوافع قوية تقضي بعدم تذكر تلك الحوادث • ويجب ان لا نخلط بين الكبت والانشطار ، ولكن من الممكن ان يقوى الكبت جهاز انشطاري معين ، او قد يتعلق هذا الكبت ببعض مكونات الانشطار •

ذهـان الفصام -: Schizophrenia

مصطلح تشخيصي اطلقه بلولر على مجموعة كبيرة من أمراض الذهان والتي لا يعرف سبب مؤكد لها • وتمتاز بالاخيلـة **Hallucination** وغالبا ما تكون مصحوبة بالاوهام **Delusion** واضطراب التفكير • واذا حدث الانشطار فانه يختلف كثيرا عن انشطار حالات تعدد الشخصية • حيث تضمحل شخصية المريض الذهاني اكثر مما تنقسم •

الادراك الحسي الثانوي : Secondary perception

الادراك الحسي الذي لا يكون مباشرا وانما يحدث من خلال وسيط معين مثلا ، صورة تلفزيون ، فيلم او أي وسط آخر • ويمتد الادراك الحسي الثانوي الى ازمان واماكن سحيقة وقد تبدو في كثير من الاحيان خيالية الى حـــد كبير •

الوجدان العاطفي Sentiment

جهاز منظم من العواطف يتمحور حول شيء معين (شاند) • مثلا : الحب والاستلطاف والكره وعدم الاستلطاف • وربما يكون صلد التكوين لا يمكن ان تتزعزع اركانه لكنه خاص (مثل حب شخص معين) • وقد يكون صلـــد التكوين ولكنه عام (ككره القطط) وقد يكون مجردا (مثـــل الوجـــدان العاطفي الاخلاقي تجاه « الصحيح والخطأ » « الحسن والسيء » « العدل والظلـــم ») •

الظـــــل : Shoddow

مصطلح اطلقه يونك على الجوانب السلبية والمرفوضة والمكبوتـــة في الشخصية كما في دكتور جيكل ومستر هايد ، وكما في مسخ فرانكشتاين •

التجوال الليلي : Somnambulism

حالة شبيهه بالهيام لكنها ابسط واقصر منها ، يسيطر فيها جهاز ثانوي من الشخصية على الشخصية الرئيسة • وقد يعرف التجـــوال الليلي في بعض الاحيان على انه « سير النائم » Sleep walking • وقد تحـــدث في حالات اليقظة التامة وقد يسلك المريض في هذه الحالة سلوكا يجلب اهتمام الاخرين به اكثر مما في حالة الهيام •

اجهزة الشخصية الثانوية Subsystems of personality

تنظيم داخلي في حياة الفرد العقلية يحوي على وظائف ذاتية عائدة له • وقد تؤدي اجهزة الشخصية الثانوية الكبيرة الى تغيير خواص الفرد كما في حالات تعدد الشخصية • وتظهر اجهزة الشخصية الصغيرة في الكتابة اللاارادية والتصوير الذهني الذاتي والايحاء ما قبل التنويمي وفي بعض العادات العاطفية والدوافع •

الايحاء Suggestion

التأثير على شخص لقبول هيكل ذهني معين دون تدخل فكره المحاجج • وهناك ادلة كثيرة على انواع مختلفة من الايحاء كالايحاء الحسي والايحاء الحركي •

منتجات الفكر -: Though products

اصطلاح عام استخدمته للتعبير عن منتجات الفكر الانساني النافعة اجتماعيا • وتضم الروايات والمسرحيات والرسم والاعمال الفنية الاخرى والاختراعات والنظريات العلمية • وقد قيل ان هذه الاعمال انما تنتج بعمليتين : الاولى هي عملية التأليف (التصور الذهني والتخيل) • والثانية عملية التحرير (التفكير المحاجج والمقيم للعمل) •

عدم التواصل الزمني في الذهن Time Discontinuities

فترات من فقدان الذاكرة او تجاهل مرور الزمن • وقد تكون الحوادث الواقعة في فترات فقدان الذاكرة هذه كاسباب لوقوع الحوادث التالية • ولهذا يتصور الفرد ان هذه الاحداث انما حدثت فجأة دون سبب ظاهر • وقد حدثت وذكرت في حالات الهيام وحالات تعدد الشخصية •

ما دون الوعي : under mind

مصطلح علمي استخدمته ايند بلايتون لتعبر عن جهاز شخصيتها الثانوي الذي يقبع خارج وعيها والذي انتج تصورها الذهني الذاتي الذي « كتب لها كل كتبها » .

— A —

Abreaction	التنفيس
Affection	وجدان
Age-regression	النكوص العمري
Alter ego	الأنا المتغيرة
Altristic surrender	الايثار الاستسلامي
Altruism	الايثـــار
Ambitendency	تناقض الافكار
Ambivalent	متناقض وجدانيا
Amnesia	فقدان الذاكرة
Anger	الغضب
Anorexia	رجال الدين الانجليكانين
Anorexia nervosa	القهم ، اباء الطعام
Appetite	شـــهوة
Association	ترابط
Asetral travels	الاسفار الكونية
Astronomy	علم الفلك
Auto hypnosis	التنويم الذاتي
Autonomous Imagery	التصوير الذهني الذاتي
Autonomous risual Imagery	التصويرات الذهنية البصرية الذاتية
Auto matic writing	الكتابة اللاارادية
Autoscopic hallucination	اخيلة الجسم لجسمه

— B —

Balancing factor	العامل الموازن
Belief	اعتقاد
Bicameral mind	الذهن ذو المجلسين التشريعيين
Body Image changes	تغيير هيئة الجسم في ذهنه
Brain fever	حمى الدماغ
Brain washing	غسل الدماغ

— C —

Catharsis	التفريغ
Census of hallucination	احصاء الاخيلة (الهلاوس)
Chemical Abreaction	التنفيس الكيمياوي
Clairvoyance	الاستبصار
Compartmentalization	خاصية تقسيم الافكار
Compensation	التعويض
Co-consciousness	شعور مصاحب
Conflict	صراع
Conjunctivity	التحام
Conscience	الضمير
Controlled Imagery	التصوير الذهني الخاضع
Conversion	التحويل
Credulons	سريعو التصديق
Cross Cultural Psychology	علم نفس المجتمعات المقارن
Crystal-Gazing	العرافة البلورية

— D —

Defile of consciousness	شعب الوعي
De Javu	ظاهرة سبق الرؤية
Delusion	وهم (هذاء)
Demonology	علم دراسة العفاريت
Depersonalization	فقدان الأنية
Depth psychology	علم نفس الاعماق
Dominating Somnambulism	سير النائم المتغلب
Dissociated emotion	العاطفة المنشطرة
Dissociated personality	الشخصية المنشطرة
Dissociation	الانشطار
Dual personality	الشخصية المزوجة

— E —

Ego	الأنا
Egoism	الانوية
Exorcism	الرقى
Exorcist	الراقي

— F —

Fanatic	المتعصب
Free association method	طريقة تداعي الكلمات الحر
Fugue	الهيـــام

— H —

Habitual day dreaming	احلام اليقظة المعتادة
Hallucinogens	العقاقير المهلوسة
Hadducination	الاخيلة (الهلاوس)
Hedonism	مذهب المتعة
Hidden observer	المراقب المختفي
Hierarchy	البناء الهرمي للسلطة
Hypno analysis	التحليل التنويمي
Hypnogogic Imagery	التصوير الذهني النعاسي
Hypnopumpic Imagery	التصوير الذهني قبل اليقظة
Hypnosis	النـــوام
Hypnotizability	قابلية التنويم المغناطيسي

— I —

Id	الهـــو
Imagery Companian	المرافق التخيلي
Imagery Parochialism	محدودية التصوير الذهني
Impersnal Imagery	التصويرات الذهنية المجهولة
Indignation	السـخط
Inspiration	الالهـــام
Isolation	العـــزل
Intellectual rapture	النشوة الذهنية

— J —

Joy	متعـــة

— L —

Language automatism	اللغة اللاارادية
Logic tight compartment	الجزء المحكوم بالمنطق
L.S.D.	عقار مهلوس
Lucide dreams	الاحلام البيضاء
Lycanthropy	الاستذئاب

— M —

Mediumistic trance	غشية الوسيط الروحي
Mental Imagery	التصويرات الذهنية
Mental practice	التمارين العقلية
Mescaline	المسكالين (عقار مهلوس)
Methodest	المنهجي
mini-paranoia	بارانويا صغيرة
Molar dissociation	الانشطار الكتلي
Molecular dissociation	الانشطار الجزيئي
Mono Ideic Somnambulism	سير النائم الاحادي الفكرة
Motoring hallucination	الهلاوس المتحركة
Multiple personality	تعدد الشخصية

— N —

Need agression	عنف الحاجة
Need exhibitionism	الحاجة الاستعراضية
Need Narcissism	الحاجة النرجسية
Need situation	مواقف الحاجة
Nitrous oxide	الغاز المضحك
Nocturnal illusion	خداعات حسية ليلية

— O —

Observing ego	انا مراقبة
Odyssey	الاوديسة
Out of the body expenience	الظواهر الخارجة عن الجسم

— P —

Pain-blindness	عمى الالم
Paranoia	بارانويا
Personality situation	مواقف الشخصية
Personality **subsystem**	اجهزة الشخصية الثانوية
Perservation Imagery	التصويرات الذهنية المعلومة
Poltergists	الارواح الشريرة
Polyideic samnabulism	سير النائم المتعدد الافكار
Polypsychic Model	نموذج تعدد النفسيات
Polypsychism	نموذج تعدد النفسيات
Post-hypnotic suggestion	ظاهرة الايحاء بعد التنويم
Possession	امتــلاك
Press agression	عنف الضغوط
Press punishment	ضغط العقاب
Primary Perception	الادراك الحسي الاولي
Primary suggestability	قابلية الايحاء الاولية
Principles of psychology	اصول علم النفس
Protective Function	وظيفة حامية
Prudence	الحلــم
Pseudotalepathic	التخاطر الكاذب
Psilocybin	السلوسيبين (عقار مهلوس)
Psycic self defense	**الدفاع النفسي الذاتي**
Psychology of motivation	علم نفس الدوافع الانسانية
Psychopaths	**أناس ضد اجتماعيين**

— R —

Racial complex	عقدة العرق
Rage	الغيظ الشديد
Rational ego	الأنا المنطقية
Rattle snake	افعى مجلجلة
Reality principle	قانون الواقعية
Regressive	الناكص
Reincarnationist	العلماء المؤمنون بالتقمص

Repression	الكبت
Revealing	الالهام
Role	دور
Romantic **Fantasy**	حلم اليقظة الرومانسي

— S —

Sadist	السادي
Sceptical	الشكوكي
Schizophrenia	ذهان الفصام
Secondary perception	الادراك الحسي الثانوي
Secondary suggestability	قابلية الايحاء
Self analysis	التحليل الذاتي
Self deception	خداع النفس
Self torment	ظاهرة تعذيب الذات
Sensory deprivation	الامتناع الحسي
Somnambulism	سير النائم
Sorrow	الحزن
State dependency	حالة التعود
Subconscious Incubation	نقاهة ما دون الوعي
Subconscious	هامش الوعي
Subordinate systems	الاجهزة التحتية
Suggestion	ايحاء
Super ego	الأنا الاعلى
Sward fish	سمكة القرش

— T —

Time discontinuties	عدم التواصل الزمني
Time Missing	ظاهرة الزمن
The boy within	فارس الاحلام الداخلي

— U —

Unconscious	اللاشعور
Undermind	ما دون الوعي
Uranus	اورانوس

الجثث الخارجة من القبور ليلا لامتصاص الدماء	Vampires
الفاسد اخلاقيا	Vicious

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٦٤٤) لسنة ١٩٨٢

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر
١٩٨٢

